الجمعيّة الكويتيّة لتقدّم الطّفولة العربيّة

# الأطفال...
# هذه الأمانة الكبرى

- تقنين حقوق الأطفال
- أدب الأطفال وتكوّنهم الأخلاقي
- النماء اللّغويّ والتفوّق العقليّ للطّفل
- التغذية والتحصيل العلميّ للطّفل

الكتاب السنوي السابع
١٩٩٢ - ١٩٩٣

## تنويه

اعدت هذه البحوث الواردة في هذا الكتاب
قبل الغزو العراقي للكويت.
ولم يطرأ عليها أي تعديل.

بسم الله الرحمن الرحيم

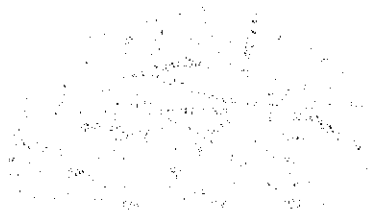

تولى مهمة تحرير هذا الكتاب

الدكتور محمد جواد رضا

عضو اللجنة الاستشارية للجمعية الكويتية

لتقدم الطفولة العربية

حقوق الطبع محفوظة
للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية
ولا يجوز اقتباس أو إعادة نشر أية فقرة
أو فصل من هذا الكتاب إلا بإذن خطي من الجمعية

# المحتويات


| | | |
|---|---|---|
| ١ ـ المقدمة | الدكتور حسن الإبراهيم | ١١ |
| ٢ ـ حقوق الطفل العربي بين النظرية والتطبيق.. | المحامية مريم حسن الخليفة | ٢٣ |
| ٣ ـ الرواية التاريخية وتربية الطفل العربي . | الدكتور هاني محمد الراهب | ٧٥ |
| ٤ ـ الاطفال المتفوقون والتعامل معهم (تجارب خليجية) . | الدكتور رجاء أبو علام<br>الدكتورة فاطمة نذر | ١٢٣ |
| ٥ ـ تغذية الطفل في الخليج العربي (مضامينها النمائية والاجتماعية والتربوية) . | الدكتور عبد الرحمن مصيقر<br>الدكتور فيصل الخفش | ١٦٩ |
| ٦ ـ اكتساب اللغة عند الاطفال | الاستاذ أحر شاو الغالي<br>الدكتور عيسى محمد جاسم | ٢١٧ |
| ٧ ـ المنظمات العربية المعنية بالطفولة أهدافها ـ منجزاتها ـ معوقاتها (دراسة مسحية) . | الدكتور باقر النجار<br>الدكتور قاسم الصراف | ٢٨٩ |

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

# الأطفال العرب
# وحقوقهم في نشأة بدنية وعقلية سوية

**الدكتور حسن الإبراهيم**
**رئيس الجمعية الكويتية**
**لتقدم الطفولة العربية**

أثار الملتقى العلمي السابع للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ( ٨٩ / ٩٠ ) كثيراً من الأسئلة المهملة حول الأطفال والطفولة في العالم العربي ، مهملة ليس عن عمد وسبق اصرار ولكن لأنها مأخوذة مأخذ المسلّمات التي لا تثير تساؤلاً ولا جدلاً بيننا . ولأن ثقافتنا العربية الإسلامية تنضح بحب الاطفال والبر بهم فإن التوجه الثقافي العام هو أن الاطفال هم امانتنا الكبرى وهم معنى حياتنا وغايتها وهم حبنا الكبير . ولا مشاحة أن هذا هو الحق . ولكن كل حق أو حقيقة عرضة لسوء الفهم واحتمال الانقلاب من المنفعة إلى الضرر . لقد رفع العلم الحديث الغطاء عن كثير من الأمور التي كنا نتعامل معها تعاملاً عاطفياً فإذا فيها من التعقيد البايولوجي والنفسي والأخلاقي ما يوجب التحول بمقاربتنا اياها من منطق الحب والبر إلى منطق المعرفة العلمية المنظمة والمعالجة العقلانية التي لا تلغي الحب ولكنها لا تكتفي به . هذه مهمة صعبة من دون ريب . فكيف للناس أن يخرسوا صوت الحب النابع من خضم العاطفة ليسمعوا ـ بدلاً منه ـ صوت الحقيقة الباردة حين النظر إلى فلذات اكبادهم ؟ .

كان أول أمر طفولي أخضعته الجمعية لمنطق العقلانية الباردة هذه حقوق الاطفال العرب ووجوب تقنينها ، صوغها في قوانين وتشريعات تقرر لهؤلاء

الأطفال حقوقاً وليس صدقات، حقوقاً يمكن عند خرقها أو اهمالها أو التجاوز عليها أن يرجع فيها إلى القضاء لصونها وتبليغها إلى أهلها. لقد جاء هذا الوعي بالحقوق المقننة للأطفال متأخراً نسبياً في العالم العربي. ففي ديسمبر ١٩٨٤ أقرّ مؤتمر وزراء الشؤون الاجتماعية العرب (ميثاق حقوق الطفل العربي) بعد دراسات ومداولات واسعة ومطوّلة نظمتها (الدائرة الثقافية والاجتماعية) في جامعة الدول العربية بين عامي ١٩٨٢-١٩٨٤. لقد تميز الميثاق بأهمية فكرية وأخلاقية خاصة، وكشف عن حالة من الوعي الجاد بالقيمة المركزية للطفولة في المجتمع العربي المعاصر، وأهميتها بالنسبة لمستقبل عربي (عامر بالخير والنماء المتصل المتسارع الموظف خيراً وعدلاً لخير أبناء الأمة العربية كافة) كما قالت ديباجة الميثاق. أن أهم ما تميز به الميثاق يومئذ كان - من الناحية النظرية - طرحه رؤية واضحة في حقوق أساسية للطفل العربي مؤكدة على النحو التالي:

١ - تأكيد وكفالة حق الطفل في الرعاية والتنشئة الأسرية القائمة على الاستمرار الأسري، ومشاعر التعاطف والدفء والتقبل، واحلاله المركز اللائق به في الأسرة بما يمكنه من التفاعل الإيجابي في رحابها، وأن يكون محور اهتمامها. بما يضمن تلبية واشباع حاجاته البابولوجية، والنفسية والروحية والاجتماعية، وبما ييسر له بناء شخصية مستقلة، وحرية في الفكر والرأي، تتكافأ مع قدراته دون تمييز بين البنين والبنات.

٢ - تأكيد وكفالة حق الطفل في الأمن الاجتماعي، والنشأة في صحة وعافية قائمة على العناية الصحية، والوقائية والعلاجية، له ولأمه من يوم حملها، وباصحاح البيئة التي ينمو فيها، وحقه في المسكن الملائم الذي يظله، وتغذيته تغذية كافية ومتوازنة وملائمة لأطوار نموه.

٣ - تأكيد وكفالة حق الطفل في إن يعرف باسم وجنسية معينة، منذ مولده.

٤ - تأكيد وكفالة حقه في التعليم المجاني والتربية في مرحلتي ما قبل المدرسة والتعليم الأساسي - كحد أدنى - بحسبان أن التعليم هو حجر الزاوية في

التغيير الدائم، وفي اكتساب الاتجاهات والمهارات والقدرات التي يواجه بها كل المواقف الجديدة بالمعرفة المتجددة، ويتخلص بها من القيم اللاوظيفية والتقاليد البالية السلبية، وينشأ بها على التفكير العلمي والموضوعي وحسن التقدير، وحب العمل وحسن أدائه، كما يمده بالقدرة على رفع مستوى معيشته وثقافته العامة، وعلى الاسهام الايجابي في حياة مجتمعه وأمته، وضمان حقه في الثقافة المستمرة، وفي حسن استثمار أوقات الفراغ، وفي الترفيه عن نفسه باللعب والرياضة والقراءة.

٥ ـ تأكيد وكفالة حقه في الخدمة الاجتماعية المجتمعية والمؤسسية المتكاملة والمتوازنة، الموجهة لكل قطاعات الطفولة، في البادية والريف والحضر، وبخاصة لأبناء فقراء هذه البيئات كافة، وللاقوياء والمعوقين والموهوبين كل فئة وفق حاجاتها، وبما يضمن الفرصة في العيش الهنيء والنشأة السوية والانخراط في حياة المجتمع والاسهام في بنائه وتطوره.

٦ ـ تأكيد وكفالة حق الطفل في رعاية الدولة وحمايتها له من الاستغلال ومن الاهمال الجسماني والروحي، حتى إذا كان ذلك من جانب أسرته، وأن تنظم عمالته بحيث لا تبدأ إلا في سن مناسبة، وحيث لا يتولى عملاً أو حرفة تضر بصحته أو تعرضه للمخاطر، أو تعرقل تعليمه، أو تحجب فرص نموه من الناحية البدنية أو العقلية أو النفسية أو الخلقية أو الاجتماعية، وأن يكون مقدما في الحصول على الوقاية والاغاثة عند الكوارث، وخاصة الأطفال المعوقين.

٧ ـ حقه في أن ينفتح على العالم من حوله، وأن ينشأ على حب خير الإنسان، وأن يدرك أهمية السلام والصداقة بين الشعوب، ومحبة اخوانه في الإنسانية.

إن السنوات الست التي انقضت على اقرار الميثاق لم تشهد أي توجه عملي في الدول العربية لوضعه موضع التطبيق، ولم تجر أية دراسة تتبعية لما اتخذ بشأن تنفيذه. وأغلب الظن أنه طوي في الادراج الرسمية كما طويت وثائق ذات أهمية ثقافية واجتماعية قومية كثيرة من قبل. فكان واجباً أن يبعث التفكير في الحقوق المقننة للأطفال العرب من جديد وهذا ما كرّست له الندوة الأولى من ندوات

الملتقى العلمي السابع.

كلفت الجمعية بهذه المهمة شخصية خليجية قانونية متميزة ومعنية بقضايا الاطفال عناية تامة . . . المحامية مريم حسن الخليفة ( البحرين ) ، وفي تناولها القانوني المنظم للقضية بدأت الباحثة بتوجيه الاهتمام إلى حقيقة ( إن العناية الحقة بشئون الطفل هي حجر من احجار الزاوية في السلم العالمي ، فالسلام الحقيقي لا يحققه مجرد القاء السلاح ، وإنما توفير الفرصة المواتية لينعم الإنسان بالحياة ، فلا غرو أن يستشعر بعض المسؤولين تلك الحقيقة، ويدركوا أن توفير الحماية للأطفال هو درع واق وعامل جوهري من أجل نصرة البشرية ) .

لقد كان الإسلام سبّاقاً إلى التوعية بهذه الحقيقة حتى أنه جعل النكوص عن رعاية اليتيم واطعام المسكين من قبيل التكذيب بالدين نفسه (أرأيت الذي يكذّب بالدين. فذلك الذي يدعّ اليتيم ولا يَحضُّ على طعام المسكين)[1]. إن الاهتمام الدولي المعاصر بحقوق الطفل (يعود إلى عام ١٩٢٤ ـ عندما صدر اعلان من خمس نقاط عن اتحاد يسمى الاتحاد الدولي لحماية حقوق الأطفال ـ وقد عرف ذلك الاعلان باسم : (اعلان جنيف) وقد تبنته عصبة الأمم اثر صدوره. ونقحته الأمم المتحدة ووسعت فيه عام ١٩٤٨ ، فكان ذلك نواة اعلان حقوق الطفل الذي صدر عن جمعيتها العمومية في ٣٠ نوفمبر ١٩٥٩ من عشر نقاط. وقد أضيف إلى هذا الاعلان احكام تضمنتها مواثيق أخرى بعضها ملزم مثل وفاق الصليب الأحمر ودستور منتظم العمل الدولي وعهدي الأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان المدنية والسياسية وحقوقه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وبعضها غير ملزم ومثلها أحكام الحد الأدنى من معاملة السجناء ومبادىء آداب المهنة الطبية. بيد أن هذه المواثيق جميعاً وغيرها لا تخاطب مصالح الطفل خطاباً مباشراً، وإنما تنصرف إليه بطريقة ضمنية قاصرة. وهكذا ـ مع الاعلانات التي تقتصر حجيتها على قوة الزام أدبية محضة ومواثيق لم تتهيأ لرعاية الطفل رعاية صادقة ـ ظلت

(١) سورة الماعون: ١ـ٣.

مصالح الطفل معلقة في سماء القانون بخيوط واهية وحبال بالية ، إلى أن قيض للطفل عام تحتفل به الأمم المتحدة سمي بالعام الدولي للطفل وكان ذلك عام ١٩٧٩ .

على أن بولندا انتهزت تلك المناسبة وتقدمت باقتراح مفاده اعداد وفاق لحقوق الطفل . تلقفت لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان تلك المبادرة وشكلت فريقا للدراسة ، وتعاونت في ذلك عدة حكومات ووكالات متخصصة وقرابة خمسين تنظيماً غير حكومي ، وإن دل هذا الاسهام العريض فإنما يدل على مدى التقدير الذي لقيه الاقتراح البولندي على الصعيد العالمي . ودارت عجلة الزمن دورتها ، وانتهت بمشروع جرت عليه القراءة الثانية خلال الفترة من ٨ نوفمبر إلى ٩ ديسمبر عام ١٩٨٨ وتجهز للعرض على الأمم المتحدة ، وقد قبلته لجنة حقوق الإنسان في مارس عام ١٩٨٩ ثم المجلس الاقتصادي والاجتماعي الذي أحاله إلى الجمعية العمومية للأمم التي تبنته بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢١ ) . ان اخطر ما نجم عن تبني الميثاق هو ـ في اعتقاد الباحثة ـ أنه ( حقق أول وثيقة في تاريخ العلاقات الدولية المعاصرة تفرض على الدولة بقوة الالزام القانوني حقوقاً من أجل الطفل وتتقيد بها في شؤونه ) .

في إطار هذه الرؤية الدولية الواسعة وقفت الباحثة عند التجربة العربية لعام ١٩٨٤ فذكّرت بـ( ميثاق حقوق الطفل العربي ) وحذّرت من مغبة اهماله،كما نبهت إلى مواطن الوهن فيه مطالبة بوجوب السعي الحثيث من أجل حقوق طفولة عربية مكفولة بقوة القانون ( . . . إن الممحص لهذا الميثاق لا يخطئه الشعور بأنه قد تأثر فيما جاء به من احكام بالاعلان العالمي لحقوق الطفل لسنة ١٩٥٩ ، ولكنه زاد عليه الاسلوب الشاعري الذي يخرج بالصياغة عن الحبكة القانونية الدقيقة ، وهو بذلك يعكس الطبيعة العربية التي تستأثرها العبارات الطنانة والالفاظ البراقة على حساب الدقة والفعالية أحياناً ، وقد سيطرت عليه المثالية النظرية في بعض المواقع ، ولكن الميثاق بالرغم من تلك المثالب له ميزة أنه أقر بما للطفل من حقوق

وأكـد أن هذه الحقـوق يجب أن تقابلهـا التزامـات على الـدول العربيـة فرادى وجماعات . ومع غياب الدراسات التوثيقية التي تظهر مدى التزام الدول العربية بتنفيذ الميثاق يكون هذا الاقرار من الناحية النظرية على الاقل ـ بابا للرجاء بتوفير حقـوق واضحـة وملتزم بهـا لـلاطفـال العـرب مقننـة وخـاضعـة للمحـاسبـة والتمحيص ) .

في العالم اليوم واقع جديد . . واقع خلقه اقرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة لـ ( الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل ) وتسابق الدول المتقدمة الى ترجمتها إلى صيغ قانونية تطبيقية تنفث فيها الروح وتحرك فيها نبض الحياة . إن تخلف العالم العربي عن هذه الدول في تحويل الاتفاقية إلى ممارسات عملية يجعلنا نبدو أكثر تقصيراً وتقاعساً في هذا المضمار الاخلاقي الشريف .

بين قضايا الطفولة العربية الكبرى التي طرحهـا الملتقى العلمي السابـع كانت قضية تغذية الاطفال وعلاقتها بالتحصيل المدرسي ، وانتدبت الجمعية لهذه المهمة الدقيقة الدكتور عبد الرحمن مصيقر رئيس قسم التغذية في وزارة الصحة البحرينية . وقد وضع الدكتور مصيقر دراسة موسعة حول هذه القضية تكامل فيها البحث النظري مع البحث الميداني التجريبي . كشفت الدراسـة عن آثار تعويقية جادة لسوء التغذية على الاطفال في الخليج العربي بصـورة خاصـة من الناحيتين البدنية والفكرية . ففي الناحية البدنية تجسدت هذه الآثار التعويقية في انخفاض معدل نمو الطول والـوزن عند الاطفـال قبل السن المـدرسية وخـلال السنوات الأولى من التعليم الابتدائي ، وفي اصابة الأطفال بفقر الـدم الناتـج عن نقص كمية الحديد في الجسم ، وتسوس الأسنان والسمنة المفرطة وما يصاحبها من مرض السكري أو ما شابـه ذلك . أمـا بالنسبـة للتحصيل المـدرسي فإن آثـار سوء التغـذية تـظهر في ضعف الـوظائف الفكـرية للدمـاغ (وغالبـاً ما يكـون الأطفـال المصابون بهذه الأعراض ضعيفي التحصيـل المدرسي الأمـر الذي يؤدي في النهـاية إلى رسوبهم أو تسربهم من المدرسة . ويعتبر فقر الدم النـاتج عن نقص الحـديد من

أهم أنواع سوء التغذية المؤثرة على التحصيل الدراسي لدى التلاميذ فيؤثر هذا النقص على الانتباه للتعلم ويكون استيعابهم للمواد الدراسية ضعيفاً). على الرغم من تجهم الصورة التي ترسمها الدراسة فإنها في الوقت ذاته تفتح باباً للتفاؤل في القدرة على حماية الأطفال من هذه المعوّقات وذلك لامكانية (ـ التخلص من الآثار السلبية لذلك مع تقدم عمر الطفل إذا توفرت له البيئة الاجتماعية السليمة ـ ويدخل ضمن ذلك البيئة المدرسية ـ فوجود التغذية المدرسية المناسبة والرعاية الصحية الجيدة سوف يساعد على أن يستعيد الكثير من الأطفال نموهم السليم).

النماء البدني ليس هو الجانب الوحيد في نشأة الاطفال العرب الذي يشغل الجمعية . هناك الجانب الاخلاقي القيمي الذي يمثل بعداً مهماً في شخصية الطفل. وقد اثارته الجمعية من خلال ندوتها الثانية التي عالجت الآثار النفسية والقيمية للروايات الادبية التاريخية التي يقرأها الاطفال أو يشاهدونها في التلفزيون . لقد اثارت هذه الندوة جدلاً عميقاً بين الباحث فيها الدكتور هاني الراهب ( كلية الآداب ـ جامعة الكويت ) وبين جمهوره . فمن خلال النماذج الروائية التي ناقشها الدكتور الراهب من أعمال جورجي زيدان ونجيب محفوظ والسير الشعبية مثل عنترة بن شداد وسيف بن ذي يزن استخلص الدكتور الباحث أن هذه الانماط الثلاثة ( هي كنز ثقافي ثمين تربوياً من دون ريب وما علينا لتحقيق أثرها الجليل في نفوس الاطفال إلا أن نحدد أهدافنا أولاً وعندها سنجد أن معظم ما نملكه في أعمال الرواية التاريخية يقدم أجمل الخدمات التربوية لفتياتنا وفتياننا ) . غير أن محاوري الدكتور الراهب ذهبوا مذهباً آخر فوجدوا في السير الشعبية على وجه التحديد وفي الاستعمال السياسي للرواية التاريخية على وجه العموم ما يؤدي إلى تغييب الوعي بقاضايا الإنسان العربي المعاصر . إن الرواية التي تؤثر تأثيراً إيجابياً في النشأة العقلية والنفسية للاطفال لا بد أن يكون محورها الإنسان وليس التاريخ ( مثل رواية فرانسوا ساغان ( مرحباً أيها الحزن )، والرواية السياسية مثل رواية ( جورج أرويل ) ( مزرعة الحيوان ) التي هي تفنيد للفكر الاشتراكي المطبق

تطبيقاً سيئاً، وروايته الأخرى (١٩٨٤) التي تنبأ فيها بسقوط النظم الاشتراكية في سنة ١٩٨٤ وكان يكتب في سنة ١٩٤٨. وقد وقع ذلك فعلاً ولكن بفارق خمس سنين فقط، في سنة ١٩٨٩ بدل ١٩٨٤ . والرواية النفسانية ( مدام بوفاري ) . موضوع الرواية يجب أن يكون الإنسان وليس الحدث الذي وقع قبل الف سنة ويريد أن يأسرنا نحن ويعزلنا عن مسيرة التاريخ العام .

حقاً إن الرواية التاريخية بحد ذاتها اشكالية . كان همنكواي كلما سئل كيف أصبح له هذا التأثير في الناس ؟ كان جوابه أنه يروى الاشياء كما وقعت لأن الواقع هو أعلى صور الخيال) . الرواية التاريخية العربية قلما تفعل هذا .

قضت شمولية البحث في الحقوق القانونية والاجتماعية للطفل العربي تمديد افق التساؤلات إلى مسألتين جوهريتين آخريين هما النماء اللغوي للطفل العربي واساليب الكشف عن التفوق بين الاطفال في المدارس الابتدائية . المسألة الأولى عالجها ميدانياً الدكتور عيسى محمد جاسم ( الكويت ) كما عالجها نظرياً الاستاذ أحرشاو الغالي ( المغرب ) . لقد كشف البحث الميداني في هذه المسألة عن مؤشرات ذات أهمية كبرى تربويا يمكن أن تكون ادوات فعالة في تطوير تربية الاطفال . من الحقائق التي كشف عنها البحث الميداني :

١ ـ أطفال الرياض لديهم القدرة اللغوية ذات المستوى الجيد التي تمكنهم من استخدام مفردات متعددة ذات اشتقاقات متعددة ومتنوعة كما أن لديهم القدرة على تكوين جمل كاملة باللغة العربية السليمة .

٢ ـ شكلت المفردات العربية النسبة الغالبة من المفردات المنطوقة مقارنة بالمفردات غير العربية .

٣ ـ جاءت المفردات العامية في الدرجة الثانية إذ بلغت نسبتها ( ٣ر١٣٪ ) مع ملاحظة أن معظم المفردات العامية هي كلمات عربية فصيحة تم حذف أو اضافة أو استبدال بعض حروفها . وجاءت في المرتبة الثالثة الكلمات الاجنبية

بنسبة ( ٣ر٤٪ ) من اجمالي المفردات المسجلة . ويلاحظ أن معظم المفردات الاجنبية هي من المفردات الشائعة لدى البالغين في المجتمع الكويتي .

٤ ـ كان اجمالي المفردات اللغوية المنطوقة في المستوى الأول ( ٥ر٣ ـ ٤ سنوات ) بنسبة ( ٩١٨ ) كلمة و( ١١٢٢ ) بالنسبة للمستوى الثاني ( ٤ ـ ٥ سنوات ) . أما بالنسبة للمستوى الثالث ( ٥ ـ ٦ سنوات ) فقد بلغت (٢٢٥٤). كلمة ويلاحظ أن النمو في عدد المفردات من المستوى الأول إلى الثاني أقل من النمو من المستوى الثاني إلى الثالث .

٥ ـ تشكل الاسماء النسبة الغالبة من المفردات اللغوية للاطفال في هذه المرحلة ، كما يلاحظ انخفاض نسبة استخدام صيغ الأمر والمستقبل مقارنة بالمضارع والماضي بالنسبة للاطفال .

٦ ـ لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين الذكور والاناث في اجمالي استخدام المفردات اللغوية المنطوقة لكل مستوى ، وهو يشمل الفكرة والمعرفة والافعال الماضية وأفعال الأمر والمستقبل والحروف والكلمات العامية والأجنبية ، وإن كان يلاحظ أن عدد المفردات التي يستخدمها الذكور تزيد عن تلك التي تستخدمها الاناث في نفس العيّنة .

إن الاستنتاج الذي تقود إليه هذه النتائج واضح تماماً . إن أي قصور يسجل على النماء اللغوي للاطفال إنما مرجعه إلى تقصير في طرق التعليم أو في البيئة الاجتماعية للطفل .

الدراسة الميدانية التي اجرتها الدكتورة فاطمة نذر ( كلية التربية ـ جامعة الكويت ) حول دور أولياء الأمور والمعلمين في الكشف عن الاطفال المتفوقين وخصائصهم السلوكية لم تكن اقل أهمية في دلالاتها من دراسة الدكتور جاسم ،فقد اظهرت ـ بين أمور أخرى ـ وجود علاقة قوية بين التفوق في التحصيل المدرسي وبين عناصر ابداعية أربعة واجبة التنمية في الاطفال وهي :

| | |
|---|---|
| الطلاقة اللسانية | **FLUENCY** |
| المرونة الفكرية | **FLEXIBILITY** |
| الاصالة | **ORIGINALITY** |
| الايضاح | **ELABORATION** |

ولتنمية الطلاقة اللسانية ينبغي استخدام طريقة القدح الذهني واثارة الطلبة (BRAIN STORMING) . أما بخصوص المرونة الفكرية فترى الباحثة تدريب الطلبة على عرض وابداء الآراء والافكار الجديدة والمتنوعة وعرض البدائل . ولتنمية الاصالة ينبغي تشجيع نوعية انتاج الطلبة وجودته وأن يكون مميزاً وفريداً في نوعه . أما تنمية الايضاح فتكون عن طريق تشجيع الانتاج المتنوع بالطرق والاساليب المختلفة والتقنية، وتنمية اساليب التعبير المختلفة سواء المعتمدة على النواحي المادية مثل استخدام الادوات أو التعبير بالاحاسيس والمشاعر .وذلك باستخدام الشعر والادب أو التعبير الحركي عن طريق الرقص والموسيقى والغناء .

إن هذا الافق الواسع الذي انتشرت عليه معالجات الملتقى العلمي السابع يبرز اكثر من أي شيء عظم المسؤولية في مواجهة أزمات الطفولة العربية المعاصرة الأمر الذي لا يمكن أن تقع واجبات النهوض به على الاجهزة السياسية وحدها وإنما ينبغي أن تكون شراكة متوازنة بين الدولة والأسرة والانشطة الشعبية . إن هذا الحال يقضي أن يكون للمنظمات غير الحكومية دور مقرر في حمل هذا الواجب يتبلور من خلال خلق وعي جديد بين الناس لتعزيز دورهم في حماية مستقبل أجيالهم، هذا الدور الذي يجب أن يظل ( رديفاً وشريكاً أساسياً لا يمكن نفيه من عملية التنمية ) كما يقول الدكتور باقر النجار ( البحرين ) .

إن ضخامة القضايا التي اثارها الملتقى العلمي السابع تجعلنا نختتم هذا العرض بالسؤال ذاته الذي يدأناه به . . . هؤلاء الاطفال العرب . . من يصون حقوقهم في نشأة عقلية وبدنية ونفسية سوية ؟ .

لو أدرنا هذا السؤال على محور التاريخ لوجدنا أنفسنا نتساءل بكلمات أخر . . . من يضمن حق الأمة العربية في حضور قوى في القادم في التاريخ ؟ الاطفال هم هذا القادم من التاريخ .

**حسن الإبراهيم**

# الندوة الأولى

## حقوق الطفل العربي بين النظرية والتطبيق

المحامية مريم حسن الخليفة

# الندوة الأولى

## موضوع الندوة : حقوق الطفل العربي بين النظرية والتطبيق .

رئيس الجلسة : الدكتور حسن الإبراهيم

المتحدثة الرئيسية : المحامية مريم حسن الخليفة

المشاركون

١ ـ الاستاذ أنور عبد الله النوري .

٢ ـ الدكتور بدر العمر .

٣ ـ الدكتورة بدرية العوضي .

٤ ـ الدكتورة تغريد القدسي .

٥ ـ السيدة حصة الشاهين .

٦ ـ السيدة صبرية الوكيل .

٧ ـ الدكتور عبد الحميد الهلالي .

٨ ـ السيدة فاطمة حسن الخليفة .

٩ ـ الدكتورة فاطمة نذر .

١٠ ـ الدكتور فيصل عفيف الخفش .

١١ ـ الدكتور قاسم علي الصراف .

١٢ ـ الدكتور محمد عودة .

١٣ ـ الدكتور محمد غانم الرميحي .

١٤ ـ السيدة منيدة حلمي .

# حقوق الطفل العربي بين النظرية والتطبيق

المحامية / مريم حسن الخليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الجمع الكريم . .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

ليس من جدل في أن الطفل الذي نجتمع اليوم لتدارس قضيته وقد مضى عقد أو يزيد على الاحتفال بيومه العالمي ، هو إنسان يهمنا جميعاً أمره ، فما منا أحد إلا ويرتبط بطفل برابطة ما أبا كان أو أما أو أخا أو قريبا ، ومن ثم فإن قضية الطفل عامة تهم الصغير والكبير .

إن الاهتمام بالطفل قديم قدم الخليقة . . فلا عجب إذن أن يكون أقدم أثر في افريقيا هو أثر أقدام لأسود تعين طفلها على تخطي منطقة عسرة ، ولا عجب أيضاً أن يتفق العرب على قول واحد وهو « أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض » .

إن قضيته تبتدي خطورتها عندما نعلم أن الاطفال سيشكلون مع بدايات القرن الحادي والعشرين قرابة ثلث سكان المعمورة ، ومن ثم فإن حسن اعداد الطفل اليوم هو خير وسيلة لازدهار عالم الغد. وكما قال الرئيس الأمريكي روزفلت : « إننا لا نستطيع أن نصنع المستقبل لاطفالنا ولكنا نستطيع أن نصنع أطفالنا للمستقبل » .

ولكن المرء لا بد أن يدهش أن هذه الحقائق لم تكن كافية لكي تلفت الجماعة البشرية إلى قضية الطفل ذلك أن الطفل ـ ذلك الكائن البريء الذي ينتمي إلينا جميعاً وننتمي إليه ـ هو ضحية أحبائه وأوصيائه ، فقلة من الاطفال هم الذين جاؤا إلى هذه الدنيا وملعقة الذهب أو الفضة عالقة بأفواههم ، أما الغالبية العظمى فيعانون من حياة بؤس قاسية وانماط عيش متدنية . فالاحصاءات تؤيد أن ثلاثة أرباع الاطفال الذين تفتحت عيونهم على الحياة خلال العام المنصرم مصابون بأمراض مزمنة ويصارعون الفقر والعوز ، ويفتقرون إلى رعاية صحية مناسبة ولا تتوفر لهم امكانات الدراسة أو ضمانات الحماية والرفاهية .

إن العناية الحقة لشئون الطفل هي حجر من أحجار الزاوية في السلم العالمي ، فالسلام الحقيقي لا يحققه مجرد القاء السلاح ، وإنما توفير الفرصة المواتية لينعم الإنسان بالحياة ، فلا غرو أن يستشعر بعض المسئولين تلك الحقيقة ويدركون أن توفير الحماية للأطفال هي درع واقٍ وعامل جوهري من أجل نصرة البشرية .

وفي معرض الحديث عن تاريخ الاهتمام بالطفل اهتماماً ذا قواعد وأصول يأتي الإسلام كعادته سباقاً إلى الخير ، حتى أنه جعل من النكول عن رعاية اليتيم واطعام المسكين من قبيل التكذيب بالدين ﴿ **أرأيت الذي يكذّب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم . ولا يحضُّ على طعام المسكين** ﴾ ( سورة الماعون ) .

والقول في موقف الإسلام من رعاية الطفل وحماية مصالحه هو قول ذو شؤون . ولذا فإننا نغمط الإسلام حقه لو أننا تعرضنا له في عجالة ضمن حديث اليوم الذي نخصصه للدراسة المعاصرة لأوضاع الطفل . والحق أو الاهتمام الدولي المعاصر لحقوق الطفل يعود إلى عام ١٩٢٤ ـ عندما صدر اعلان من خمس نقاط عن اتحاد يسمى الاتحاد الدولي لحماية حقوق الاطفال ـ وقد عرف ذلك الاعلان باسم : « اعلان جنيف » وقد تبنته عصبة الأمم اثر صدوره ، وقد نقحته الأمم المتحدة ووسعت فيه عام ١٩٤٨ ، فكان ذلك نواة اعلان حقوق الطفل الذي صدر عن جمعيتها العمومية في ٣٠ نوفمبر ١٩٥٩ من عشر نقاط . وقد أضيف إلى هذا الاعلان احكام تضمنتها مواثيق أخرى بعضها ملزم مثل وفاق الصليب الأحمر ودستور منظمة العمل الدولي وعهدي الأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان المدنية والسياسية وحقوقه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وبعضها غير ملزم ومثلها أحكام الحد الأدنى من معاملة السجناء ومبادىء أداب المهنة الطبية ، بيد أن هذه المواثيق جميعاً وغيرها لاتخاطب صالح الطفل خطاباً مباشراً ، وإنما تنصرف إليه بطريقة ضمنية قاصرة . وهكذا ـ مع الاعلانات التي تقتصر حجيتها على قوة الزام أدبية محضة ومواثيق لم تتهيأ لرعاية الطفل رعاية صادقة ـ ظلت مصالح الطفل

معلقة في سماء القانون بخيوط واهية وحبال بالية ، إلى أن قُيض للطفل عام تحتفل به الأمم المتحدة سمي بالعام الدولي للطفل وكان ذلك عام ١٩٧٩ .

على أن بولندا انتهزت تلك المناسبة وتقدمت باقتراح مفاده اعداد ميثاق لحقوق الطفل . تلقفت لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان تلك المبادرة وشكلت فريقاً للدراسة ، وتعاونت في ذلك عدة حكومات ووكالات متخصصة وقرابة خمسين تنظيم غير حكومي ، وإن دل هذا الاسهام العريض فإنما يدل على مدى التقدير الذي لقيه الاقتراح البولندي على الصعيد العالمي . ودارت عجلة الزمن دورتها وانتهت بمشروع جرت عليه القراءة الثانية خلال الفترة من ٨ نوفمبر إلى ٩ ديسمبر عام ١٩٨٨ وتجهز للعرض على الأمم المتحدة ، وقد قبلته لجنة حقوق الإنسان في مارس عام ١٩٨٩ ثم المجلس الاقتصادي والاجتماعي الذي أحاله إلى الجمعية العمومية للأمم المتحدة التي تبنته بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢١ . . ولعل النص الوحيد الذي لم نعرف حتى الآن ما استقر عليه الرأي بشأنه هو كيفية تمويل لجنة حقوق الطفل ( م ٤٣ من الميثاق ) والرأي بين أن تقوم الأمم المتحدة بذلك التمويل أو أن تقوم به الدول الاطراف ، وهذا ما ستبينه الايام القادمة .

وهكذا قطعت الإنسانية شوطها في ثلاثين عاماً كي تنتقل من اعلان موجز وبسيط إلى ميثاق مفصل وسديد. رب قائل يقول «إن الطفل إنسان» وقد أظهرت الأمم المتحدة اعلاناً لحقوق الإنسان منذ نيف وربع قرن، فما بالنا نسعى الآن للطفل بميثاق ينفرد به وأحكام تخلص له.

والقول في ذلك . . إن الطفل إنسان حقاً ، ولذلك فهو يستفيد بكل ما جاء في مواثيق حقوق الإنسان من مزايا ورعاية، بيد أن الاعلانين وغيرهما من المواثيق لا تكفي لاحقاق الحق للطفل وانجاز شئونه . فلميثاق الطفل زخمه الخاص ومبرراته الجوهرية ، وكذلك أن من الأمور الإنسانية ما يتعلق بالطفل وحده ولا يشاركه فيه الكبار ، مثل توفير الجو الأسري البديل في صورتي التبني والكفالة ، والحاجة إلى رعاية الأبوين تحت مظلمة أسرة مترابطة وهناك من الأمور

ما قد يشترك فيه الطفل مع غيره من الناس ، ولكنه يحتاج إلى تنظيم خاص بالطفل يختلف عن تنظيم الكبار كأنماط العمل ومعاملة الأحداث وشروط سلب الحرية ، فضلاً عن أنه لا ضير من أن يكرر الميثاق بعضاً من الحقوق التي وردت في مواثيق أخرى ففي التكرار رعاية وفي التأكيد عناية . وبذلك نؤمن لرجل المستقبل بيئة صالحة ينشأ في ربوعها فبرعم اليوم زهرة الغد ونواة الحاضر حياة المستقبل ولا ننسى أن للكبير على نفسه بصيرة ، أما الصغيرة فلا حول له ولا طول لا سيما في مراحل حياته الأولى ، فأنّى للطفل الرضيع مثلاً القدرة على المطالبة بحقوقه ومتابعة شئونه .

ولعل أخطر كسب يحققه الميثاق هو أنه يمثل أول وثيقة في تاريخ العلاقات الدولية المعاصرة ـ تفرض على الدول بقوة الالزام القانوني حقوقاً ترعاها للطفل وتتقيد بها في شئونه .

والطفل الذي نقصد إليه هنا هو الطفل بمعناه الخاص ، ذلك أن الطفل لغة هو الصغير في كل شيء .

وقال ابن الهيثم ، الصبي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يبلغ الحلم .

والطفل قانونا له أكثر من اصطلاح ، وأكثر من معيار ، وذلك باختلاف الحالات الأوضاع . فهو قد يسمى صبياً وقد يسمى حدثاً وقد يسمى قاصراً ، ومع تلك المسميات تختلف الأعمار التي يقاس عندها وصف الطفل .

ولكن الطفل في حكم الميثاق هو من كان دون الثامنة عشرة ، ما لم يقرر قانونه الوطني بلوغه سن الرشد قبل تلك السن . وهكذا جعل الميثاق الطفولة صنواً لعدم توفر الرشد بحد أقصى لا يتجاوز ثمانية عشرة عاماً .

وتعريف الطفل على هذا النحو تعريف خاص بأغراض الاتفاقية وتطبيق أحكامها ، ومن ثم فإن الدول الاعضاء لا تلتزم ـ خارج ذلك النطاق ـ بأن تأخذ بهذا التعريف في أحكام قوانينها الوطنية .

ويتكون الميثاق من ثلاثة أجزاء رئيسية هي :

- الديباجة : وتحتوي على أهداف الميثاق ومفاهيمه الأساسية .

- **النصوص الموضوعية : وهي تعالج الالتزامات الجوهرية المفروضة على الدول .**

- الاحكام التنفيذية : وتتناول كيفية مراعاة احكام الميثاق ، وموعد دخوله طور التنفيذ .

والمستقرىء لنصوص الميثاق ينتهي أساساً إلى أن هناك مبادىء عامة توجه أحكامه وتغلب على مفاهيمه وتتلخص فيما يلي :

١ - مبدأ رعاية الصالح العام للطفل، وهذا المبدأ في عقيدتي هو العمود الفقري للميثاق وقد أكده الميثاق في مادته الثالثة، عندما قرر أن يولي الاعتبار الأول للصالح العام للطفل فيما يتعلق به من اجراءات أيا كانت الجهة المسئولة عن انجاز الاجراء ثم كرر الإشارة إليه في المادة التاسعة. وطبيعي أن يختلف المفسرون حول بيان علامات هذا المبدأ وتحديد اطاره، ولكن هذا الخلاف لا ينفي أن الميثاق قد سجل باثبات هذا المبدأ خطوة مباركة في تأكيد حقوق الطفل، وتأسيا بذلك المبدأ فإننا يجب عند تفسير نصوص الميثاق أن نراعي دائماً تغليب الصالح العام للطفل.

٢ - مبدأ توفير وسط عائلي أصيل أو بديل ، وهو مبدأ يتفرع عن المبدأ السابق ، ولكنه يستأهل ابرازه بذاته لما له من معطيات هامة في حياة الطفل ومستقبله ، وللطفل بناء على هذا المبدأ حق ثابت في أن يكون له مسئول عن تنشئته ، يلتزم برعايته ويسهر على تربيته ونموه وتعليمه وتثقيفه ، وبدهي أن يكون الأبوان هما المسؤلان النموذجيان في هذه الحالة ، لذا فإن للطفل حقاً في ألا يبعد عنهما ما لم يدع إلى ذلك داع من المصلحة العامة للطفل ، فإن حرم الطفل من الأبوين جاء دور الأوصياء ومؤسسات الرعاية .

ويندرج تحت هذا المبدأ نظام الكفالة في الدول الإسلامية ونظام التبني في الدول غير الإسلامية ، والحق أن لهذا المبدأ أهميته ، لأنه يحمي الطفل مما كان يقاسيه من نظرة تعامله على أنه قطعة غبار بشرية ، تشبع اغراضا مادية ، كتزويد الأسرة بيد عاملة يساء استغلالها أسوأ استغلال أو كمادة يتاجر بها فيما يسمى بالرق الأبيض ، فلا غرو أن يحيط الميثاق نظام التبني بالضمانات التي تنحيه عن العسف وسوء النية ، وفي هذا تقول ديباجة الميثاق ، إن الأسرة من حيث هي الوحدة الأساسية للمجتمع التي تهيء للطفل رفاهية يجب أن نثمن الحماية اللازمة لتمكينها من الاضطلاع الكامل بتلك المسئولية .

٣ ـ مبدأ التعاون الدولي ، ولذا فرض الميثاق التزامات تتعلق بتبادل المعلومات واقام لجنة حرص على ألا تكون ميدانا للمواجهة بين الدول ، بل جهاز لقاء ، وقد ربطها الميثاق بالأمم المتحدة من حيث أن الدول تقدم تقاريرها إلى اللجنة عن طريق الأمين العام للأمم المتحدة ، والتقارير التي تقدم للجنة تتضمن بيان العوامل والصعاب التي تؤثر على حسن قيام الدول بالتزاماتها ، كما تحتوي على المعلومات اللازمة لاحاطة اللجنة بصورة شاملة عن كيفية تنفيذ الدولة المعنية لالتزاماتها ، وتقوم اللجنة بدورها كل عامين بتقديم تقارير عن نشاطها إلى الجمعية العمومية للأمم المتحدة عن طريق المجلس الاقتصادي والاجتماعي . واللجنة بهذا التنظيم أقرب إلى الوكالة المستقلة ـ من حيث التكييف النظامي ـ منها جهازاً جديداً من أجهزة المنظمة العالمية لا سيما إذا اقتضى الأمر أن تقوم الدول الاطراف بتمويلها . وتستعين اللجنة ـ من قبيل تأكيد التعاون الدولي ـ بالوكالات المتخصصة واليونسيف وغيرها من أجهزة الأمم المتحدة في قيامها بمهامها ، كما أنها تملك أن تقدم توصيات للدول الاطراف وتخطر الجمعية العمومية بتلك التوصيات مع تعليق الدول المعنية عليها ، وحرى بالذكر أن أعضاء اللجنة وعددهم عشرة يعملون دون انتماء حكومي الأمر الذي يوفر لهم الحيرة في اداء مهامهم .

٤ ـ العمل على تنمية شخصية مستقلة ومتميزة للطفل ، ولعل أهم مظاهر تلك الشخصية تتمثل في تدريب الطفل على أن تكون له أراؤه الخاصة ، وأن يعبر عنها بحرية ، وأن يكون لرغباته الاعتبار الأول وفقا لسنه ودرجة نضجه ، كما أن الميثاق يضمن للطفل حرية الفكر والوجدان والدين وتكوين الجمعيات والاجتماعات السلمية. بيد أننا يجب أن لا نفرط في اضفاء الحريات والحقوق على الطفل من أجل الوصول به إلى هذه الشخصية لأننا نريد للطفل شخصية سوية ، والشخصية السوية لا تتحقق عن طريق التمتع المطلق بالحرية والا أدى ذلك إلى الفوضى والانحراف، ومن هنا حرص الميثاق على أن يحيط تلك الحريات والحقوق بسياج يضمن إلا تخرج عن مسارها القويم ولا أن تحيد عن طريقها المستقيم .

**ويمكن أن أوجز تلك القيود فيما يلي :**

أ ـ القيود التي ينص عليها القانون الوطني واللازمة لصيانة السلامة العامة والنظام العام وحسن الآداب.

ب ـ القيود التي يقدر الوالدان انها ضرورية في شأن ما يختاره الطفل من عقيدة ، إذ ليس للطفل أن يفعل ذلك قبل أن يتلقى من والديه أو أوصيائه التربية الدينية والاخلاقية التي يختارونها .

أما والميثاق وثيقة من وثائق حقوق الإنسان فإننا نستطيع أن نصنف الحقوق التي جاء بها حسب التصنيف التقليدي الذي سار عليه ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان .

**وتبعا لذلك نقول إن الميثاق قد نص على حقوق :**

١ ـ مدنية وسياسية تتمثل في حق الطفل في أن يكون له اسم وأن يحمل جنسية ، وحريته في التعبير ، والتجمع وتحريم فصله عن والديه وحمايته ضد التعذيب وسوء المعاملة .

٢ ـ اقتصادية مثل حق الطفل في مستوى معين من المعيشة وحمايته ضد الاستغلال في العمل والجنس .

٣ ـ اجتماعية مثل توفير مستوى كاف من الرعاية الصحية والخدمات الطبية ورعاية المعوقين.

٤ ـ ثقافية مثل التعليم والحصول على المعلومات الصحية والراحة والاندماج في النشاط الفني والثقافي.

كذلك يمكن أن نتخذ من الغاية المستهدفة من وراء الحق معياراً للتصنيف. وعندئذ تنقسم حقوق الطفل إلى:

١ ـ حقوق البقاء ، وهي ـ كما يدل عليه اسمها ـ حقوق لصيقة بشخص الطفل كحقه في الغذاء والحياة على مستوى معين والخدمات الطبية ، فهذه كلها اساسيات لضمان بقاء الطفل كائناً بشرياً كريماً ، ومن ثم فهي ادخل في الحقوق الطبيعية التي يفترض أن يتمتع بها الطفل دون حاجة إلى نص أو ميثاق ، بل يمكن أن تحاجّ بها الدول ولو لم تكن طرفا في الوفاق .

٢ ـ حقوق التنشئة، وهي الحقوق التي تؤمن للطفل نموه وتقدمه مثل التعليم والاندماج في النشاط الثقافي وحرية الفكر والوجدان والعقيدة.

٣ ـ حقوق الحماية وهي التي تؤمن الطفل ضد مخاطر الحياة وشرورها ، كحماية الطفل ضد سوء الاستغلال في العمل أو الاجبار على البقاء أو الانفصال عن اسرته ، وهي تمثل الحد الادنى من المعاملة التي يجب على أي دولة متحضرة أن توفرها للطفل .

٤ ـ حقوق المساهمة ، وهي التي تؤهل الطفل لأن يكون عضواً عاملاً ذا نشاط ايجابي في مجتمعه مثل حق الطفل في التعبير عن آرائه بحرية، وأن تؤخذ اراؤه بعين الاعتبار فيما يمسه من قرارات ، والحصول على المعلومات الصحيحة .

فإذا انتقلت بعد ذلك إلى تفصيل ما عممت واردت أن استعرض ما احتواه الميثاق من احكام فإن هناك حسنة يتسم بها الميثـاق تذكـر فتشكر ويقتضي الانصاف أن أشيد بها منذ البداية ، ذلك أن الميثاق يفرض على الدول تبعات غير مسبوقة بالنسبة لحقوق الطفولة لم تبد الدول من قبل استعدادها لتقبلهـا كالتزامات قانونية ملزمة ، وتتجمع تلك التبعات الجسام إلى جانب ما قدمت من بيان في الحقوق العشرة التالية :

١ ـ عدم العسف بالطفل أو اهماله ( مادة ١٦ ) والجديد في هذا الالتزام أنه يؤكد تحريم العسف والاهمال العائلي على نحو لم يسبق له مثيل في ميثاق ملزم .

٢ ـ التبني والكفالة ( مادة ٢١ ) ويتميز الميثاق هنا بابراز الحاجة إلى ضمانات جدية تحيط باجراءات التبني والكفالة حتى لا يسخر هذان المدركان لغـير صالـح الطفل . صحيح أن الأمم المتحدة سبقت بهذه الضمانات منذ ثلاث سنوات ولكنها صدرت في صورة اعلان غير ملزم .

٣ ـ صحة الطفل( مادة ٢٤ ) وخاصية الميثاق هنا هو أننا نشهد فيه ـ للمرة الأولى في ميثاق ملزم ـ التزاما على الدول بأن تكف عن اتباع التقاليد القومية ذات المعقبات السيئة على الطفـل ، وحرى بـالاشارة هنـا أن الاطفال اصبحـوا يواجهون الآن مرض نقص المناعة ( الايدز ) ويصاب معظم الاطفـال من ضحايا المرض اثناء الحمل ، وتدل الدراسات على أن حوالي نصف الامهات يورثن هذا المرض لاطفالهن وهم في الارحام أو خلال الولادة ، أما الرضاعة الطبيعية فليست وسيلة اساسية لنقل المرض .

٤ ـ المراقبة الدورية الجادة لاماكن اقامة الطفل ورعايته للتأكد من ملاءمتها للقيام بدورها ( مادة ٣ ) وهذا اتجاه حديث وجديد على التزامات الوالدين .

٥ ـ التعليم ( مادة ٢٨ ) والمستحدث هنا هو الإشارة إلى أن النظام المدرسي يجب أن يرتب على نحو يتلاءم مع كرامة الطفل وإنسانيته .

٦ ـ المخدرات ( مادة ٣٣ ) والنص على حماية الطفل ضد مساوىء المخدرات والبعد به عن أن يقع فريسة لمن ينتج تلك المواد أو يوزعها ، وهو نص لم تعرفه الوفاقات الدولية من قبل .

٧ ـ ضمان حرية الطفل ( مادة ١٣ ) والطريف هنا أن حرمان الطفل من حريته اجراء لا يجوز اللجوء إليه إلا للضرورة القصوى ، وإن حصل فيجب أن ينتهي باسرع ما يمكن .

٨ ـ العناية بالتأهيل ( مادة ٢٣ ) ونص الميثاق في هذا الخصوص يعتبر اضافة محمودة فهو يفرض على الدول أن تشجع العلاج المناسب للاطفال المعوقين جسمانياً أو نفسانياً لا سيما إذا كان ذلك نتيجة انتهاك حقهم في الحماية وتحريم استغلالهم .

٩ ـ ادارة قضاء الاحداث ( مادة ٤٠ ) لقد سبقت الميثاق في ذلك وثيقة الحد الأدنى للقواعد النمطية لإدارة قضاء الأحداث التي صدرت سنة ١٩٨٥ . بيد أن ما قالته الوثيقة غير ملزم ، وما قاله الميثاق ملزم وحرى بالذكر أن النص الخاص بتلك القضية يكاد يكون اطول نصوص المشروع عبارة واحكاماً .

١٠ـ بث الدعاية للميثاق ( مادة ١٧ ) والحق أن هذا الحكم يرد تحت إجراءات التنفيذ ولكن ادرجته هنا ضمن الجديد ، لأنه يسجل للمرة الأولى اقراراً محدداً وصريحاً بأن الاطفال أنفسهم في حاجة إلى الحصول على معلومات بشأن حقوقهم ، فهو بهذا يكشف عن تغير جذري في الموقف الدولي حيال حقوق الطفل. انني لا أزعم أنني بما قدمت قد غطيت كل جديد في الميثاق ، فهناك نقاط أخرى يمكن أن تندرج تحت هذا المفهوم مثل الحقوق المتعلقة باطفال الاقليات وحرية التجمع الأمر الذي يكشف عن المدى البعيد الذي قطعه الميثاق من أجل الطفل ورعايته ولكني أخذت الأظهر والأهم .

ولا أنوي بعد ذلك أن أكرر نصوص الميثاق ، فالميثاق بين يدي الجميع وقراءته على حضراتكم لا بد أن تثير الضجر ، ولذا فإني اكتفي بعجالة الخص فيها أهم الاحكام الأخرى التي تضمنها الميثاق ـ إلى جانب ما سبق أن عرضت له من حقوق ـ فيما يلي : ـ

١ ـ لكل طفل منذ مولده حق في اسم وجنسية ، وكأني بالميثاق يأخذ بحق الاقليم في تحديد الجنسية إذا لم يكن للطفل جنسية ، لأن الالتزام يفرض على الدولة التي ولد على اقليمها أن تمنحه جنسيتها إذا لم تكن له جنسية . والميثاق بذلك يسهم في محاربة ظاهرة انعدام الجنسية لدى الأطفال، وبذلك يسعى لتصفية قضية من قضايا النزاعات الدولية.

٢ ـ لا يجوز فصل الطفل عن والديه ما لم تقرر السلطات المختصة ذلك تحقيقاً للصالح العام للطفل .

٣ ـ يتحمل الوالدان المسئولية الاساسية في تنشئة الطفل ، وعلى الدولة أن تزودهم بالمعونة المناسبة وأن تطور مؤسسات العناية بالطفل ، وتزود الدولة من لا والدين له بالعناية البديلة الملائمة .

٤ ـ تحمي الدولة الطفل من أن يصيبه ضرر جسماني أو عقلاني أو أن يكون محل إهمال .

٥ ـ من حق الطفل أن يتلقى أعلى مستوى من العناية الصحية ومن حق المعوقين أن يحصلوا على علاج خاص .

٦ ـ يجب أن يوفر للطفل التعليم الأولى الالزامي بالمجان وفي أبكر سن ممكنة ويجب أن يبني النظام التعليمي على احترام كرامة الطفل وأن يستهدف في التعليم حسن اعداد الطفل لحياته المستقبلية بروح التفاهم والتسامح .

٧ ـ أن يكون للاطفال وقت للراحة والمتعة ، وفرص متساوية للنشاط الثقافي والفني .

٨ ـ تبذل اقصى الجهود لاستئصال ظاهرة اختطاف الاطفال والاتجار بهم .

٩ ـ لا تطبق عقوبة الاعدام أو السجن المؤبد على ما يرتكبه الطفل من جرائم .

١٠ـ لا يسمح للاطفال بالاشتراك في أعمال العدوان ، وتقرر لهم حماية خاصة إذا ما قام نزاع مسلح .

١١ـ اطفال الاقليات واطفال الأهالي البدائيين لهم حق التمتع بثقافتهم الخاصة وعقيدتهم ولغتهم .

١٢ـ يجب تقديم المعالجة اللازمة أو التأهيل لمن شقى من الاطفال بسبب سوء المعاملة أو الحجز .

**إن نظرة فاحصة على ما قدمت من حقوق تنتهي إلى أن تلك الحقوق تدور حل محاور ثلاثة :**

١ ـ **محور التجهيز** : بأن يتلقى ويحوز على بعض الاشياء والخدمات ، كأن توفر له الرعاية الصحية والتعليم أو أن يحمل اسماً وجنسية .

٢ ـ **محور الحماية** : بابعاده عن التصرفات والممارسات الضارة مثل الانفصال عن الوالدين أو الانخراط في السلك العسكري .

٣ ـ **محور المساهمة** : ويعني حق الطفل في أن يسهم فيما يمسه من قرارات وأن تكون له مع تطور قدراته فرص المشاركة في النشاط الاجتماعي تجهزا لمرحلة البلوغ .

**وإذا كانت تلك هي حقوق الطفل فما هو الضمان للطفل للتمتع بها ، لقد** حرص الميثاق على أن يزود الطفل بضمانات أهمها :

١ ـ التزام الدول بأن تتبنى تشريعاتها الوطنية ما جاء به الميثاق من انماط ، وأن تتخذ الخطوات التدريجية للقيام بالخدمات التي أوصى الميثاق بها وذلك على افضل قدر تستطيعه .

٢ ـ تقوم الدولة بطريقة منتظمة بنشر تقارير منتظمة توضح مدى مجاراتها لاحكام الميثاق .

٣ ـ حث الدول على أن تسعى بطلب النصيحة الفنية والمعونة المادية من اليونسيف أو غيره من أجهزة الأمم المتحدة ووكالات المعونة الدولية .

٤ ـ لجنة الرقابة التي سبق أن تعرضت لكيانها واختصاصها .

٥ ـ لكل من يهمه شأن الطفل من قطاع عام أو خاص أن يراقب مراعاة الدول والمؤسسات الخاصة والعامة لحقوق الطفل وفوق هذا وذاك الضمانة الكبرى لاحكام القانون الدولي ألا وهي الرأي العام العالمي الذي لا بد أنه سيكون على بينة من مخالفات الدول ازاء الدعاية الواسعة التي يتطلب الميثاق مراعاتها .

قد يترآى للبعض أن رقابة الرأي العام رقابة غير فعالة ولكني ابادر فأقول إن هذا تصور غير دقيق بالنسبة للقضية المعروضة حالياً ، خصوصاً إذا وضعنا في اعتبارنا مدى الاهتمام الذي لقيته من مختلف القطاعات الدولية والمحلية اثناء اعداد مشروع الاتفاقية ، وقد يكون المقام مناسباً لايراد بعض السوابق التي تؤيد ما اقول وتزكي **إن نجاح الحماية اعتمد على ضمانة الرأي العام واليكم البيان :**

١ ـ مبادرة باماكو: وهي مبادرة تبناها وزراء الصحة في باماكو/مالي في سبتمبر سنة ١٩٨٧ ويشترك فيها الآن أكثر من عشرين بلداً أفريقياً في منطقة جنوب الصحراء الكبرى ، وتهدف تلك المبادرة لتيسير الرعاية الصحية الدولية بالنسبة للأمهات والاطفال ، وقد دعمها مؤتمر القمة الأفريقي الذي عقد في أديس أبابا سنة ١٩٨٨ ، وتعاونت معه هيئة اليونيسيف وهيئة الصحة العالمية في اعداد الأسس العامة لاعمال المبادرة ونالت تلك الأسس موافقة وزراء الصحة الافارقة .

وعلى الرغم من الركود الاقتصادي فقد تحمس الكثيرون لتلك المبادرة ،

وابدوا استعدادهم لدفع الثمن الباهظ للدواء ، وتجري الآن مفاوضات مع بعض الدول لتقديم تبرعات ، بدعوى إن هذه التبرعات تعتبر وسيلة لاستثمار مؤجل في امهات وأطفال أفريقيا .

٢ ـ اعلان تالوار : الذي صدر في مارس سنة ١٩٨٨ من فريق عمل شكله البنك الدولي وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية وهيئة الصحة العالمية واليونيسيف ، ويحتوي الاعلان الذي صدر في مدينة تالوار الفرنسية على النقاط الرئيسية التالية :

أ ـ من المسلمات العالمية أن الطفل السليم والأسرة المترابطة هما عنصران أساسيان في التنمية البشرية والوطنية .

ب ـ اعداد برنامج للتطعيم لحماية الاطفال الرضع . إن التطعيمات الآن تحمي ٥٠٪ من هؤلاء الاطفال في الدول النامية .

جـ ـ اعداد برنامج لمعالجة الجفاف ، هذه المعالجة توفر العلاج الآن لقرابة ٦٠٪ من أطفال العالم النامي وترتب على ذلك أن انخفض عدد الوفيات الناجمة عن الحصبة وحدها ووفيات الاطفال الرضع والاطفال دون الخامسة والأمهات ، وكل هذا لا بد أن يحدث نمواً سكانياً متوازناً .

٣ ـ تجربة ايرنجا : وهي تجربة بدأت في ديسمبر سنة ١٩٨٣ بتنزانيا تحت اشراف رئيس وزرائها والمدير التنفيذي لليونيسيف وتستهدف تحسين صحة الاطفال بتغذيتهم ، وقد تبين بعد خمس سنوات من تنفيذ التجربة أن سوء التغذية انخفض بنسبة ٦٠٪ وأن وفيات الاطفال قلت بنسبة ٣٠٪ ويرجع نجاح التجربة إلى أنها سارت على نهج استفتاء واسع لأهل البلاد القرويين الذين استشعروا بما أبدوه من آراء أنهم هم المسؤولون عن البرنامج ، وقد أدى نجاح البرنامج إلى توسعة رقته ليشمل ٦٢ قرية ، وتجري حالياً دراسة لتقويم تكاليف الامتداد بالبرنامج إلى كافة أرجاء البلاد .

تلك أمثلة لمبادرات اتخذت سبيلها في الدول النامية ، لا سند لها إلا قوة

الرأي العام ، ولا دعم لها إلا استجابة الجماهير ، فانقلبت بنعمة من الله على الاطفال خيراً وبركة . أما وقد قدمت ما قدمت فقد آن لنا الآن أن نتساءل عن الطفل العربي ، وتعرف على مستوى ما يقدم إليه من رعاية على المستوى الاقليمي .

**إن استعراض أوضاع الطفل العربي تقتضي أن نحدد المعيار الذي نقيس عليه هذه الاوضاع :**

تتجه الدراسات التقليدية إلى مستوى التنمية ونسبة النمو السنوي للفرد الواحد من الناتج القومي بالاجماع ، ويتخذون من هذا مقياساً ، بيد أن هذا المقياس التقليدي وإن كانت له بعض الفوائد ـ إلا أنه مؤشر قاصر ، لأن الناتج القومي الاجمالي لا يعكس عدة عوامل لها اعتبارها مثل العمل الذي تؤديه النسوة بلا أجر أو بناء المساكن بواسطة اصحابها في حين أن أوجه النشاط التي من هذا القبيل ضرورية لتنمية الملايين من الاشخاص . في حين أن الناتج القومي الاجمالي لا يحتويها كذلك فإن احصائيات الناتج القومي الاجمالي لا تشمل المستويات الحقيقية للدخل الاجتماعي الذي توفره الخدمات التي تقوم الحكومة بتمويلها مثل الصحة والتعليم . هذا فضلاً عن أن حصة الفرد من الناتج القومي الاجمالي إنما يتم بحساب القيمة الكلية للانتاج القومي السنوي وقسمته بالتساوي على مجموع عدد السكان ، ولكن هذه القيمة قد تختلف كثيراً من الناحية النظرية عن واقعها الفعلي ، والمثل التالي يوضح ما أقول :

تبلغ حصة الفرد الواحد من الناتج القومي في كينيا والبرازيل وبيرو ضعف حصة الفرد الواحد في بنغلادش وتايلاند وسيرلانكا ، في حين أن الفقراء في بنغلادش يعيشون من حيث الواقع في المستوى ذاته الذي يعيشه فقراء كينيا ، والأمر كذلك بالنسبة لكل من تايلاند والبرازيل وسيرلانكا .

ومن ثم فإن الدراسات الحديثة قد تخلت عن هذا المقياس التقليدية ، ولم تعد تكتفي به وحده لا سيما عندما تتوافر الاحصائيات الاجتماعية ، ويتجه

الباحثون الآن نحو معايير أخرى مثل معدل العمر المتوقع ونسب وفيات الاطفال وتعليم الكبار والانتظام في الدراسة والاوضاع الغذائية ونسبة الاشخاص الذين تتوفر لهم مياه نظيفة للشرب . تلك هي المعايير التي أصبحت أكثر انتشاراً اليوم ، لأنها أقدر على قياس النتائج النهائية للتنمية ، ولا تقف عند مدخلاتها فحسب فضلاً عن انها أقرب إلى الواقعية في قياس الرفاه الاجتماعي .

ومن ثم فإنني سأتخذ من تلك المعايير مقياساً للتعرف على وضع الطفل العربي ، وسندى في ذلك احصائيات اليونسيف وطبقاً لتلك الاحصائيات ، لو أخذنا معيار نسبة الوفيات في الاطفال دون الخامسة ، **نجد أن الدول العربية تنقسم إلى خمس فئات :-**

دول ذات نسبة عالية جداً من الوفيات وهي : اليمن والسودان.

ودول ذات نسبة عالية من الوفيات أيضاً وهي : ليبيا ، المغرب ، الجزائر ، السعودية ، العراق .

ودول تكون تلك النسبة فيها متوسطة وهي : تونس ، سوريا ، الاردن ، لبنان ، قطر ، الإمارات العربية المتحدة ، والبحرين .

ودولة عربية واحدة فقط هي : دولة الكويت نسبة وفيات الاطفال فيها منخفضة جداً .

وقد الحقت بهذا البحث بياناً بالدول والنسب المختلفة لمن يريد أن يطلع عليها(*) . وأود أن اضيف هنا أن البيانات التي قدمتها ليست من الدقة بحيث نتخذ منها دليلاً مطلقاً وإنما هي ما استفدته من النشرات التي تعتمد على مصادر مختلفة ووسائل متباينة ، ولكني قدمتها للاسترشاد بها ولتقريب الصورة إلى الاذهان قدر الامكان ، والتي يتضح منها أن معظم الدول العربية - باستثناء

---

* راجع الملحق

الكويت ـ لا زالت دون المرجو في رعايتها للطفولة من نواحيها المختلفة وتلك حقيقة أقرّ بها ميثاق حقوق الطفل العربي الذي صدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية سنة ١٩٨٤ ، إذ جاء في ديباجة الميثاق ما نصه : « واعترافاً بأن الجهود المبذولة في تنمية ورعاية الطفولة في الوطن العربي ما زالت غير كافية وغير متكافئة مع ما نرجو ونأمل لاطفالنا في حاضرهم ومع ما يؤمن تأهيلهم للاضطلاع بمسئولية بناء مستقبل امتهم والذود عنها » .

وهنا أُحيي مجلس وزراء الشئون الاجتماعية العرب لقرارهم أن يستهدفوا تخفيض نسبة وفيات الأطفال إلى النصف وذلك بحلول عام ١٩٩٠ ، وآمل أن تعينهم الظروف على أن يكونوا عند وعدهم ، فهو مؤشر حضاري عظيم .

وأقف هنا وقفة قصيرة لأذكر أن هذا الميثاق العربي يشتمل على ثمان وأربعين مادة ، ويقضي في المادة السادسة والأربعين بأن تتخذ كل دولة عربية الخطوات اللازمة في حدود ما تسمح به امكاناتها المادية والفنية لتحقيق أحكام هذا الميثاق وبكل الطرق المناسبة . وهكذا سلك الميثاق مسلكاً واقعياً في نظرته إلى الدول العربية ، وامكاناتها التي قد لا تسمح لها بأن تقدم للطفل مستوى من المعونة يرتفع إلى الانماط المرجوة ، وهو بذلك يقر ـ عن حقيقة ـ بأن الطفل العربي يعيش في محيط وضمن قدرات تفرض عليه في كثير من الدول أن يظل دون غيره من أطفال العالم ، وتحول دون أن تسمو الكثرة من الدول العربية إلى مستوى الطموحات التي تضمنها الميثاق سواء من حيث المبادىء أو من حيث الحقوق الأساسية للطفل العربية أو الأهداف .

**وقد يكون من المناسب في هذا المقام . . ان أعرض على حضراتكم موجزاً لما تضمنه الميثاق العربي :ـ**

**١ ـ المنطلقات الأساسية :**

أ ـ تنمية الطفولة ورعايتها وصون حقوقها من حيث هي مكون أساسي من مكونات التنمية الاجتماعية والتزام ديني ووطني وقومي وإنساني .

ب ـ التنشئة السوية للطفل مسئولية عامة .

جـ ـ الاسرة هي نواة المجتمع وأساسه ، وقوامها التكافل على هدى الدين والاخلاق والمواطنة ولذا يجب دعمها كي تنهض بمسئولياتها .

د ـ الأسرة الطبيعية هي البيئة المفضلة لتنشئة ورعاية الاطفال ، والأسرة البديلة هي الخيار المقدم لملاقاة تعذر هذه التنشئة والرعاية .

هـ ـ تأمين الحقوق الواردة في الاعلان العالمي لحقوق الطفل ، للاطفال العرب كافة دون تمييز ، وواضح أن هذا الالتزام صيغ في ظل الاعلان الذي صدر سنة ١٩٥٩ ، ولهذا النص حكمته ، لأنه جعل من الحقوق الواردة في الاعلان ـ الذي لم تكن له قوة الالزام الدولية ـ نصوصاً ملزمة قانوناً ومن ثم فإن هذا النص يفقد الكثير من أهميته بصدور ميثاق حقوق الطفل وصيروة الدول العربية طرفاً فيه .

**٢ ـ الحقوق الأساسية للطفل العربي ، وتقوم جميعها على تأكيد كفالة حق الطفل فيما يلي :ـ**

أ ـ الرعاية والتنشئة الأسرية .

ب ـ الأمن الاجتماعي والنشأة في صحة وعافية .

جـ ـ التعليم المجاني والتربية في مرحلتي ما قبل المدرسة والتعليم الأساسي .

هـ ـ الخدمة الاجتماعية المجتمعية والمؤسسية المتكاملة والمتوازنة بكل قطاعات الطفولة .

و ـ رعاية الدولة وحمايتها له من الاستغلال ومن الاهمال الجسماني والروحي .

ز ـ أن ينفتح على العالم من حوله ، وينشأ على حب خير الإنسان ، ويدرك أهمية السلام والصداقة بين الشعوب ، ومحبة اخوانه في الإنسانية .

**٣ ـ صون الحقوق وضبط المناهج :ـ**

يتم ذلك عن طريق :ـ

أ ـ احاطة الحقوق بالحماية التشريعية ، وأن يكون لمصلحة الطفل الاعتبار المقدم في كل الحالات .

ب ـ الأخذ بالمناهج التربوية والوقائية ، والتكامل القطري والقومي في توفير الحاجات الأساسية وتقديم الخدمات وشمول وعدالة توزيعها وتركيزها .

**٤ ـ الأهداف :ـ**

يهدف الميثاق إلى ما يلي :

أ ـ ضمان تنشئة أجيال من الاطفال العرب تتجسد فيهم صورة المستقبل الذي نريد.

ب ـ تأمين حياة الأسرة وتوفير حاجاتها الأساسية وضماناتها الاجتماعية .

جـ ـ توفير الرعاية الصحية الكاملة حقاً ديمقراطياً مشاعاً مقدماً لكل طفل عربي ولأمه .

د ـ اقامة نظام تعليمي قطري وعربي ديمقراطي في عطائه وقومي في التزاماته.

هـ ـ تأسيس خدمة اجتماعية متقدمة .

و ـ تأسيس نظم للرعاية والتربية الخاصة للاطفال المعوقين والموهوبين .

**٥ ـ المنطلقات والوسائل :ـ**

أ ـ شحذ الإدارة السياسية .

ب ـ الاسراع بالتنمية القومية الشاملة والالتزام بالتخطيط العلمي .

جـ ـ قيام لجنة للطفولة في كل قطر عربي ، يكون من مهامها ، اجراء دراسات ووضع خطة متكاملة .

د ـ اعتماد المنهج المتكامل في تقديم الرعاية والخدمات الأساسية.

هـ ـ الاهتمام بأمر التدريب الذي يشمل القيادات المتخصصة في مجالات الطفولة والأمومة وخدماتها .

و ـ اقامة شبكة من المؤسسات والمرافق لايصال الخدمات الأساسية للاطفال .

ز ـ الالتزام بما خطته استراتيجية تطوير التربية في الوطن العربي وتوفير مستلزمات تنفيذها .

ح ـ اعطاء مزيد من الاهتمام والجهد لرعاية وتربية طفل ما قبل المدرسة ( دور الحضانة ورياض الاطفال ) .

ط ـ دعم جهود المؤسسات التي تقوم بخدمات الطفولة .

ى ـ الاهتمام بالاحصاءات والبحوث ودعم مؤسساتها .

ك ـ توفير الموارد البشرية والمادية اللازمة لتنفيذ خطط وبرامج رعاية الطفولة .

ل ـ تطوير الإدارة والأجهزة التعليمية والتنظيمية والمؤسسية لتكون قادرة على التكيف مع متطلبات كل خدمة .

م ـ الحرص على المشاركة الأسرية والشعبية في رعاية وتنمية الطفولة ودعم الجهات المعنية بها .

وبدهي أن مشاركة تلك الجهات بحاجة إلى درجة عالية من الوعي لدى الوالدين وأفراد الأسرة والمجتمع العربي كله والاستعانة ـ إلى أقصى حد ـ بوسائل الاعلام المختلفة وتنقية ما تقدمه أجهزة الاعلام من برامج ، والحرص على اصدار التشريعات والقوانين السليمة وتعديل ما هو قائم منها مع اقرار حماية دستورية لحقوق الطفل .

**٦ ـ العمل العربي المشترك في مجال تنمية رعاية الطفولة : ـ**

أ ـ تنمية الطفولة ورعايتها كأولوية قومية .

ب ـ انشاء منظمة عربية للطفولة ، وصندوق عربي لتنمية ورعاية الطفولة .

جـ ـ تعزيز التعاون العربي في مجال توحيد المصطلحات والنظم الاحصائية الأساسية .

د ـ منح أولوية مقدمه للصناعات المتصلة بتنمية الطفولة ، كصناعة الامصال واللقاحات وأغذية الأطفال .

هـ ـ انشاء مؤسسة عربية لأدب الطفل .

و ـ التأكيد على الأهمية القصوى لرعاية الطفل الفلسطيني داخل الأرض المحتلة وخارجها .

ز ـ دعم الحضور العربي في المؤسسات واللقاءات والمحافل التي تهتم بالطفولة .

ح ـ تقدم الدول العربية إلى جامعة الدول العربية تقارير دورية عن الإجراءات التي اتخذتها والانجازات التي حققتها .

إن الممحص لهذا الميثاق لا يخطئه الشعور بأنه قد تأثر فيما جاء به من أحكام بالاعلان العالمي لحقوق الطفل لسنة ١٩٥٩ ، ولكنه زاد عليه الاسلوب الشاعري الذي يخرج بالصياغة عن الحبكة القانونية الدقيقة ، وهو بذلك يعكس الطبيعة العربية التي تستأثرهاالعبارات الطنانة والالفاظ البراقة على حساب الدقة والفعالية احياناً ، وقد سيطرت عليه المثالية النظرية في بعض المواقع ، ولكن الميثاق بالرغم من تلك المثالب له ميزة أنه أقر بما للطفل من حقوق وأكد أن هذه الحقوق يجب أن تقابلها التزامات على الدول العربية فرادى وجماعات ، وكما يقولون فإن أول الغيث قطر ثم ينهمر.

فإذا انتقلت بعد ذلك من التعميم إلى التخصيص وانتقيت أطفال الخليج من بين أطفال العرب لاناقش أوضاعهم العامة ، فإني ساعتمد على التقارير التي يعدها مجلس التعاون لدول الخليج العربية بالاشتراك مع اليونيسيف عن خدمات رعاية الطفولة . **ويمكن أن أخلص من تلك التقارير إلى الحقائق التالية :ـ**

١ ـ تعتبر دول الخليج أن الفترة الراهنة في قطاع الصحة فترة اعداد ، يجب أن يتم خلالها اقامة التجهيزات المادية الأساسية مثل المستشفيات والمراكز الصحية ونظم الطب العلاجي .

٢ ـ تعترف دول الخليج بأن المعدلات الحالية لوفيات الاطفال الرضع والمستوى الحالي لتحسين الاطفال حديثي الولادة تنبىء عن تقصير خطير ، وتبرر ذلك بارتفاع نسبة الاجانب وعدم الاستفادة الكاملة من الخدمات خاصة بسبب جهل الأمهات ، وعدم التنسيق الإداري والثقافي .

٣ ـ تنحصر الاخطار الصحية العامة في فقر الدم وسوء التغذية والبدانة والأمراض التي تتسم بالحياة العصرية والتي تتميز بالرتابة وقلة حركة الطفل . وبالرغم من ذلك فإن دول الخليج حققت في مجال تطور نظم الرعاية الصحية تقدماً ملحوظاً ، وأقامت المرافق الخاصة بخدمات رعاية الأمومة والطفولة .

٤ ـ كذلك تستشعر دول الخليج ـ بالنسبة للتعليم ـ أنه في حاجة إلى أن يتجه إلى تدريب الذهن لا تدريب المهارة وهذا يتطلب بداهة إعادة النظر في مناهج التعليم ، وكيفية اعداد المعلمين الذين هم في الغالب من غير المواطنين . وهنا أود أن أذكر تقرير التنمية الدولية اذي صدر عن البنك الدولي عام ١٩٨٠ ، إذ أكد أن معدلات وفيات الاطفال الرضع يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتعليم حتى أنه يقال إن أي شيء تتلقاه الأم من التعليم الابتدائي يقابله انخفاض في معدل الوفيات .

٥ ـ أما في قطاع الشئون الاجتماعية ، فإن جوانب القصور الرئيسية تتمثل في عدم الاتفاق على أهداف واضحة ومحددة وتشتت الاشراف الإداري وعدم توافر التنسيق .

٦ ـ بقي الجانب الخاص بالشباب والرياضة ، وقد حاز هذا الجزء قدراً طيباً من العناية والرعاية ، بيد أن حظ الفتيات من تلك الرعاية محدود ، كما أن الفرصة غير متاحة بالقدر الكافي أمام الاطفال ، ولا سيما بالنسبة لأولئك الذين تقل اعمارهم عن تسع سنوات ، مع أنهم هم بذور المستقبل ودعامة استمرار النهضة الرياضية .

ومن حسن الطالع . . أن هناك حركة نشطة في هذا المضمار لجمع وتبويب المعلومات الاحصائية بيد أنها ما زالت دون المستوى المرجو الذي يسد الحاجة على المدى الطويل إلى اصلاح المناهج التعليمية وتسهيل اقرار مناهج أساسية مشتركة، وتوفير فرص متزايدة لتدريب المواطنين، وكذا الحاجة على المدى القصير إلى توجيه الأجانب العاملين لغوياً وتوجيهياً ثقافياً.

ولا بد لدول الخليج من أن تعمل على سد الثغرة القائمة بين الخدمات والهيئات المحلية وتقوية الوعي المحلي والاجتماعي .

ومن المؤسف أن دول الخليج قد بليت في السبعينات ببدعة الرضاعة الصناعية التي انتشرت بين عدة قطاعات على حساب الرضاعة الطبيعية ، كما اعتبر تلك مسئولية تنشئة الاطفال للخادمات من مظاهر الترف والرفاهية .

ولذا ، فإنني اذكر بالتقدير لمجلس وزراء الضحة في دول الخليج قرارهم السديد بتقييد بيع بدائل الحليب الطبيعي مجاراة لسياسة هيئة الصحة العالمية واليونسيف . والطريف أن الدراسات العلمية تؤكد أن أكثر من ٩٥٪ من الأمهات قادرات على ارضاع اطفالهم بلبنهن الطبيعي .

ومن هنا تبدو الحاجة ماسة إلى توعية الأمهات وتثقيفهن في نطاق الاحتياجات الغذائية للأطفال الرضع ، ومفاهيم الرعاية الصحية ، ومساعدتهن على التكيف مع المتغيرات السريعة التي يعايشها مجتمعنا الخليجي .

إن قلة عدد المواطنين الذين يعملون في قطاع صحة الاطفال ، وعدم كفاية الاعتمادات المالية وعدم وضوح الرؤية بالنسبة لمن يعدون المخططات ، هذا إلى جانب تشتت الاشراف وعدم التنسيق وارتفاع مصروفات الرياض الأهلية والخاصة والنقص البالغ الذي تعانيه المكتبة العربية للاطفال وندرة ما هو متوفر منها في كثير من الأحيان من ذي الطابع الوطني الصادق القويم ، كل ذلك كان مسئولاً عن حرمان الطفل الخليجي بوجه خاص من الرعاية والعناية التي نتمناها له وقد نكون هنا في حاجة لأن نستفيد بالكفاءات في رسم علامات الطريق القويم ، كذلك يؤخذ علي الجمعيات النسائية التي توجد في دول الخليج أنها تتركز أساساً في المدن ولا تمتد بخدماتها على نحو كاف إلى القرى ، علماً بأن سكان القرى هم الاحوج إلى تلك الخدمات نظراً للبيئة غير المتحضرة التي تحيط بهم عادة .

وتدل الاحصاءات على أن عدد الاطفال المعوقين في دول الخليج قد وصل رقماً مخيفاً إذ يبلغ حوالي ٥٠٠ ـ ٦٠٠ ألف طفل فيمن تقل اعمارهم عن خمسة عشرة سنة ، ولا زالت برامج الخدمات والتأهيل ـ على الرغم من التوسع الذي طرأ عليها ـ عاجزة عن الوفاء باحتياجات هؤلاء الاطفال الأمر الذي يجب أن يستحث دول الخليج على تبني سياسة متكاملة عاجلة تمد يد العون الجدي لهم وتنشر مظلة كبيرة على مشكلاتهم .

وقد يكون من المناسب في هذا المقام أن أورد التوصيات التي تضمنها تقرير مشترك من الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية واليونسيف ضمن تقرير نشر في سنة ١٩٨٥ ، فهي على الرغم من مرور بضع سنوات لا زالت لها جدواها وفعاليتها والتوصيات هي :ـ

١ ـ وضع واعتماد سياسة متكاملة لرعاية الطفولة .
٢ ـ اعتماد أهداف كمية محددة زمنياً لشمولية خدمات رعاية الأمومة والطفولة .
٣ ـ انشاء أو إعادة تنشيط المجالس العليا لرعاية الطفولة في كافة الدول الأعضاء .
٤ ـ متطلبات التدريب المستقبلية للجهات العاملة في مجال خدمات رعاية الأمومة والطفولة .
٥ ـ الجهود المستمرة في مجال توعية المجتمع .
٦ ـ اصلاح المناهج واعتماد مناهج أساسية مشتركة .
٧ ـ زيادة مرافق التعليم قبل المدرسي ( رياض الاطفال ) وتوسيع نطاقها .
٨ ـ توسيع نطاق خدمات منع الاعاقة وتشخيصها وعلاجها وتعليم الاطفال المعوقين .
٩ ـ انشاء مؤسسة خليجية تنظم دورات تدريبية لكافة الفئات التخصصية المعنية لمنع وعلاج الاعاقة .
١٠ـ النظم الخاصة بمنع الاصابة الناتجة عن حوادث السيارات للاطفال الصغار .

١١ـ برامج اللياقة البدنية وفرص الرياضة والترفيه للبنات .
١٢ـ إنشاء مجمعات رياضية واستخدامها من قبل الفتيات والاطفال الصغار .

وأيا كان الأمر . . فإن قضايا الطفولة هذه ليست قاصرة على الدول الخليجية أو العربية ، بل تشارك فيها دول العالم الأخرى الصناعية والنامية على حد سواء ، ولذلك فإننا نجد ـ كما قدمت أن نصوص ميثاق حقوق الطفل قد تعرض لها بالنص والعلاج ـ.

ويطيب لي في خاتمة هذا البحث أن أشير إلى كتيب بعنوان : « حقائق الحياة » صدر عن اليونيسيف وهيئة الصحة العالمية واليونسكو في مطلع هذا العام ، ويقع الكتاب في ( ٦٠ صفحة ) وهو يوضح المعارف الصحية ويقدمها في متناول الأسر بقصد مساعدة الآباء والأمهات على انقاذ حياة الملايين من الاطفال في العالم النامي ، وحماية نموهم ، ولذا فمن المأمول أن يصبح بمثابة اسهام علمي رئيسي للرعاية الصحية الأولية في الأعوام القادمة ، وهو منشور بعدة لغات من بينها العربية ، ويمكن للراغبين في الحصول عليه أو على معلومات أكثر عنه مخاطبة اليونيسيف في شأنه .

تلك لمحات من قضية كبرى ونظرات في أزمة مترامية الاطراف ، وما كان لبضعة سطور قرأتها أو عجالة من أفكار عرضتها أن تحيط بجوانب المشكلة أو أن تلم بدقائقها ، ولكني حاولت جهد المستطاع أن أضع علامات على الدرب واترسم امارات في الطريق لمن شاء منا أن يستزيد .

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ، ،**

# ملحق
# جداول احصائية مقارنة

نسبة الاطفال الذين يعيشون حتى الخامسة وتبلغ تلك النسبة في الدول العربية النسب التالية منسوبة إلى المائة :

| | | | |
|---|---|---|---|
| الكويت ٩٧ر٧ | الامارات العربية المتحدة | ٩٦ر٧ لبنان | ٩٤ر٧ |
| سوريا ٩٣ر٣ | تونس | ٩١ر٤ العراق | ٩٠ر٤ |
| السعودية ٨٩ر٨ | الجزائر | ٨٨ر٩ ليبيا | ٨٧ر٧ |
| المغرب ٨٧ر٧ | مصر | ٨٧ر١ عمان | ٨٥ر١ |
| اليمن ٨٠ر٥ | البحرين | | |

**عدد الوفيات في الاطفال الرضع والأطفال دون الخامسة :**

أ ـ دول نسبة الوفيات فيها عالية جداً بحسب المقاييس الدولية للوفاة في كل الف ولادة ( أي تزيد على ١٧ حالة في كل الف حالة ) والاحصائية هنا حسبما هو متوفر سنة ١٩٨٧ .

| الدولة | عدد الوفيات في الاطفال الرضع | عدد الوفيات في الاطفال دون الخامسة | مجموع السكان بالملايين |
|---|---|---|---|
| اليمن | ١٩٩ | ١٢٠ | ٩ر٦ |
| السودان | ١٨٤ | ١٠٩ | ٢٤ر٥ |

ب ـ دول نسبة الوفيات فيها عالية ما بين ٩٥ ـ ١٧٠ حالة :

| | | | |
|---|---|---|---|
| مصر | ١٢٩ | ٨٧ | ٥٠ر٢ |
| ليبيا | ١٢٣ | ٨٤ | ٤ر١ |
| المغرب | ١٢٣ | ٨٤ | ٢٣ر٣ |
| الجزائر | ١١١ | ٧٧ | ٢٣ر١ |
| السعودية | ١٠٢ | ٧٢ | ١٢ر٦ |
| العراق | ٩٦ | ٧٠ | ١٧ر١ |

وقد ادرجت عمان ضمن هذه المجموعة على أساس احصائيات ١٩٦٠ لعدم توفر احصائيات حديثة عنها .

جـ ـ دول نسبة المواليد فيها متوسطة ما بين ٣١ ـ ٩٤ حالة :

| الدولة | عدد الوفيات في الاطفال الرضع | عدد الوفيات في الاطفال دون الخامسة | مجموع السكان بالملايين |
|---|---|---|---|
| تونس | ٨٦ | ٦٠ | ٧ر٦ |
| سوريا | ٦٧ | ٤٩ | ١١ر٢ |
| الاردن | ٦٠ | ٤٥ | ٣ر٨ |
| لبنان | ٥٣ | ٤١ | ٢ر٨ |
| قطر | ٤٣ | ٣٢ | ٠ر٨ |
| الامارات العربية المتحدة | ٣٣ | ٢٧ | ١ر٥ |
| البحرين | ٣٢ | ٢٧ | ٠ر٥ |

د ـ دول نسبة المواليد فيها منخفضة ٣٠ حالة فما فوق :

| | | | |
|---|---|---|---|
| الكويت | ٢٣ | ١٩ | ١ر٩ |

وسجل الدول العربية في هذه الناحية ليس ناصعا لأن ترتيبها التنازلي بين دول العالم ـ هو كالآتي :

| | | |
|---|---|---|
| الصومال ٧ | اليمن الشمالية ٢٠ | اليمن الجنوبية ٢١ |
| عمان ٣٧ | مصر ٤٦ | ليبيا ٤٨ |
| المغرب ٤٩ | الجزائر ٥٥ | تونس ٥٦ |
| السعودية | الامارات العربية ٨٥ | الكويت ١٠٠ |

وهكذا تنفرد الكويت من بين الدول العربية بنسبة منخفضة تسكنها في مصاف مجموعة الدول المتقدمة فإذا اتخذنا من نسبة الوفيات في الاطفال دون

الخامسة معياراً لتقسيم الدول إلى مجموعات فإن الاحصائيات ثالث إلى المسار بالنسبة لكل مجموعة من تلك المجموعات الأربع .

**٣ ـ الناتج القومي للفرد والعمر المتوقع عن الولادة حسب الاحصائيات المتوفرة سنة ١٩٨٧ .**

| اسم الدولة | الناتج القومي للفرد محسوبا بالدولار | العمر المتوقع |
|---|---|---|
| | دول المجموعة أ | |
| اليمن الشمالية | ٩٧٠ | ٥٢ |
| اليمن الجنوبية | ٥٥٠ | ٥٢ |
| السودان | ٢٥٠ | ٥٤ |
| | دول المجموعة ب | |
| عمان | ٤٩٨٠ | ٥٧ |
| مصر | ٧٦٠ | ٦٢ |
| المغرب | ٥٩٠ | ٦٢ |
| الجزائر | ٢٥٩٠ | ٦٢ |
| السعودية | ١٩٥٠ | ٦٤ |
| العراق | ٣٠٢٠ | ٦٥ |
| | دول المجموعة جـ | |
| تونس | ١١٤٠ | ٦٦ |
| سوريا | ١٥٧٠ | ٦٦ |
| الأردن | ١٥٤٠ | ٦٧ |
| لبنان | ـ | ٦٨ |
| الامارات العربية المتحدة | ١٤٦٨٠ | ٧١ |
| البحرين | ٨٥١٠ | ٧١ |
| قطر | ١٣٢٠٠ | ٧٠ |
| | دول المجموعة د | |
| الكويت | ١٣٨٩٠ | ٧٣ |

٤ ـ الخدمات الصحية ( الاحصائيات المتوفرة سنة ١٩٨٧ :

| | النسبة المئوية للسكان الذين تتوفر لهم مياه الشرب | | النسبة المئوية للسكان الذين تتوفر لهم الخدمات الصحية | | وفيات الامهات بسبب الولادة |
|---|---|---|---|---|---|
| | في المدن | في الارياف | في المدن | في الارياف | في كل ١٠٠ر٠٠٠ حالة |
| | | | دول المجموعة أ | | |
| الصومال | ٦٥ | ٢١ | ٥٠ | ١٥ | ١١٠٠ |
| | | | دول المجموعة ب | | |
| عمان | ٧٠ | ١٠ | ١٠٠ | ٩٠ | لابيان |
| مصر | ٨٨ | ٦٤ | لابيان | ٨٠ | |
| ليبيا | ١٠٠ | ٩٠ | لابيان | ٨٠ | |
| المغرب | ٦٣ | ٢ | ١٠٠ | ٥٠ | ٣٣٠ |
| الجزائر | ١٠٠ | ٨٠ | ١٠٠ | ٨٠ | ١٣٠ |
| السعودية | ١٠٠ | ٦٨ | ١٠٠ | ٨٨ | لابيان |
| العراق | ١٠٠ | ٤٦ | ٩٧ | ٧٨ | لابيان |
| | | | دول المجموعة جـ | | |
| تونس | ١٠٠ | ٥٠ | ١٠٠ | ٨٠ | لابيان |
| سوريا | ٩٨ | ٥٤ | ٩٢ | ٦٠ | ٢٨٠ |
| الاردن | ١٠٠ | ٨٠ | ٩٨ | ٩٥ | لابيان |
| لبنان | ٩٥ | ٨٥ | لابيان | لابيان | |
| الامارات العربية المتحدة | ٩٥ | ٨١ | لابيان | لابيان | |
| | | | دول المجموعة د | | |
| الكويت | لابيان | لابيان | ١٨ | | |

٥ ـ التغذية :

| اسم الدولة | النسب المئوية للولادات بوزن ناقص (٢٥٠٠ غرام) | الاطفال دون الخامسة المصابين بسوء التغذية بسيط معتدل جاد |
|---|---|---|
| | دول المجموعة أ | |
| الصومال | لابيان | ١/٧ |
| موريتانيا | ١٠ | ١٠/٣٠ |
| اليمن الجنوبية | ١٢ | ٨/٣٢ |
| اليمن الشمالية | ٩ | لابيان |
| السودان | ١٥ | ٨/٣٣ |
| | دول المجموعة ب | |
| عمان | ١٤ | لا بيان |
| مصر | ٧ | لابيان |
| المغرب | ٩ | ٩/١٩ |
| الجزائر | ٩ | لابيان |
| ليبيا | ٥ | لابيان |
| السعودية | ٦ | لابيان |
| العراق | ٩ | لابيان |
| | دول المجموعة جـ | |
| تونس | ٧ | لابيان |
| سوريا | ٩ | ٢/٢٣ |
| الاردن | ٧ | لابيان |
| الامارات العربية المتحدة | لابيان | ٦/لابيان |
| | دول المجموعة د | |
| الكويت | ٧ | لابيان |

## ٦ ـ التعليم :

### أ دول نسبة التعليم فيها متدنية جدا

| اسم الدولة | نسبة البالغين المتعلمين | | نسبة الالتحاق بالمدارس الابتدائية | | نسبة الالتحاق بالمدارس الثانوية |
|---|---|---|---|---|---|
| | ذكور | اناث | | ذكور | اناث |
| | | | دول المجموعة أ | | |
| الصومال | ١٨ | ٦ | ٣٣ | ١٥ | ٨ |
| موريتانيا | | لابيان | ٨٠ | ٢١ | ٨ |
| اليمن الجنوبية | ٥٩ | ٢٥ | ٤٠ | ٢٦ | ١١ |
| اليمن الشمالية | ٢٧ | ٣ | ١٥ | ٢٦ | ٣ |
| السودان | ٣٣ | ١٤ | ٦١ | ٢٣ | ٧٣ |
| | | | دول المجموعة ب | | |
| عمان | ٤٧ | ١٢ | ٦٠ | ٤٥ | |
| مصر | ٥٩ | ٣٠ | ٦٤ | ٧٧ | |
| ليبيا | ٨١ | ٥٠ | ٨٢ | لابيان | |
| المغرب | ٤٥ | ٢٢ | ٧٠ | ٣٩ | |
| الجزائر | ٦٣ | ٣٧ | ٨٣ | ٦٢ | |
| السعودية | ٧١ | ٣١ | ٧٩ | ٥٢ | |
| العراق | ٩٠ | ٨٧ | ٦٥ | ٦٥ | |
| | | | دول المجموعة جـ | | |
| تونس | ٦٨ | ٤١ | ٧٨ | ٤٥ | |
| سوريا | ٧٦ | ٤٣ | ٦٧ | ٧٢ | |
| الاردن | ٨٧ | ٦٣ | ٩٧ | ٨٠ | |
| لبنان | ٨٦ | ٦٩ | ٦٦ | ٥٧ | |
| الامارات العربية المتحدة | ٥٨ | ٣٨ | ٥٧ | ٥٤ | |
| | | | دول المجموعة د | | |
| الكويت | ٧٦ | ٦٣ | ٩٨ | ٨٤ | ٧٩ |

وينبغي أن نضيف هنا كلا من قطر والبحرين على أساس نسبة الالتحاق بالمدارس الابتدائية وفقاً لفئات العمر ذلك أن تلك النسبة تبلغ في قطر ١٢١ لكل من الذكور والاناث على التساوي وتبلغ في البحرين ١١١ للذكور ، ١١٠ للاناث .

**٧ ـ مؤشرات اقتصادية :**

**حسب الاحصائيات المتوفرة سنة ١٩٨٦**

| اسم الدولة | النسب المئوية للسكان دون الفقر المطلق | | فوائد الديون كنسبة مئوية من البضائع والخدمات |
|---|---|---|---|
| | في المدن | في الريف | |
| | | دول المجموعة أ | |
| الصومال | ٤٠ | ١٠ | ٦٢ر١ |
| موريتانيا | لابيان | | ١٧ر٤ |
| اليمن الشمالية | لابيان | ٢٠ | ٧٤ر٦ |
| اليمن الجنوبية | لابيان | | ٥٩ر٦ |
| | | دول المجموعة ب | |
| عمان | لابيان | | ١١ر٣ |
| مصر | ٢١ | ٢٥ | ٢١ر٣ |
| المغرب | ٢٨ | ٤٥ | ٤٠ر٤ |
| الجزائر | ٢٠ | لابيان | ٥٤ر٨ |
| | | دول المجموعة جـ | |
| تونس | ٢٠ | ١٥ | ٢٨ر٥ |
| سوريا | لابيان | | ١٥ر٦ |
| الاردن | ١٤ | ١٧ | ٢٨ر٧ |

وأود أن أشير هنا إلى ملاحظتين :

الأولى أن الاحصائيات التي ذكرتها لا تتناول الدول العربية ذات الكثافة السكانية القليلة وهي البحرين وقطر ـ لأن بيانات اليونيسيف قل أن تذكرها .

والثانية أنني استفدت من الاحصائيات التي تتوفر عنها بيانات بالنسبة لكافة التعريفات المطلوبة، ولذلك فعلاً فإنني لم أذكر الكويت ضمن بيان المؤشرات الاقتصادية لأن احصائيات اليونيسيف لم تذكر شيئاً عنها حتى سنة ١٩٨٦ .

## المناقشات

**د . حسن الإبراهيم :**

شكراً للأخت مريم ، وهي في الحقيقة متعمقة في موضوع يتسم بالأهمية ، أنا شخصياً لم اتوقع أن تأتي الدراسة التي وصلتنا من الأخت مريم على هذا الشكل . كنت اتوقع ـ اعتذر للأخت مريم وبدرية ولباقي الحقوقيين ـ أن تتسم بالجفاف .

الواقع أن هذه الدراسة لم تتطرق لقانون ، وإنما تطرقت لاحصائيات مهمة جداً ومهمة أيضاً لكم ولكل من يهمه وضع الطفولة في الخليج العربي ووطننا العربي .

افتح الآن باب النقاش والاسئلة التي نوجهها للأخت مريم وابدأ بالدكتور محمد الرميحي .

**د. محمد الرميحي :**

انا في حقيقة الأمر أضيف الاطراء الذي تفضل به د. حسن الإبراهيم حول غزارة المادة التي تقدمت بها الأخت مريم ، اقول بالفعل أنني كنت اتوقع مثله أن الحقوقيين يتحدثون عن نصوص فوجدت أن هذه الدراسة فيها طراوة الحديث الاجتماعي .

النقد الرئيسي الذي أريد من الأخت مريم أن تتفضل وتعطينا تصوراً عنه .

كنت اتصور لو اقتصرت هذه الدراسة على وضع الميثاق العربي لحقوق الطفل ، وقياس بعض مؤشراته في الواقع الاجتماعي والثقافي في الوطن العربي أو في جزء منه لربما كانت الإفادة أكثر وأعم .

المادة موجودة ، وفي تقديري لو قامت الأخت مريم بكتابتها من جديد من خلال هذا المنهج ، منهج المقارنة بين ميثاق الطفل النظري وبين الواقع العملي لافدنا منها إفادة كبيرة .

النقطة الثانية : في اشارة واحدة فهمت من الأخت مريم أنها تعني بالطفل من هو دون الخامسة عشرة وليس الثامنة عشرة لو حدد هذا الأمر بوضوح فلربما تتضح أمور أكثر للقارىء والسامع .

النقطة الثالثة : الموضوع الذي لفت نظري ، هو موضوع ثقافة الطفل ، وأنا اعتقد ونحن نتكلم عن الطفل كهدف كيف نعتني بالطفل ؟ كيف نغذي الطفل ؟ كيف نجعل الأسرة افضل للطفل ؟ إننا في كتاباتنا كثيراً ما ننسى أو نتناسى ماهية الطفل نفسه كفرد في المجتمع وكإنسان ، وربما ثقافة الطفل احدى القضايا الرئيسية التي يمكن أن نتحدث عنها بوضوح تام .

الملاحظة النهائية : اشك كثيراً في الاحصائيات فهي في الغالب تقريبية ان هذا طبعاً لا يبخس البحث الذي قدمته الأخت مريم حقه ولا الطريقة التي قدمته فيها . . بل كان البحث في الحقيقة جميلاً وممتعاً وأنا سعيد لاستماعي إليه وشكراً .

د . حسن الإبراهيم :

شكراً للذكتور الرميحي ، وهو لمعلوماتكم يشرفنا ويحضر هذه اللقاءات أول مرة .

معنا الأخت الدكتورة كوثر الجوعان من وزارة الخارجية ، وهي من الممكن أن تعطينا آخر الخطوات فيما يتعلق بالاتفاقية .

والآن الدكتورة بدرية العوضي .

**د. بدرية العوضي :**

لا أحب أن اطيل الموضوع ، أشكر الأخت مريم ، ولقد عرفتها كثيراً ، عرفت قدرتها وكفاءتها في تقديم العرض الشيق ، ان قدرتها العملية والقانونية لم تكونا محل شك ، كنت متوقعاً منها أن تعطينا هذه الدراسة الجيدة .

الأخت مريم ركزت على الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل . الدكتور حسن قال : الكويت بصدد التصديق على الاتفاقية أنا شخصياً متخوفة من التصديق على الاتفاقية ، لأن الاتفاقية في الواقع فيها ثغرات كثيرة . ثغرات قد لا تكون في مصلحة الطفل العربي ، لأن بعض النصوص تعطي مرونة للسلطة المختصة بأن تكيف الاتفاقية حسب الانظمة والتشريعات الموجودة .

ولقد رأيت أن الاتفاقية اتفاقية دولية ، لذلك لا توجد خطورة في الدول التي لا يوجد فيها تفاوت على المستوى الدولي .

ولكن في بلد مثل الكويت أو بلدان العالم الثالث والبلدان العربية بشكل خاص التشريعات فيها لم ترق إلى مستوى التشريعات الدولية الخاصة بالطفل ، وبالتالي إذا أنا طبقت الاتفاقية حسب بنود التشريع الوطني فمعنى هذا أني قد أضر بالطفل حتى مع افتراض عدم وجود ثغرات في الاتفاقية نذكر على سبيل المثال المادة السابعة من الاتفاقية فيما يتعلق بحق الطفل بوالديه . أي حق الطفل بالانضمام إلى اسرته في حالة انفصال الوالدين . إذا سمحت هذه التشريعات في دولة ما . فكيف ننظم هذه المسألة . نحن عندنا مشكلة كبيرة ، يحق انضمام الطفل لابيه أو لأمه . وهذا شيء طبيعي لا شك فيه ، لكن الاتفاقية قد احالت ذلك إلى التشريع الوطني ، ومعنى هذا أن وضع الطفل سيبقى كما هو ، الاتفاقية

الدولية قد لا تكون في المستوى المفروض أو تكون أحسن ، ولكن الاتفاقية حسب القرار الدولي لا تعدل من التشريعات ، وهناك نص يشير إلى التشريع مثل التشريعات في الوطن العربي . وفق القانون بموجب القانون . . . معنى ذلك أن الاتفاقية قد ضيعت كل شيء .

النقطة الثانية : أحب أن تركز الأخت مريم على الثغرات في الاتفاقية الدولية كما في موضوع التحفظ .

مادة ٢٨ تجيز التحفظ والمفروض ألا يوجد . نحن في اتفاقية البحرين لم نجز التحفظ ، فكيف يجوز لوثيقه لحماية حقوق الطفل أن تجيزه ؟ إذا أجزت التحفظ معنى هذا أن كل دولة ممكن أن تنظم وتتحفظ على مادة من المواد التي قد لا تتلائم مع تشريعاتها الوطنية ، وبالتالي يقع الاضرار بالطفل .

الاتفاقية لم تحقق الهدف الذي نسعى إليه من تحقيق مستوى افضل للطفل سواء كان في المستوى العالمي أو في مستوى الوطن العربي وفقاً لهذه الاتفاقية .

النقطة الثالثة : التي أريد التركيز عليها . الأخت مريم غلب على معالجتها للموضوع الطابع الدولي وهذا شيء طبيعي لأن تخصصها القانون الدولي ولكن نحن قد تمرسنا وقربنا الدولي إلى الوطني مضطرين في بعض الاحيان .

موضوع النظرية والتطبيق . اعتقد أن الأخت مريم اعطتنا فكرة جيدة وبينت مزايا الاتفاقية الدولية فيما يتعلق بالتطبيق .

على سبيل المثال نأخذ المادة الثانية من الاتفاقية التي تبقى حق اكتساب الجنسية . فالاتفاقية أكدت جانب حق الاقليم ما لم يكن هذا الطفل يتمتع بجنسية أخرى .

حق الاقليم في بلادنا ـ اغلب الدول العربية ما عدا تونس والمغرب فالجنسية التونسية والمغربية ـ تستثنيه من تشريعاتها المتعلقة باكتساب الطفل الجنسية .

فلو صدقنا على الاتفاقية من دون أن تتحفظ دولة الكويت على موضوع المادة الثانية ـ فقد يكون ذلك في مصلحة الطفل في الواقع . لأننا فعلاً محتاجون لحق الاقليم وخاصة بالنسبة للكويتية المتزوجة من غير كويتي ما دام الطفل ولد في الكويت فله الحق باكتساب الجنسية الكويتية حسب الاتفاقية الدولية .

الاتفاقية الدولية قد تطرقت لهذا الموضوع وهذا من الضمانات الاساسية التي اعطتها للطفل حتى لا يبقى مجهول الجنسية لأن الوضع غير مستقر حسب القانون حتى يبلغ الطفل سن الرشد ، وكان يجب علينا أن نركز على الجانب الذي يعطي حق الطفل في اكتساب الجنسية . وكان من المفروض أن نقف على الجانب التطبيقي كما كان بودي أن نقارن تشريعات الاتفاقية ـ يمكن للجمعية أن تتولى ذلك ـ مع الوضع الفعلي في تشريعات الوطن العربي المتعلقة بالطفل العربي .

اعتقد أن هناك نقاطاً كثيرة من المفروض أن نتناولها فعلاً إذا كنا بصدد التصديق على الاتفاقية ، أنا اعتقد كان يجب علينا أن نعد لها .

هناك نقطة أخيرة . لقد نصت المواد الأخيرة على حق الطفل في معرفة حقوقه . . حق الطفل في التعبير ، وهناك فقرة تقول بجواز اخضاع هذه الحقوق لمسألة الأمن الدولي ، مسألة المصلحة العامة . . اعتقد أن هذه المصطلحات قد جاءت من دول العالم الثالث وهي تمثل خطراً على حقوق الطفل . . وشكراً .

د. حسن الإبراهيم :

اهتمامنا نحن كعرب بالاتفاقية محدود للغاية . إن أول دولة اهتمت بالموضوع هي دولة البحرين وقد شاركت في ندوتها في يناير الماضي ، وثاني دولة هي مصر . لقد جاءت في ندوتي البحرين والقاهرة ملاحظات كثيرة مماثلة لملاحظات الدكتورة بدرية العوضي حول المادة السابعة الخاصة باختيار الطفل لدينه والمادة الحادية عشر الخاصة بموضوع التبني .

كانت هناك بعض الأمور التي أضاءتها ندوة البحرين . ان دولة البحرين تعتقد أن هناك نقاطاً لم تتطرق لها الاتفاقية وهي :

أولاً ـ حق الطفل في الغذاء والكساء والسكن .
ثانياً ـ حقوق الطفل في حال الكوارث الطبيعية والحروب .
ثالثاً ـ حق الطفل في التعبير عن مشاعره بالوسائل الشرعية المختلفة اتجاه الاحتلال والتفرقة العنصرية والظلم الاجتماعي دون عقاب صارم قد يؤدي إلى اصابته بعاهات صحية أو نفسية .

طبعاً أنا متأكد أن ندوة البحرين قد تناولت الاطفال في الأراضي الفلسطينية المحتلة وكذلك الاطفال في جنوب أفريقيا .

د. مريم الخليفة :

أشكر سعادة الدكتور حسن الإبراهيم والدكتور محمد الرميحي والدكتورة بدرية العوضي .

أولاً : الدكتور الرميحي أثار أكثر من سؤال يمكن أن أجيب عليها : العنوان هو الطفل العربي ويمكن أن أركز على الميثاق العربي فقط لولا أن الدكتور إبراهيم أصر على الميثاق . وأن الاتفاقية أكثر الزاما من الميثاق العربي مع احترامي له فقد صيغ الميثاق العربي صياغة ادبية وبعد ذلك وزع على الدول العربية ولكن لحد الآن لم يطبق ، ولا توجد أي مادة تنص على أن الدول العربية ملزمة به .

الاتفاقية فيها الزام وندعو الله أن تكون كل الدول قد وقعت عليها .

سأل الدكتور الرميحي عن الاحصائيات وشكك بها ، وأنا في الواقع قد شككت بها ، وقد قلت أننا لا نستطيع أن نثق بها ولا نعدها دقيقة . أنها مجرد احصائيات ممكن أن نأخذها بالاغلب من عدد السكان في دول العالم النامية . لا نستطيع أن نتأكد بأنها دقيقة ١٠٠٪ ولكن هذا ما يمكن أن نأخذ به .

بالنسبة للدكتورة بدرية فهي في الحقيقة طموحة جداً ، وطموحة من أجل تثبيت قواعد القانون الدولي .

فلو لم يكن في الاتفاقية تحفظات ولو لم تكن فيها بنود تحيل للنظام العام وإلى السلامة العامة في الدولة لما وقعت عليها ولا دولة من دول العالم الثالث .

عندما قرأنا الاتفاقية في البحرين وضعوا تحفظات تقريباً على خمسة عشر نصاً من أصل ٥٤ نصاً . مندوب الأمانة العامة لمجلس التعاون كان موجوداً ، وكانوا مصرين على عدد رهيب من التحفظات وقد قلنا لهم إن الاتفاقية نفسها لا تحتاج هذه التحفظات ، فلا يحتاج أن تقولوا نوقع على الاتفاقية عدا هذا النص لأن الاتفاقية مرنة ومرونتها هي التسهيلات لجميع الدول أن تنضم لها .

التشريعات يفترض فيها التدريج . هذه الوثيقة تعد أول تشريع ملزم للدول بحقوق الطفل والمفروض فينا أن نتفاءل به ولا نرفضه كلية . نتفاءل ونؤيد الدول وندفعها ونشجعها على التصديق عليها . ويمضي الوقت ممكن أن يطور الميثاق أو تطرأ عليه تعديلات . الاتفاقية نفسها قابلة للتعديل والتطور لتصبح أكثر ليبرالية مع مضي الزمن .

الدول التي تصدق على الاتفاقية ملزمة بالتعديل والدول التي لم تصدق غير ملزمة به . واجراء التعديل يكون باجماع ثلثي اعضاء الأمم المتحدة . ومع مرور الزمن يمكننا الانضمام إلى التعديلات الأكثر تحرراً . أرجو أن أكون قد وفقت بالاجابة .

**د. حسن الإبراهيم :**

شكراً للأخت مريم . أنا متفائل والأخت مريم متفائلة واعتقد أن هناك فرقاً كبيراً بين الواقع وبين الخيال ، وبين الاشياء المثالية وبين الحال الذي نعيشه .

قبل اسبوعين وصلنا تقرير لجنة العفو الدولية . والدول العربية لها نصيب الأسد فيما يتعلق باختطاف الاطفال وتأديبهم واعدامهم ، فلو أن مادة واحدة من

هذه الاتفاقية تمنع الاعدام أو السجن المؤبد للاطفال أو التعذيب واقعياً وموجودة ضمن هذه الاتفاقية نجد أن معظم الدول العربية وغير العربية نفسها ملزمة باحترام مثل هذه الاتفاقية .

هناك أمور تتعلق بحرية الطفل في التعبير ، وهناك من يعتقد حتى الإنسان الكبير الناضج يجب أن نكفل له حرية التعبير في الدول العربية . فإذا بدأنا بالطفل فقد يكون هناك مجال في المستقبل لاعطاء هذه المميزات والفوائد للكبار أي أن هذه الفوائد تكبر مع الأيام . يهمني جداً أن أنبه حضراتكم أن موسمنا الثقافي هو أول ابتدائي أي السنة السابعة . ونتمنى أن تنمو هذه الاتفاقية معنا في المستقبل .

**د. كوثر الجوعان : ( وزارة الخارجية الكويتية ) :**

استنتاجاً من تغطيتها للموضوع ، كأني بالأخت مريم قد حضرت كل الاجتماعات الدولية الخاصة بهذا الموضوع وآخرها الاجتماع الذي كان في جنيف فجاء التضمين والشرح كافيين للجميع .

الاتفاقية تتسم بالمرونة وقد أشار لذلك الدكتور حسن الإبراهيم وقلة من الاتفاقيات العربية التي تضع نصوصاً الزامية تعني بمسائل الطفل ، وكان للجمعية الكويتية المتمثلة بشخص الدكتور حسن الإبراهيم مبادرة طيبة عندما بعثت بكتاب إلى وزارة الخارجية تحثها على أن تكون الكويت ضمن الدول العشرين الأولى الموقعة على هذه الاتفاقية .

درسنا في وزارة الخارجية هذا الموضوع بالتعاون مع الجهات المعنية في الدولة كالأوقاف ، والشؤون ، والعدل ، والداخلية ، وغيرها من الوزارات المعنية بهذا الأمر . ولا تزال بعض المواضيع تحتاج إلى نقاش ، لكن من حيث المبدأ العام ليس للكويت أو وزارة الخارجية نوع من التحفظ الواضح أو المقيد لهذه الاتفاقية لأنها تتضمن مبادىء إنسانية تمس الطفل سواء كان ذكراً أو أنثى . وبالتالي لو كان هناك اعتراض أو تحفظ فلم يأت من الكويت وإنما من الدول

العربية والإسلامية احتجاجاً بالحرص على عدم التعارض مع انظمتها القانونية أو الشريعة الإسلامية وفعلاً كان هناك نقاش حاد في الدورة الأخيرة أو القراءة الثانية في جنيف نوفمبر / ديسمبر ١٩٨٩ انتهت بتوافق الآراء بين جميع الوفود ، والا ما كان لهذه الاتفاقية أن تخرج إلى حيز الوجود لأن هناك اختلافات بين الدول الغربية والدول الإسلامية تتثمل بأن الدول الغربية عندها حرية المعتقدات وحرية الدين والافصاح عنها ، وأيضاً مسائل التبني في حين أن الدول العربية تتمسك بحرية المعتقد والدين وترفض موضوع التبني ، وبالتالي كان للدول الإسلامية دور بارز في ادراج الكفالة كنوع من التوافق مع الدول الغربية حتى يقدر لهذه الاتفاقية أن تنجح وتظهر إلى حيز الوجود . فالمادة (٢١) نصت ( إن التبني يطبق فقط في الدول التي تعترف به وتجيزه ) .

بالنسبة للمعتقد وحرية الدين وهو يغطي ثلاث فقرات من المادة السابعة وقد أوردتها الزميلة مريم . إذا كان هناك بعض الملاحظات ـ وهي ملاحظات تؤخذ بعين الاعتبار من كافة الوفود العربية والإسلامية ـ فإنها تتعلق بـ(كيف) تطلق حرية الدين بالنسبة للطفل ؟ اعتقد أيضاً أن الشرح الذي تفضلت به الأخت مريم كان قد غاب عن اذهان الكثيرين منا نحن كعرب وكمسلمين . لقد وقفت عند الفقرتين الثانية والثالثة ، الثانية بالنسبة للوالدين أو الأوصياء الشرعيين فهم المسئولون عن توجيه الأبناء .

الفقرة الثالثة قيدت حرية الدين بالاشهار بمعنى في حالة اشهار الدين أو اظهاره لا بد أن يكون مرتبطا بالقانون والنظام التام والصحة العامة والآداب ، إذن هذا قيد واضح بمنع الفرد من تغيير دينه ، واعتقد شخصياً ليس هناك من مشكلة للموافقة فيما يتعلق بهذه المادة .

بالنسبة للكويت نحن لم نبادر إلى التصديق وحسب وإنما كنا من السباقين في هذا المضمار الإنساني بالتوقيع بالأحرف الأولى ، وكما تعرفون فإن التوقيع بالأحرف الأولى ليس ملزما ، ولكن من ناحية إنسانية هو تشجيع لباقي الدول

على التوقيع على هذه الاتفاقية وهو لا يمنع من مراجعة نصوص هذه الاتفاقية على كافة المستويات سواء كانت المحلية أو الاجتماعية أو الاقليمية أو الدولية . إذا كانت هناك مشاكل تعيق تطبيق هذه الاتفاقية أو دخولها حيز التنفيذ في المستقبل ، وإذا كانت هناك تحفظات على التحفظ فاعتقد أيضاً ليس هناك اعتراض على التحفظات والمعنى صريح في المادة أنه لا يجوز ادارج التحفظ على المبادىء الرئيسية أو الجوهرية ، القصد من هذا هو أن تظهر الوثيقة إلى حيز الوجود بدون ايراد تحفظات . فمثلاً الدول الإسلامية ستورد تحفظات والدول الغربية أيضاً ستورد تحفظات ، إذن سنفقد الفائدة المرجوة من مثل هذا الميثاق ، وبالتالي فالتحفظ وارد فقط في المسائل غير الجوهرية أو غير الأساسية في هذه الاتفاقية .

أما بالنسبة للتشريعات الوطنية والطبيعة الدولية للاتفاقية فإن التشريعات الوطنية تأخذ بالتدرج ، لكن هذا لا يمنع من تطور هذه التشريعات الوطنية بحيث تتلائم مع المستجدات الدولية المتطورة . هذه هي الحقيقة بصورة عامة .

بالنسبة لموقف الكويت ، فبعد رجوعنا من جنيف بادرنا للاتصال بالأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية وطلبنا منها تشكيل لجنة أو عقد اجتماع على أي مستوى كاف للتنسيق في ما بينها لدراسة هذا الموضوع ، وهذا كان في ٢٠ ابريل ١٩٨٩ .

لقد تقدمت الكويت بطلب إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية لتشكيل لجنة من المختصين لدراسة هذا الموضوع حين طرحه على الجمعية العامة في دورتها الحالية حتى يكون هناك أيضاً موقف منسق .

في اكتوبر من عام ١٩٨٩ كتبنا إلى الوفد الدائم في نيويورك للمبادرة والتنسيق مع الدول العربية والإسلامية . ولا تزال اجتماعات الوفود العربية بالنسبة لهذا الموضوع بين مد وجزر ، يوجد بعض الغموض أو صعوبة فهم لبعض البنود مثل التبني . بعض الدول الإسلامية تقول : إذا كان يقصد المعني بالتبني الدول التي تجيزه فليس عندنا تحفظ ، وطبعاً هذه نصوص واضحة ،

وبالتالي المسألة مسألة وقت . توجد تعليمات بالنسبة للوفود بالتوقيع مع التريث حتى ظهور بعض التطورات الجديدة .

ليس هناك تصديق وإنما هو توقيع مع الإشارة بألا تتعارض الوثيقة مع الأنظمة الوطنية أو التشريعات الإسلامية .

**د. حسن الإبراهيم :**

إخواني بالنيابة عنكم جميعاً أود أن أكرر شكري الجزيل للأخت مريم على هذه المحاضرة القيمة المفيدة ، واشكركم جميعاً وإلى اللقاء في ١٢/٢٥ إن شاء الله مع ( الرواية التاريخية وتربية الطفل العربي ) .

# الندوة الثانية

## الرواية التاريخية وتربية الطفل العربي

الدكتور هاني محمد الراهب

# الندوة الثانية

## موضوع الندوة : الرواية التاريخية وتربية الطفل العربي :

رئيس الجلسة : الدكتور سيف عباس

المتحدث الرئيسي : الدكتور هاني محمد الراهب

المشاركون :

١ ـ الدكتور محمد جواد رضا .

٢ ـ الدكتور قاسم الصراف .

٣ ـ الدكتورة تغريد القدسي .

٤ ـ الدكتور عادل عبد الكريم ياسين .

٥ ـ الدكتور عبد الحميد الهلالي .

٦ ـ الدكتور عبد الله الدنان .

٧ ـ الدكتورة فاطمة نذر .

٨ ـ الدكتورة كافية رمضان .

٩ ـ الدكتورة معصومة المبارك .

١٠ ـ الآنسة رلى بركة .

١١ ـ السيدة صبيحة سالم راشد .

١٢ ـ السيد خضير عبد الله .

١٣ ـ الآنسة غالية قباني .

# الندوة الثانية
# ١٩٨٩/١٢/٢٥
# مقدمة للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

## الرواية التاريخية وتربية الطفل العربي

بقلم : الدكتور هاني الراهب .

لا نكاد نعثر في الأدب العربي على الرواية التاريخية . وإذا كانت ثمة نماذج منها ، مبعثرة هنا وهناك ، فهي ليست كافية لأن تشكل تياراً فرعياً داخل نهر هذا الأدب . صحيح أن الرواية التاريخية ضئيلة الحجم عموماً في الآداب العالمية ، وربما كانت أقل شأناً من المسرحية التاريخية ، إلا أنها شبه نادرة في ادبنا . والمرء لا يكاد يتذكر اسمي نجيب محفوظ وجرجي زيدان ، في هذا المضمار ، حتى تعيا به الذاكرة .

ويبدو السبب واضحاً . ان عمر الرواية العربية بالقياس إلى عمر الأدب العربي قصير قصراً محرجاً . وهو أيضاً كذلك بالنسبة إلى عمر النثر العربي . وفي رأي عدد لا بأس به من نقاد الغرب ، فإن الرواية العربية لم توجد بأي معنى حديث ومتكامل إلا على يدي نجيب محفوظ . ونحن نعلم أن أديبنا الكبير بدأ بكتابة الرواية منذ خمسين عاماً .

إن ظهور الرواية التاريخية أساساً كان نوعاً من الاستجابة الفردية لا الجماعية ، لأشواق عصر النهضة العربي وتطلعاته . ففي أوائل هذا القرن كانت الطلائع العربية تتطلع إلى وحدة وطنها ودمجه في دولة قومية واحدة ، على غرار نموذجي إيطاليا وألمانيا في القرن التاسع عشر . وكان كتّاب ، مثل جرجي زيدان ، يعاينون هذه الوحدة ، ويعيشونها على أرض الواقع الشعبي والثقافي والاقتصادي ، ثم يفتقدونها على الصعيد السياسي .

لذلك كان طبيعياً لروايات جرجي زيدان أن تنطلق من منظور قومي وهي تتناول الحدث بعد الحدث من التاريخ العربي ، وتعيد صياغته في بنية قصصية . ونحن لا نعلم على وجه التعيين الدافع الشخصي الذي حدا بهذا العلم الثقافي الكبير إلى أن يستلهم تاريخنا في عدد من الروايات بلغ (٢٢) رواية . نستطيع فقط أن نؤكد أن ظهورها كان استجابة طبيعية لموقف تاريخي .

كذلك كان ، في تقديرنا ، ظهور ثلاث روايات تاريخية ابتدرت مسيرة نجيب محفوظ الروائية العظيمة . ففي عشرين السنة الفاصلة بين الحربين

العالميتين ، كان الوطن العربي مشحوناً بالاحتمالات والانفجارات . لكن الحدث السياسي كان قد بدأ يجنح جنوحاً خطيراً نحو الاقليمية ، رغم التقائه ذي المغزى الكبير عند المفاصل الجوهرية للصيغة القومية ، مثلما حدث في ثورة الفلاحين التي عمت وادي النيل وبلاد الشام والرافدين أواسط الثلاثينات .

لكن الوعي السياسي التاريخي كان أكثر قطرية منه قومية . وهكذا فعندما انبثقت الدول العربية الحديثة لتتوج مرحلة النضال ضد الاستعمار اووربي ، لم يكن بوسعها أن تفعل للوحدة العربية شيئاً يزيد عن تأسيس جامعة الدول العربية .

في هذا الجو كتب نجيب محفوظ رواياته التاريخية الثلاث ، وهي على التوالي : عبث الاقدار ، رادوبيس ، كفاح طيبة . وقد ظهرت أبان سنوات الحرب العالمية الثانية . أنها روايات ذات طابع فرعوني صارخ . وهي في هذا تتناقض في توجهها السياسي والعقائدي تناقضاً كاملاً مع روايات جرجي زيدان . وبوسعنا هنا أن نقول إنها كانت ، من ناحية موضوعية ، استجابة لواقع تاريخي محلي بدأ يرى أن مصر تمتلك شخصية قومية غير الشخصية العربية ، وأن هذه الشخصية تعود بتاريخها إلى عهد الفراعنة ، الذي هو عهد بداية الحضارة .

وقد يكون بوسعنا أيضاً أن نتكلم عن الدافع الشخصي الذي جعل نجيب محفوظ يبدأ حياته الأدبية الإبداعية بالرواية التاريخية ، فالرجل نفسه يكشف لنا عن ذلك الدافع في مقابلة نشرتها مجلة (الهلال) في عدد خاص عنه ، عام ١٩٧٧ ، انه الدافع الموضوعي نفسه ، وهو الاسهام في توسيع وتعميق وعي مصر بذاتها ككيان سياسي تاريخي مستقل .

غير أننا ، ونحن نبحث عن نماذج الرواية التاريخية في الأدب العربي ، ما نلبث أن نلتقي بنماذج أخرى من القصص التاريخي . إنك تراها في دكاكين الوراقين وعلى الارصفة ، معروضة هناك ، لا لكي يتلقفها الباحث أو الاستاذ الجامعي بالنقد والدراسة ، وإنما لكي ينجذب الفتية والفتيات إليها ، فيشتروها

كنوع من التسلية البريئة لليافعين والمراهقين . هذا الواقع الراهن ، الـذي هو انجذاب الشباب لهذه النماذج ، يعطيها الحق الأول في أن تندرج داخل مطالعتنا للرواية التاريخية . أنها الكتب التي ندعوها السير الشعبية . وفي ذهننا منها سيرة عنترة ، وسيرة الزير سالم ، وتغريبة بني هلال ، وسيرة سيف بن ذي يزن ، وعلي الزيبق ، وسيرة حمزة البهلوان . . . وغيرها مما يوشك على الضياع بسبب ترفعنا عن منحه الشرعية الادبية ، وبسبب انتفاء مثل هذه النماذج من الآداب الغربية ، التي نحن عبيد محترفون لها .

إذن ، فنحن بازاء نوعين من القصص التاريخي ، معاصر وقديم ، مقلد للرواية الغربية ومبتكر محلياً . وإن هذين النوعين يختلفان أيضاً في بنيتهما وعالمهما الروائي اختلاف الواقع عن الأخيولة . فروايات محفوظ وزيدان اقرب إلى التراث الواقعي الرومنسي المعروف في أوروبا ، بينما تمتلك السير الشعبيـة ـ رغم أنها مكتوبة نثراً ، خصائص الملحمة بأبعادها الشعبية والاسطورية والرمزية . كذلك تتشابه السير الشعبية مع الملاحم في كونها مجهولة المؤلف أو المؤلفين ، وفي أنها على الاغلب نتاج عبقريات متواترة دأبت على صياغتها وإعادة صياغتها حتى بلغت هذه الرتبة الراهنة من النضج والاكتمال والشمول . أنها نتـاج مراحـل تاريخيـة عديدة ، غير أن همها التاريخي والإنساني ظل واحداً تقريباً خلال عدة قرون من الزمن . ونحن لا نستطيـع أن نحدد تـاريخ بـدء ظهورهـا ، ولا لتوقفهـا عن الظهور ، فمثل هذا الهدف سيكلفنا اعواماً من البحث والتنقيب . لكن البنية اللغوية والاسلوبية فيها تشير إلى أنها كتبت في عصر لم يعد يحفل باستعمال رفيع المستوى للغـة العربية ، ولا باعتناء كاف بقواعد هذه اللغـة . وبالتـالي فنحن نرجح ظهورها في مقربة من القرن العاشر ، وتوقفها عن الظهور أواسط القرن السادس عشر ، حيث خيم ظلام الامبراطورية العثمانية على الوطن العربي .

ليست سهلة مسألة الحكم على الروايات التاريخية هذه والسير الشعبية بأنها قد تكون أفيوناً لاطفالنا . إن رواجها والاقبال عليها ليسا بحد ذاتهما دليلاً على

الصحة النفسية والتربوية التي يمكن أن تستمد منها . وأن عدم الاقبال عليها لا يعني بالضرورة أنها تفتقر إلى أحداث هذا الأثر المرغوب في النفس والعقل لدى الناشئة . أن للأمر جوانبه الاعمق .

هذه الروايات تندرج في اطار ثقافة أوسع وأشمل ، كما يندرج الحكم عليها في اطار رؤية كلية هادفة تتناول هذه الثقافة وسبل تكريسها في نفوس الناشئة ، والاجيال الجديدة بصورة عامة .

فإذا كان لنا أن نرسم اختياراتنا التربوية على أساس أن ثمة قومية فرعونية مثلاً ، وعلى أساس أن ثمة بالتالي قوميات فينيقية وبابلية وحميرية وبونيقية ، بالإضافة إلى العربية المنكمشة أو بعيداً عنها ، فمما لا شك فيه أن روايات نجيب محفوظ التاريخية الثلاث ستكون اكسيرا للحياة وليس أفيوناً . وإذا كنا نرى بالمقابل ، أن اختياراتنا التربوية ينبغي أن تستمد من اختيار أوسع هو القومية العربية ، فإن روايات نجيب محفوظ الثلاث هذه ستكون مثار نقاش ، محتدم على الاقل ، وربما كان خلافياً بالقطع .

بالنسبة لواقع الحال ، فإن الدعوة المتكررة المتجددة للقومية المصرية قد ارتدت منذ أوائل هذا القرن أحد روائين وسارت في أحد طريقين : فاما اللباس المتوسطي المنسوج من حضارات البحر المتوسط ، واما اللباس الفرعوني الصرف ، اما الطريق إلى اندماج مقصود مع الحضارات الاغريقية واللاتينية والاوروبية الحديثة ، واما الطريق إلى استقلال حضاري مشيد على تاريخ مصر القديم .

هذه الدعوة بحسب ما نعلم ، لم تحاول أن تلتقي مع الدعوة القومية العربية إلا التقاء هامشياً فضفاضاً . وفي اغلب الأحيان كانت مناوئة للعروبة والوحدة العربية . وبالطبع فنحن نستثني هنا الفترة الناصرية ، التي شهدت مصر خلالها اندماجاً للتيار القومي المصري داخل نهر عريض من الدعوة القومية العربية التي قاد مسيرتها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . وما أن توفي هذا الرجل حتى ارتدت الدعوات العقائدية في مصر إلى القومية المصرية .

داخل هذا الاطار من التوجه العقائدي والسياسي ، تغدو روايات نجيب محفوظ الثلاث مسألة خلافية . فالمؤمنون بالعروبة يرون خطر هذه الروايات على مسيرة الوحدة العربية . والمؤمنون بالقومية المصرية يرونها بلسما فكرياً في مسيرة تكوين هذه القومية. لكن الطرفين لن يختلفا على الاطلاق ، كما نظن ، في كون هذه الروايات تحمل دعوة صريحة إلى فرعونية مصر ، وإلى تصوير مصر ككيان قومي ذي جذور تاريخية متميزة عن كل جذور أخرى منذ فجر التاريخ .

إن رواية (عبث الاقدار) تقدم عالماً قومياً متكاملاً وهذا العالم مشيد على جغرافيا شديدة الوضوح ، وشديدة الانقطاع عن كل جغرافيا أخرى . وهي تقدم شعبا متماسك اللحمة ، متوطد الطبقات ، ملتفاً حول حكومة رشيدة ، منصرفاً إلى الانتاج المنظم الذي يشمل البلاد كلها ، لكنه فوق هذا كله معتز كامل الاعتزاز بمصريته ولا يقبل المساومة عليها حتى ولو كلفه الأمر بذل الأرواح والدماء . وهكذا فعندما يتهادى سكان سيناء في تحديهم للشعب المصري ولسلطة الفرعون المقدسة ، يجرد الفرعون عليهم حملة تأديبية بقيادة بطل الرواية (ددف) فيهدم قلاعهم وحصونهم ويمزق تجمعاتهم المتمردة شر ممزق .

لكن هذا مجرد اطار فقط لشخصيات لا تتوانى أبداً عن التغني بمصريتها وبالولاء لهذه المصرية . ويبدو أنه حتى الثيران المصرية متميزة عن غيرها . فالمراقب العام لأعمال بناء الهرم ( كالثور المصري عظيم الخوار عديم الأذى ) (ص٧٧) .

وها هو ذا الفنان العظيم ، باني هرم خوفو يخاطب مولاه فرعون بمناسبة انتهاء العمل في ذلك الأثر المعماري المنقطع النظير : (لقد شيد اليوم يا مولاي شعار مصر الخالد وعنوانها الصادق ، فهو ابن القوة التي تربط شمالها بجنوبها ، وهو وليد الصبر الذي يغمر صدور بنيها جميعاً من الضارب الأرض بفأسه إلى الكاتب على الطرس بقلمه ، وهو وحي الدين الذي تخفق به قلوب أهلها ، وهو مثال العبقرية التي جعلت من وطننا سيداً على الأرض التي تسبح الشمس حولها في

السفينة المقدسة ، وسيظل أبداً الوحي الخالد الذي يهبط على قلوب المصريين فيؤيدها بالقوة ، ويلهمها الصبر ، ويحثها على الدين ، ويدفعها إلى الابداع ) (ص ٩٤) .

على أن صورة الحياة المصرية في ذلك الزمان الغابر ليست حقاً صورة غابرة . على العكس أنها تتشابه كثيراً بصورة دولة منظمة ، راقية ، متطورة من دول القرن العشرين . إن مشروع بناء الهرم يشبه مشروع بناء السد العالي مثلاً ، أو بناء ناطحة سحاب في نيويورك . ان العمل منظم تنظيماً دقيقاً للغاية . ومع ذلك فصياح الرؤساء وأوامر الحرس وطقطقة الآلات تختلط بأصوات الاناشيد ( ص٦٠) . وثمة ( بناية متوسطة الحجم ، جميلة المشهد ، ويقف على بابها حارس من الجند ) تأتي إليها امرأة تسأل عن زوجها العامل ، فتدخل ( حجرة واسعة تصطف في جوانبها المكاتب ويجلس خلفها الموظفون ، وكانت جدرانها ملآي بالرفوف المكدسة بأوراق البردي ) فتجتازها ( إلى حجرة اصغر حجماً وأجمل منظراً وأثمن أثاثاً ، وكان يجلس في ركن منها ـ خلف مكتب فخم ـ رجل . . . جلس جلسة كبرياء وعظمة ، وانكب على ما بين يديه في تيه وسلطان )(ص ٦١).

إن هذا الرجل رئيس العمال . وإن لديه دفاتر باسماء جميع العمال في المشروع العظيم، مرتبة بحسب الاحرف الابجدية . ورغم أن العامل ، زوج المرأة ، قد مات ، لكن الفرعون أمر ببناء بيوت لأسر العمال الذين قضوا اثناء العمل ، وباجراء اعانات شهرية لها ، على نحو ما يحدث في افضل دول القرن العشرين رقيا وإنسانية .

هذه الصورة المثالية لمصر ككيان حضاري ، وللشعب المصري الفرعوني ككيان اجتماعي ، تعود إلى الظهور في رواية محفوظ التالية ، التي عنوانها ( رادوبيس ) . انها مصر القوية العزيزة ، الباسطة نفوذها شرقاً باتجاه آسيا ، وجنوباً باتجاه منابع النيل . ونلاحظ هنا أن علاقة مصر بالشرق والجنوب علاقة

هيمنة سياسية وسيطرة عسكرية . ان الايقاع الشوفيني للرواية مستتر غالباً ، لكنه قوي ومستمر ، كخلفية فكرية عقائدية .

وبالطبع فإن أهمية الرواية تكمن في تقديمها صورة لفرعون استسلم لأهوائه بحيث أهمل مملكته وشعبه، وتسبب في قيام ثورة شعبية عليه، يقودها الكهنة، وتنتهي بمقتله . إننا لا نعرف عن ثورة مماثلة في تاريخ مصر القديم الحقيقي . وحتى عندما قام اخناتون في القرن الرابع عشر قبل الميلاد بالغاء آلهة المصريين العديدة ، والدعوة إلى عبادة إلّه واحد أحد بدلاً منها ، لم تقم ضده ثورة من أي نوع ، رغم جسامة التغيير وثوريته . بل ان دينه التوحيدي هذا استمر عدة سنوات بعد موته ، بسبب الهيبة المطلقة التي كانت لفرعون على الشعب المصري .

بالتالي فإن الثورة التي جعل نجيب محفوظ شعب مصر القديم يقوم بها على فرعونه قد تكون أساساً فكرة مستمدة من تأثره بأفكار القرن العشرين عن الديمقراطية وحكم الشعب . وإن هذا التأثر ليمنح الرواية قيمة خاصة إذا ما قررت كنص للمطالعة في المدارس الثانوية . ومما لا شك فيه أن تعليم الناشئة حب الديمقراطية ، وامكانية الثورة على حاكم يستهتر في مباذله بتطلعات الشعب وقيم العدالة والمساواة ، سيسهم مساهمة ثمينة في التربية الأساسية لطلائع هذا الشعب .

وهذا هو بالضبط ما تقوم عليه الرواية التاريخية الثالثة لنجيب محفوظ . اننا هنا بازاء وضع شبيه جداً بالاحتلال الانكليزي لمصر الحديثة ، ونضال شعب مصر لطرد المحتل . وأن ( كفاح طيبة ) ، الذي هو عنوان الرواية هو أيضاً كفاح مصر قديماً وحديثاً ضد المحتل الأجنبي . فالفرعون سيكنرع الذي يواجه الهزيمة ثم الموت وهو يتصدى لجيش الهكسوس ، الذين احتلوا البلاد قبل مئتي عام ، يذكرنا تذكيراً قوياً بجيش عرابي باشا الذي تصدى للانكليز بشرف منهزم هزيمة نكراء .

وبالطبع فإن النبرة الشوفينية هنا أقوى بكثير . انها مباشرة ، دافقة ، قوية ، متوترة . وكلما تقدم القارىء في القصة ازدادت هذه النبرة سيطرة على مجرياتها . ذلك أن مصر ، شعباً وحكومة ، مغلوبة على أمرها ، محكومة بمن هم مجرد رعاة ، لا يملكون حضارة ولا يصنعونها . فكيف تقبل بلاد هي صانعة الحضارة وشمس التاريخ القديم وضعاً كهذا ؟ .

لنصغ إلى الملك سيكنرع يخاطب حاشيته :

( فإذا شاءت حكمة الرب أن يبوء جهادنا بخذلان فما ينبغي أن ينقطع جهادنا قط . . . اصغوا إلي جميعاً ، إذا سقط سيكنرع فلا تيئسوا فسيخلف كاموس أباه ، وإذا سقط كاموس خلفه أحمس الصغير ، وإذا فني جيشنا هذا فمصر ملآي بالرجال ، وأن تسقط بطلياس فلتحارب كبتوس ، وأن تقتحم طيبة فلتشب امبوس وسيين وبيجة ، أو يقع الجنوب في ايدي الرعاع فهنالك النوبة لنا فيها رجال أشداء مخلصون . . . ) (ص٣٤).

وحين يأتي موعد الثأر بعد عشر سنوات ، وينهض الفتى أحمس لمجابهة الهكسوس واجلائهم عن مصر ، فإن نجيب محفوظ يصف لنا المعركة تلو المعركة يخوضهاالجيش المصري المظفر حتى يصل به المسير إلى صحراء سيناء ، حيث يلقى بالهكسوس هناك ، ومعهم ابنة ملكهم وحبيبة احمس المستحيلة :

( وبدأت في الحال ابشع معركة خاض غمارها الإنسان ، واطلق الرعاة السهام فرد عليهم المصريون . . فجن جنون المصريين وهجموا هجمة وحوش كواسر قست قلوبهم وتعطشت إلى الدماء ، ودوي صراخهم في جنبات الوادي كعزيف الرعد وزئير الأسود، واندفعوا لا يبالون الموت المنصب عليهم كأنهم فقدوا الشعور والادراك وانقلبوا آلات جهنمية ) (ص ١٩١ ) .

لكن الهكسوس ظلوا متشبثين بمدينة ( هواريس ) في شمال شرق مصر ، بحصونها المنيعة المركبة وخنادقها الدفاعية المليئة بالماء . كان مستحيلاً اقتحام المدينة . ولكن احمس ، كأي مهندس مجرب من القرن العشرين يأمر بتحويل

مجرى النيل المقدس ليقطعه عن مدينة ( هواريس ) ويضطر الهكسوس إلى الموت عطشاً . ومرة أخرى لا يعترض أحد على فكرة تحويل النهر ، الذي يفترض أن ينظر الناس إليه باعتباره إلهاً وليس باعتباره مجرد مجرى مائي . ويناقش اقتراح الملك من قبل القادة والمسئولين ، كما يتم الأمر في مجلس للنواب ، ثم يوافق عليه . وهكذا ( افتتح الملك المشروع العظيم فأمسك فأساً وضربه في الأرض معلنا ابتداء العمل ( ص ٢٣٦ ) ، تماماً كما يفعل رئيس أية دولة عضو في الأمم المتحدة .

يمكننا القول إذن أن نجيب محفوظ لا يكتفي في رواياته الثلاث بالتوكيد المستمر على الاستقلال الناجز لشخصية مصر الحضارية والتاريخية والبشرية ، وإنما يمضي إلى ما هو أبعد فيعطي للبلاد في زمن الفراعنة صورة حداثية تنتمي إلى القرن العشرين ، من حيث التنظيم والادارة، والتشكل الاجتماعي ، والانجاز على مستوى الدولة ، والعلاقات الفردية في مضامير العمل والحب والصداقة . وخير ما يقال في هذه الصورة إنها تعكس رغبة المؤلف العميقة في أن تكون مصر بلداً متطوراً متقدماً ، وفوق كل شيء ديمقراطياً . ان هذا كله مفهوم ولا شك . لكنه ، كما نرى ، يصطدم في آثاره النفسية والفكرية والتربوية بما هو الآن مشروع حضاري أوسع وأخطر ، ونعني به الوحدة العربية ، ويمكننا أن نتصور الآثار السلبية الداهمة لهذا التوجه القطري في الرواية التاريخية ، إذا ما عكفت كل جماعة عربية على تعزيز الروح البابلية ، أو الأرامية ، أو الكنعانية ، أو المصرية ، أو الحميرية ، أو البربرية ، أو القبائلية ، في مختلف مواقع تواجدها على خارطة الوطن العربية .

لكننا ما نزال نطمح إلى نوع من التفاعل الفكري الخلاق ، الذي يجعل من هذه الحضارات المجيدة روافد ثقافية تغذي الروح القومية العربية بدلاً من أن تنقطع عنها ، وتجعل الاعتزاز بهذه الحضارات شاملاً لجميع الشباب والفتيان العرب ، بدلا من الاقتصار بها على البلد الذي نشأت فيه . وحقا فإن هذه الحضارات ملك للإنسانية . فنحن كلنا ، بمعنى حضاري ، بابليون ، ومصريون

قدماء ، وقرطاجيون ، لكننا لا نملك حتى الآن رواية تاريخية تعكس هذه الرؤية وتنجزها في سرد قصصي. وإذا كانت روايات جرجي زيدان تنطلق من مفهوم العروبة أولاً ، فهي لا تبتعد بهذا المفهوم إلى ما قبل التاريخ الإسلامي ، وهذا ما سنبينه فيما يلي .

يعتبر جرجي زيدان ظاهرة خاصة في التاريخ الأدبي والثقافي للنهضة العربية . لقد كان روحاً لا تهدأ ، وعقلاً لا يرتوي من اكتساب الثقافة ، وقلما لا يضيع وقته . ان الانتاج الأدبي والثقافي الذي خلفه ليبعث على الدهشة بغزارته ونوعيته ، خاصة إذا تذكرنا العمر القصير لهذا الأديب الفذ .

لقد ترك جرجي زيدان للأدب العربي إثنتين وعشرين رواية ، سماها بنفسه ( روايات الإسلام ) . بمعنى آخر ، فإن الرجل كان يعرف تماماً المنهل الرئيسي لرواياته . وحقاً فقد كان يعرف أيضاً تاريخ الإسلام بجميع تفاصيله ، وتاريخ العرب قبل الإسلام بكل التفاصيل المتوفرة في عصره ، وخاصة فيما يتعلق بتشعبات القبائل وتحركاتها على مدى الأرض العربية ، وكذلك فيما يتعلق بالحضارات اليمنية وبانتشار المسيحية في الوطن العربي.

تتتبع هذه الروايات ظهور الاسلام وانتشاره ، ثم انحطاط دولته وانقسامها . وهي بلا استثناء تنهج تقنية روائية لا شك أنها كانت متميزة في ذلك العصر ، مثلما كانت متميزة في سنوات ظهور روايات محفوظ الثلاث، ومثلما هي دائماً كذلك ، إنها ذلك النسيج المتماهي المتواشج بين الخاص والعام . اننا لا نستغرب هذه المقدرة عند نجيب محفوظ، فعبقريته الروائية معروفة للقاصي والداني . لكن اتقانها من قبل شخصية أدبية لم تتلق تعليماً أكاديمياً منهجياً ، ولم تتلق المؤثرات الثقافية عبر أقنية متخصصة ، هو الذي يثير الدهشة والاعجاب . بل اننا بمقارنة سريعة بين روايات محفوظ الثلاث وروايات جرجي زيدان الإثنتين والعشرين نستطيع أن نتبين فرقاً جوهرياً لمصلحة الثانية .

لقد كان يكفي نجيب محفوظ التقاط القليل من الوقائع التاريخية ، والحصول على ثبت بالاسماء الفرعونية ،وخاصة اسماء الملوك والأمراء والأميرات ،

ليكون بذلك قد حصل على المادة التاريخية اللازمة لصنع روايته . وسواء كان الأمر يتعلق بأوضاع مصر الداخلية ، أم بحروبها مع الآخرين ، فالمادة التاريخية غزيرة حقاً . وقد أشرنا سابقاً إلى أن خيال الروائي يكمل النسيج العام للرواية باضافات عديدة من لدنه ، بعضها اجتهادات شخصية وبعضها استفادات معرفية من واقع القرن العشرين وأحواله ، كذلك فإن معظم الشخصيات تتحدث بعقل ولغة اناس ينتمون إلى القرن العشرين ، باستثناء المواقف التي تتطلب الإشارة إلى الآلهة أو إلى شخص فرعون المقدس . وهذه مواقف قليلة وهامشية . إن ( عبث الاقدار ) مثلاً ، تعطينا ثلاثة اخوة يتخصص أحدهم في الهندسة المدنية والآخر في اللاهوت والثالث في العسكرية . وثمة جامعات ومعاهد لكل هذا . ويزيد يقيننا من عصرية الرواية ، إذا عرفنا أن الاخوين الأكبر يقبلان الثالث مع أنه ليس اخاهما بالدم ، وإنما ربيب أبيهما الذي تزوج الأم . غير أن العلاقة بين الأخوة الثلاثة لا تشوبها شائبة ولا ضغينة ولا حزازة . ومثل هذا الموقف بالكاد موجود حتى في عصرنا الحديث .

إن جرجي زيدان ، بالمقابل لا يملأ فجوات التاريخ بما يمليه عليه الخيال الخصب . وكذلك فهو لا يقدم قصصاً قديمة في بيئة شبه عصرية أو عبر شخصيات حديثة . وهذا ما يجعل مهمته أصعب في تقديم بنية روائية تجمع العام والخاص ، الشامل والشخصي ، التاريخي والعاطفي . وفوق هذا فإن طبيعة موضوعه تقتضي الماماً كافياً بأحوال بشرية عديدة في الجزيرة العربية ، والعراق ، والشام ، ومصر ، والمغرب ، والأندلس ، وفرنسا ، وأفغانستان ، وفارس ، وغيرها . وتقتضي كذلك معرفة جيدة بالجغرافيا والتاريخ المرتبطين بكل هؤلاء الأقوام .

إن التاريخ الإسلامي تاريخ معروف . لذلك فإن المجال المتاح لجرجي زيدان كي يتصرف بحرية نسبية تلائم حاجاته الروائية ، مجال محدود . غير أنه نجح رغم ذلك في كتابة روايات بالغة الجاذبية بالنسبة للفتيان والفتيات ، وأيضاً بالغة التقيد بالحقيقة التاريخية ، وهذا أيضاً أمر مفيد للفتيان والفتيات . ان بوسع

من هم في العاشرة أن يقرأوا هذه الروايات بالمتعة نفسها التي يسع أبناء الثلاثين أن يقرأوها بها. وهذا بحد ذاته انجاز كبير.

ويلجأ جرجي زيدان في استكمال بنيته الروائية هذه إلى تقديم ما يسميه فذلكة تاريخية ، يعرض فيها لزمان ومكان القصة ، ولاشخاصها ، ضمن مسار التاريخ . وبعدئذ يقدم لنا شخصيات يتوقع المرء وجودها بصورة عفوية وطبيعية إلى جانب الشخصيات التاريخية . فجبلة بن الإيهم شخصية معروفة في التاريخ . لكن ابنته وقصة حبها غير معروفتين . وغير معروف أيضاً الفارس الذي تحبه ، والذي يتكشف عن كونه ابن النعمان ملك المناذرة . ويمكننا أن نسمي هذه الشخصيات بشخصيات الظل. وهي توجد في اماكن وعلاقات لا يذكرها التاريخ عادة ، لكنها تقترن بالوضع التاريخي وبالاسماء التاريخية ، عبر اسباب موضوعية قابلة تماماً للتصديق . فأما أن هناك القربى ، أو الخدمة في الدولة ، أو التميز الشخصي ، أو غير ذلك مما يجعلها مرتبطة بمجرى الأحداث .

ومع هذه الشخصيات توجد اعداد من شخصيات أخرى أقل ارتباطاً بالمجال التاريخي ، وأبعد بالتالي عن دائرة الضوء ، لكنها اقرب إلى الجماهير والحياة الشعبية . أن هذه الشخصيات ليست ثانوية على الاطلاق ، رغم محدودية أهميتها من وجهة النظر التاريخية . أنها تعطي للروايات نبض الحياة وايقاع الواقع ، وتمهد بقوة وفاعلية لخلق مصداقية الرواية .

ولعل شخصية (قطام) في رواية (١٧ رمضان) مثال بارز على هذه التقنية الروائية . فالفتاة تريد الانتقام من الإمام علي لأن أباها الخارجي قتل في احدى معارك الإمام مع الخوارج ، إذن هي ليست من التاريخ في شيء . فمثل هؤلاء الراغبين والراغبات في الانتقام لأسباب تاريخية كثيرون ، لكنهم يبقون في الظل ، وربما في العتم ، بالنسبة لأحداث تاريخية ، ما لم يقودوا معركة أو يدبروا حادث اغتيال . ومع ذلك فإن ( قطام ) مركز الرواية الأولى وقصتها مع سعيد الأموي توصلنا إلى الإمام علي والى عمرو بن العاص ، كما توصلنا إلى كثير من الناس

الآخرين الذين يعيشون اجواء تلك الفترة المحمومة ، وإلى احوال الناس في العراق ومصر .

وبعدها يمضي جرجي زيدان خطوة متقدمة أخرى إلى الإمام في تقنيته الروائية ، حين يجعل من شخصيات الظل هذه مصادر للمعرفة . فبعد أن يتأسس اقتناع القارىء بها ، رغم أنها من ابتكار الخيال ، ينطقها المؤلف بما يريد أن يقتبسه من التاريخ ، أو بما يريد أن ينقله إلى قارئه من معلومات ومزايا وأفكار كي يحقق هدفه في احداث التأثير المطلوب في النفس القارئة . وحقاً فهو لا يفعل ذلك إلا باتقان وذكاء ومهارة . ان الشخصيات التي تتحدث عن الإسلام في ( فتاة غسان ) أو ( ارمانوسة المصرية ) مثلاً ، ليست الجنود المسلمين الذين يدخلون الشام ومصر . على العكس تماماً ، أنها شخصيات شعبية تقبع في الظل ، محايدة ومنصفة وعادلة ، وتنتمي إلى البلد الذي يدخله الجيش العربي الاسلامي فاتحاً . وبالتالي فإن حديثها عن المسلمين والاسلام يصير موضع ثقة ومقبولية لأنه بني على المعاينة والمعايشة ، وليس على التأثر الشخصي أو الانتماء الديني أو العزة القبلية . وعندما يتعلق الأمر بغزو فرنسا مثلاً ، نجد هناك فرنسيين يقولون للفرنسيين إن هؤلاء المسلمين لا يخرقون حرمات الأديرة ولا يؤذون رجال الدين ، ولا يعتدون على النساء والاطفال ، وإلى ما هنالك من معلومات إنسانية تجعل الفاتحين المسلمين دعاة دينيين وليس غزاة همهم السلب والنهب .

ضمن هذا الاطار الفني والفكري يتحرك قلم جرجي زيدان ليعيد سرد التاريخ العربي ازسلامي في قصص حب ونضال وبطولة وتضحية وغيرة وارتداد وخيانة وكراهية . إنها قصص تجمع كل ما يمكن أن تجيش به النفس البشرية من نوازع ومشاعر وعواطف ، وكل ما يمكن أن يحفل به العقل البشري من افكار ومسلمات وارتيابات . إن هذه الآفاق ليست موضعنا بالطبع . وما يهمنا منها أنها تشكل المادة الأساسية الواقعية لهدف يسعى المؤلف إلى تقديمه ، وهو أن العرب أمة واحدة مجيدة ، وأن تاريخهم تاريخ واحد مجيد .

وفي هذا التقديم يبدو جرجي زيدان قادراً تماماً على التمييز بين القومية والدين ، وبين القومية والقبلية ، وبين القومية والشوفينية ، مما يوحي بوجود بصيرة تاريخية وسياسية انفذ مما تحتويه روايات نجيب محفوظ التاريخية . ولعل الفرق الأهم بين الروائيين هنا يكمن في أن نجيب محفوظ أراد تقديم صورة كلية لتاريخ مصر الفرعوني ، فانسرح وراء خياله وعواطفه الشخصية في صنع هذه الصورة ، بينما التزم جرجي زيدان بالوقائع وارادها فقط أن تتكلم عن نفسها .

إن تقديمه للغساسنة في رواية ( فتاة غسان ) جدير بالاقتباس : ( بنو غسان ) عرب مسيحيون ، كانوا عمالاً لقياصرة الروم على الشام . وقد نشأوا في اليمن من بني قحطان ، ثم هاجروا منها بعد سيل العرم . . . نزل بعضهم بضواحي الشام قرب ماء اسمه غسان فنسبوا إليه واعتنقوا الديانة المسيحية (ص ٥) .

في هذا النص القصير حقق جرجي زيدان عدة أهداف . فهو قد ربط المسيحية بالعروبة في قوله ( بنو غسان عرب مسيحيون ) . وهكذا قدم موقفاً حضارياً متقدماً ، ربما كما نحن بعد ثمانين عاماً من صدور الرواية محتاجين إليه . إن من يعاين الأوضاع الطائفية في الوطن العربي ، ونحن نقترب من نهاية القرن العشرين ، لتمتلىء نفسه بالأسى وهو يقارن هذا الوعي المتردي في حمأة طائفية غير معقولة بوعي جرجي زيدان المتعالي على الشقاق الطائفي ، المنتسب بمسيحيته إلى العروبة ، المتقدم بعروبته على عقيدته الدينية . ومما لا شك فيه أن هذا الموقف سيجعل قراء الرواية الشباب والفتيان أبعد عن الأهواء الطائفية وأقرب إلى الالتزام بانسانية قومية سمحاء .

والهدف الثاني الذي يحققه زيدان بهذا المقطع القصير هو التنبيه إلى حقيقة تاريخية باتت شبه غائبة عن وعينا ، وخاصة بعد الحملة الاعلامية التاريخية للاستشراق والصهيونية التي استهدفت خلق قطيعة فكرية وتاريخية بين العرب وكل مكان خارج الجزيرة العربية . إن الفكرة السائدة في الثقافة العالمية هي أن

العراق والشام ومصر كانت بلدانا تسكنها شعوب لا علاقة لها بالعروبة . وبالتالي فإن الوجود البشري العربي فيها واحد من وجودات قومية أخرى ، مما لا يبرر أي ادعاء للعرب بعروبتها .

والحقيقة التي يثبتها زيدان هنا ، ليست من بنات افكاره ، فلقد تتبع الرجل ، كما هو واضح ، تاريخ الهلال الخصيب ووادي النيل واكتشف أن المنطقتين كانتا موطنا لهجرات عربية متتالية ، وإن هذه الهجرات قد استطاعت تكوين مملكتين ، احداهما في العراق وتسمى مملكة المناذرة ، والأخرى في الشام وتسمى مملكة الغساسنة . إن هذه الهجرة ، كما عرف زيدان من استقصاءاته التاريخية ، قد تمت بعد انهيار سد مأرب ، وبعد مأساة سيل العرم ، وهذا يعني أنها سابقة لظهور السيد المسيح . بمعنى آخر ، إن العرب استوطنوا العراق والشام قبل ألف عام تقريباً من ظهور الإسلام .

والهدف الثالث الذي يحققه هذا التقديم هو أن هؤلاء العرب قد تسموا ، في الشام ، باسم المكان الذي نزلوا فيه ، وهو غسان . وفي هذا توكيد عملي على وحدة القوم بالأرض وحدة تاريخية عريقة .

وبالطبع فإن الرواية لا تكتفي بهذا البيان الصغير ، لتطلب بعد ذلك منا أن نعتنق كل ما جاء فيه كحقائق صارخة . ان متن الرواية ، وشخوصها ، وأحداثها ، تؤكد هذه المقولة التي افتتحتها . فالفارس المجهول حماد ، وهو فتى من ( لخم ( المالكين بالعراق ، يحب ، ثم يتزوج ، هندا فتاة غسان ، لنكتشف أن المملكتين تعودان إلى أصول قبلية واحدة، ولنفهم عبر الرمز ان العراق والشام بلد واحد. كما ان مصير الاثنين يرتبط ارتباطا وثيقا بغزوة مؤتة في البداية، ثم بمعركة اليرموك فيما بعد، وفتح دمشق، بحيث يغدو واضحاً أن العرب العاربة والعرب المستعربة هم أيضاً شعب واحد، وأن بوسع الجميع أن ينضووا تحت راية قومية واحدة سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين، . وإذا كان اسلام جبلة بن الأيهم قصير الأمد، فإن السبب في ذلك واضح، وهو اصرار الرجل على مركزه كملك وعدم قدرته على تفهم روح العدالة

العالمية في الاسلام. لكن عرب الشام المسيحين منهم والوثنيين تقبلوا الاسلام تقبلاً كاملاً، فمنهم من اعتنقه، ومنهم من تعايش معه. وإن حدث عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ليشرح هذا الأمر كما ورد في الرواية. يقول عمر عن جبلة:

( ولكننا ما برحنا نرى فيه روح الاستبداد والظلم مما يأنفه عدل الاسلام. لأن هؤلاء المتنصرة عاشروا الروم واعتنقوا ديانتهم وتخلقوا باخلاقهم ، ولا يخفى عليكم ما في دولة هؤلاء الروم من التفاوت بين طبقات رعاياهم فيأكل القوى منهم الضعيف ) ( ص ٤٠١ ) .

وبعد هذا الحديث يروي زيدان على لسان عمر قصة صدام جبلة بن الإيهم مع رجل من فزارة التي انتهت بارتداد جبلة عن الاسلام، والتي عرف فيها الملك السابق أن الاسلام يساوي بين الملوك والسوقة .

إن هذا المنهج الروائي في تنسيج الخاص والعام بغية تقديم صورة مشرقة عن التاريخ العربي ، يستمر في الروايات الإثنتين والعشرين كلها . وهو يصادف نجاحاً تاماً ، بالنسبة لموضوع ورقتنا ، في الروايات المتعلقة بالفتوحات العربية ازسلامية ، سواء ما كان منها في الاندلس أو في آسيا . ولا شك أن الفتى الذي سيقرأ روايات الفتوحات هذه سيكون ممتلئاً بالفخر والوعي وهو يشاهد بعين عقله تاريخ امته . وسيعرف بالتأكيد صدق مقولة توينبي : ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب .

وإن لهذا الجانب أهميته البالغة في اعداد جيل قومي مؤمن بمستقبل أمته . فالمصادر التي ترسم للفتى العربي تاريخ أمته تتأثر أحياناً بالرؤية الأوروبية لهذا التاريخ ، أو بالرؤية الأممية . وفي كلتا الحالتين تتم معادلة الفتوحات العربية بالاستعمار ، وخاصة بالظاهرة الاستعمارية الانكليزية والفرنسية . فإذا ما عرف الفتى أن العرب دخلوا العالم لنشر دين سماوي ، يساوي بين الملوك والسوقة ، ويمتنع ابناؤه عن الاذية ، فإن الحصاد التربوي لقراءة روايات الفتوحات هذه سيكون ثميناً وغزيراً بلا شك .

لكن الفتوحات لم تكن دائماً سعيدة النهاية . وإننا نشير هنا بشكل خاص إلى المعارك التي خاضها الجنود المسلمون في جنوب فرنسا وانتهت بهزيمتهم في معركة بواتييه . وحسب هذه المعركة خطورة أن سيغمند فرويد يقول عنها ، في دراسته لشخصية الرئيس وودرو ولسون ، إنها لو انتهت بنصر المسلمين لتغير تاريخ العالم . وقد تناول زيدان هذه المعركة في روايته ( شارل وعبد الرحمن ) ، فتقيد بالحادث التاريخي تقيداً تاماً . واستلهم منه ما يمكن أن يعتبر الدرس الاخلاقي الأمثل لحالة تغليب المصالح الفردية الخاصة على المصالح الجماعية الخطيرة .

لقد انهزم العرب أمام شارل مارتيل بعد أن أوشكوا يوقعون به الهزيمة ، وذلك لترك جنودهم الحرب وانصرافهم إلى السلب والنهب . ولكي يعطي زيدان لقارئه المأساة الأعمق لهذه الهزيمة ، ربطها بالمصائر الخاصة للأفراد ، وتحديداً بمصير العاشقين هاني ومريم . لقد شاءت ظروف القائد العربي وحبيبته النبيلة ألا يمكن زواجهما إلا بعبور نهر اللوار . لقد كان هذا العبور هو عربون الزواج . لكنه صار مستحيلاً بعد الهزيمة . وصار مستحيلاً أيضاً البقاء والاستمرار ، بعد أن أعطى الحب الطعم واللون والرائحة لحياتيهما . يقول هاني لحبيبته :

( لقد فشل جندنا وفر من بقي منا حياً وفي الفرار بقاء ترتاح له نفس الجبان . وقد اجتمعنا الآن ولا رقيب علينا وكل منا يريد البقاء ولا بقاء له إلا بالفرار . ونفسي تأبى ذلك . أن فؤادينا ذابا تطلعاً إلى اليوم الذي نعبر فيه هذا النهر لأن في عبوره اجتماعنا فما الذي منعنا من الاجتماع فيه الآن ) ؟ .

فقطعت كلامه قائلة : ( في جوفه ) .

فقال : ( بل في قاعة ( ( ص ٢٤٨ ) ) .

وهكذا يمشي الحبيبان يدا بيد ، حتى تغمرهما مياه النهر . . إلى الأبد. لقد ارتبطت المأساة الخاصة بالمأساة العامة ارتباطاً وثيقاً يهز المشاعر . وبلا جدال ، فإن تقديماً من هذا النوع للقصة التاريخية ، لن يكون أفيوناً للناشئة ، وإنما سيعلمهم ببساطة أن يوحدوا بين حياتهم الشخصية الفردية وحياة الوطن .

لكننا نتريث قليلاً أمام الجزم بفائدة الروايات التاريخية التي عالج جرجي يدان فيها التاريخ الداخلي للعرب المسلمين ، ان الوصف المحكم لمعركة كربلاء ي رواية (غادة كربلاء)، وبصورة خاصة لمقتل الحسين بن علي ، يثير من المشاعر كثر مما تطلبه الحكمة ، وأكثر مما يريده المرء للتأثير في واعية الناشئة وشخصيتهم . مثل هذا القول يصدق على روايات أخرى مثل ( ١٧ رمضان ) و( الأمين المأمون ) ، يكون موضوعها الرئيسي خلافاً داخلياً على السلطة أو الاجتهاد لديني .

حقيقة الأمر أن جرجي زيدان ليس مسؤولاً عن ظهور ردود الافعال لجائشة هذه . ذلك أن من بين عيوب التاريخ العربي ، أو ربما مآسيه ، هو أن لاشكاليات الرئيسية فيه قد تركت دونما اجوبة نهائية ، ودونما تحليل موضوعي تقييم عقلاني محايد ، حتى في العصر الحديث . وهكذا فنحن أبناء القرن عشرين قد ورثنا خلافات القرون الماضية وامتنع علينا ايجاد التقييمات الحاسمة نهائية لها . هل كان معاوية محقاً في معارضته لعلي ؟ هل يحق للأخ ( المأمون ) ل أخيه ( الأمين ) للوصول إلى السلطة ؟ .

إن جرجي زيدان يعبر بين هذه المعالم والأحداث التاريخية كمن يعبر في قل الغام . وهو غالباً ما يهتدي بحس شخصي وقومي سليم . لكن منهجه هو دم التحرش بتلك الاشكاليات الكبرى التي وصلتنا مفتوحة من تاريخنا إسلامي . ففي ( ١٧ رمضان ) نلمس التأييد العام والمعروف بين المسلمين خليفة علي . لكن هذا التأييد لا يمنع تقديم عمرو بن العاص في مصر تقديماً ضوعياً لا أثر فيه للسلبية أو للضدية . ومثل هذا ينسحب على صراع الأمين لمأمون لأجل الخلافة . أن العنصر غير العربي موجود بقوة هنا . وهذا ما يشحذ ة جرجي زيدان . صحيح أن الجميع في هذا الصراع مسلمون ، لكن المؤلف ينسى الجانب القومي البالغ الأهمية لهذا الصراع . فالفرس يريدون الاستيلاء ى السلطة ، أو التحكم فيها على الأقل . وهكذا فإن المأمون الذي يستعين

بهم للاطاحة بأخيه الأمين ، سرعان ما يلجمهم ويتخلص من قادتهم ، ليؤكد بذلك استمرار وجود السلطة بأيد عربية .

إن هذا العرض الوجيز لروايات جرجي زيدان التاريخية لا يعطيه إلا القليل من حقه في الاجلال والتقدير . فهذا الرائد القومي والثقافي أعطى نموذجاً فذاً لمسؤولية الأديب تجاه وطنه ، ولقدرته في الاسهام الجاد والفعال في تربية الجيل الجديد على الاعتزازا بأمتهم وبتاريخها . انه يكاد أن يكون ظاهرة فريدة في تاريخ الأدب العربي .

وهكذا نصل الآن إلى المجموعة الثالثة مما اسميناه الرواية التاريخية . وإن أول ما يسترعي اهتمامنا في هذا المضمار أن مؤلفي هذه الروايات التاريخية المسماة ( السير الشعبية) مجهولو الاسماء . وحتى عندما يرد اسم ، كما في حالة ( سيرة عنترة بن شداد ) ، فأغلب الظن أنه منتحل أو أنه واحد من عديد الكتاب الذين صاغوا سيرة البطل الجاهلي نثراً . وتدلنا الكتب والدراسات على أن كتابة هذه السير قد نشطت في العهد الفاطمي ، لأسباب لا مجال لذكرها هنا لكن الكتابة نفسها لم تكن مقصورة على كاتب دون آخر . وبوسعنا أن نرى أكثر من نسخة واحدة للسيرة الواحدة ، مما يؤكد تعدد الكتابات .

وإن ثاني ما يسترعي اهتمامنا بالنسبة للسير الشعبية هو أن يد التجارة والربح قد امتدت إليها فعبثت بها عبثاً شديداً مهلكاً . ولعل أسوأ ما توصلت إليه هذه السير من تنقيحات وتشويهات واختصارات هو ما صدر عن بعض دور النشر في بيروت . أن سيرة سيف بن ذي يزن ، مثلاً ، التي تقع في أربعة مجلدات ضخمة ، وتنوف على الف وخمسمائة صفحة قد اختزلت إلى أربعمائة صفحة . وقد أخرج منها كل ما يمكن أن يضعها في مصاف الآداب العالمية الخالدة . إن العنصر الأخيولي ( الفانتاستيك ) قد أوشك على الاختفاء تماماً منها . كذلك أيضاً المفاهيم المتضاربة عن الزمان والمكان والحركة والقدرة . ولعل القلم الذي قام بتشذيبها المحزن هذا اراد أن يخفف من عنصر اللامعقول فيها ليجعلها ، بحسب

ما يرى ، مقبولة من العقل ومفاهيم العصر . غير أنه بذلك افقرها تماماً من مزاياها الأدبية العظيمة وأحالها إلى هيكل عظمي من الأحداث العادية .

ومثل هذا حدث لسيرة بني هلال التي كانت في الأصل مجلدات ثلاثة ، تقع في نيف والف ومئتي صفحة ، فغدت الآن أقل من أربعمائة صفحة . ومرة أخرى نجد أن يد الحذف قد امتدت إلى جميع عناصر الخيال فأزاحتها ، وخاصة تلك المرتبطة بتعاطي السحر وأساليبه . كذلك امتدت يد الحذف إلى العديد من المعارك والمصاولات ، بحجة التكرار على ما يبدو ، فقلصت من ابعادها ومن اعدادها . وقد تم هذا على نحو افقد هذه السيرة طابعها الحكائي الشفهي ، الذي تتصف به الملاحم كلها ، وتتميز عن سائر الأجناس الأدبية الأخرى . وفوق هذا فإن سيرة بني هلال تنفرد عن بقية السير والملاحم بكونها سيرة جماعية تتناول أربعة قبائل . وبهذا المعنى فهي نسيج خاص في الأدب القصصي الذي يستند أساساً على شخصية محورية واحدة تعطي لها جميع المقدرات الخارقة والانجازات الهائلة . صحيح أن شخصية أبي زيد الهلالي هي الأكثر جاذبية والأكثر حركية في السيرة . لكنها ليست وحدها على الاطلاق في ساحة الحركة والانجاز . وفي النسخة الاصلية للسيرة نجد أن أبا زيد لم يستطع يوماً أن يهزم دياب بن غانم الزغبي في معركة فردية . أن دياب هو فارس بني هلال غير المنازع عندما يكون النزال من فارس لفارس . كذلك فإن السلطان حسن هو الزعيم المنتخب للقبائل الأربع التي تكون بني هلال . أما القاضي بدير فهو رمز متميز للعدل والحكمة . وإلى جانب هذا فإن أسماء لا حصر لها تملأ الفضاء الروائي ببطولاتها وغرامياتها ومغامراتها ، مما يجعل هذه السيرة عملاً متميزاً عن سائر الأعمال القصصية والملحمية الأخرى . إنها بحق جديرة باسمها : سيرة بني هلال ، فهي تتناول حياة الجماعة بكاملها ، دون الاقتصار على حياة فرد واحد ومغامراته .

وإن لفي هذا الطابع ميزة تربوية عظمى في وطن اتصف معظم تاريخه بالاستبداد ، وتسلط فرد واحد على الحكم ، وبالسلطة المطلقة عموماً . ذلك أن

السيرة تتضمن من ملامح الحياة المشتركة وأحداثها ما يجعلها تعبق بجو ديمقراطي محبب ، حيث الانجاز وخدمة الجماعة هما المعياران الأهم للجدارة والقيمة .

وفيما غير هذا ، فالسيرة تلتقي مع بقية السير في خصائص ومزايا معينة تهم موضوعنا .

هذه السير تتناول أحداث حياة أناس حقيقيين ، يمكن أن يقرأ المرأ عنهم في كتب التاريخ العادية . لكن هذا ليس الجانب الأهم ولا الأضوأ في شخصياتهم . إن الملك سيف ، وعنترة ، والمهلهل ، وابطال بني هلال ، والملك الظاهر بيبرس ، وحمزة البهلوان ، رجال عاشوا في هذه الفترة أو تلك من التاريخ العربي . لكن مآثرهم وانجازاتهم أعلتهم إلى صعيد جديد مختلف في الوجدان القومي الشعبي . وهذا الصعيد الجديد هو الذي يميز الكتب المكتوبة عنهم ويرفعها إلى مصاف الأعمال الأدبية العالمية الخالدة .

إنه الصعيد الذي تصير الشخصية الواقعية عنده رمزاً واسطورة . وهذه الصيرورة ليست نتاج رغبة ذاتية لدى المؤلف ـ الذي غالباً ما يكون مجهولاً ، وغالباً ما يكون واحداً من عدة مؤلفين سبقوه . وبالطبع فنحن لا ننفي مساهمة المؤلف في تكريس البطل الواقعي رمزياً واسطورياً ، فمما لا شك فيه أنه إذا لم يوجد مؤلفون على قدر عظيم من الموهبة والرؤيا فلن يصل البطل الواقعي إلى صعيده الجديد . لكن مساهمة المؤلف تعتمد اعتمادًا كلياً تقريباً على الخيال الشعبي الذي يشكل بيئة فكرية وتكوينية لصورة البطل الواقعي ، والذي يضيف إلى هذه الصورة قليلاً من القوة هنا وقليلاً من الشجاعة هناك ، قليلاً من الحكمة هنا وقليلاً من البطولة هناك . وفي اكمال تمنح المخيلة الشعبية البطل الشعبي كل الصفات والأحداث التي من شأنها تجسيد التسوق والنشدان اللذين تعج بها وجدانات الجماعة .

فالبطل السيروي هو إذن ضمير شعبة ، الممثل الممتاز لأماني هذا الشعب وتطلعاته ، والمعبر الأعظم عن خصائص الشعب نفسه ، وإن الجزء الاخيولي من

شخصيته ، الذي لا يستند على وثائق تاريخية تمنحه المصداقية ، هو بالضبط الجزء الأعمق والاصدق تعبيراً عن الوعي واللاوعي الجمعيين ، وعن مجمل الطموحات التي ظلت في الوجدان حية لا تموت رغم أنها على أرض الواقع غير موجودة ، بل ومندثرة .

بالتالي فإن قيمة البطل السيروي تكمن في تجسيده لمجمل أماني شعبه وتطلعاته وخصائصه وقيمه واخلاقه . إن أحجام الملك سيف بن ذي يزن عن معاقبة أمه ، التي أوشكت أن تقتله عدة مرات ، يكشف عن القيمة العظمى التي يقرنها العرب بطاعة الأبناء للآباء . وإن رفض دياب بن غانم منازلة الجازية أخت السلطان حسن في معركة فردية هو تعبير عن تأبي الرجل النزول إلى مستوى مصادمة النساء .

فما هي الطموحات والقيم والخصائص التي تجسدها السير الشعبية العربية ؟ وما الذي فيها بقادر على افادة الفتى العربي ؟ .

إن ثلاثة من السير الأهم بين هذه السير تجعل الهم القومي والقيم القومية منطلقها وغايتها . إن سيرة الملك سيف ، وسيرة بني هلال ، و ( الظاهر بيبرس ) ، تعانق فكرة الوحدة القومية العربية على أساس الخصائص المميزة للأمة العربية .

إن ما نعرفه تاريخياً عن الملك سيف هو أنه استطاع قبيل البعثة النبوية تحرير اليمن من الاحتلال الحبشي بمساعدة فارسية . لكن السيرة تعطينا شخصية أغنى بكثير . انه الملك الذي يتعين عليه الإتيان بكتاب النيل المرصود في مملكة قمرون لكي يمكن له أن يتزوج من الأميرة شامة . وإذن فنحن للتو أمام اشكالية قومية أساسها السيطرة على مياه النيل . فإذا عرفنا أن هذا الزواج سيكون ايذانا بانتصار أبناء الملك سام على أبناء الملك حام ، كما تشير إلى ذلك دعوة الملك نوح منذ آلاف السنين ، ادركنا سبب المعارك العنيفة والحروب المتواصلة على طول شاطيء البحر الأحمر للسيطرة على كتاب النيل .

بالطبع ، إن مشكلة مياه النيل مشكلة افريقية ، فما الذي جاء بملك يمني آسيوي وحشره في هذه المشكلة ؟ إن الجواب يكمن في الارحام . فام الملك سيف أفريقية وأبوه آسيوي وواضح من هذا النسب أن شخصية الملك سيف السيروية تعكس ما في الوجدان الشعبي من توق واع أو غير واع إلى تحقيق وحدة شاطئي البحر الأحمر في كيان سياسي واحد . وواضح أيضاً إن مركزية كتاب النيل في هذه السيرورة تشير إلى مركزية مصر في انجاز المشروع القومي العربي . وهي مركزية غدت أمراً معترفاً به منذ أن أصبح الغزو الصليبي والغزو التتري المغولي ظاهرتين تاريخيتين متكررتين .

وإن المؤلف لا ينسى أن يعرج على مكة ويثرب برفقة والد الملك سيف حيث يؤسس هناك امتداداً للمملكة اليمنية ، ثم يمضي شمالاً إلى العقبة ، فغرباً إلى مصر ، فجنوباً إلى السودان وما يعرف الآن بارتريا ، في رحلة فتح وغزو رمزية تؤكد منذ بداية السيرة على وحدة شاطيء البحر الأحمر .

وكذلك لا ينسى المؤلف أن يعرج بنا من جديد إلى الشام ومصر برفقة أبناء الملك سيف . ففي دمشق يقيم أحد هؤلاء الأبناء مملكته . ان اسمه هو ( دمر ) ، وهو أيضاً اسم لضاحية معروفة في دمشق . أما زوجته ( الجابية ) فإن ثمة حياً ضخماً في دمشق سمي باسمها : ( باب الجابية ) . وأما الابن الثاني للملك سيف فقد أعطى اسمه أرض الكنانة برمتها : مصر . وإذا عرفنا أن اسم الابن الثالث هو ( نصر ) عرفنا أيضاً ما في الوجدان الشعبي من توق إلى أن يكلل بالنصر سعي ذلك القائد العربي لتوحيد ( مصر ) و ( دمر ) أي الشام في دولة واحدة تشمل اليمن .

إلى جانب هذا ، هناك العنصر الأخيولي الذي أنشأته مخيلة الكاتب أو الكتاب لخدمة الهدف القومي واعلاء شأن التميز العربي . أن الجن والعفاريت ، وكذلك الأولياء والسحرة ، والزمان الأخيولي ، والمكان الأخيولي ، مسخرة كلها

لتلبية تطلعات الملك سيف ، التي هي تطلعات العرب كلهم ، ولاظهار ما يتميز به العرب من خصائص جميلة كريمة .

شيء مثل هذا تتصف به سيرة بني هلال . إن العنصر التخييلي الخارق قليل هنا . فباستثناء أبواب السحر وأفانينه ، التي يتقنها أبو زيد الهلالي ، ليس ثمة شيء يتعدى الطاقة البشرية . لكن حركة هذه السيرة ومراميها ، والأعمال البطولية التي تزخر بها تكاد أن تتطابق مع ما في سيرة الملك سيف . ثمة استثناء وحيد ، هو أن سيرة بني هلال ، التي تبدأ هي الأخرى في الجزيرة العربية ، تتجه في الأعم الأغلب غرباً . فمن نجد تنطلق نحو بلاد الشام ، وبعدها إلى مصر ، فليبيا ، فتونس ، حيث تستقر القبائل الأربع هناك . وواضح من حركة السيرة أن المجال القومي قد بات يتضمن المغرب العربي الآن ، وإن كل هذه المغامرات البطولية والعاطفية إنما تستهدف رسم خارطة أدبية لحقيقة جغرافية هي حقية الوطن العربي .

لكن الشيء الغريب هو دخول جزيرة قبرص في هذه الخارطة . لقد كانت قبرص قبل الاغريق أحد مراكز الحضارة السامية الكبرى . وبهذا فهي جزء ثقافي ، وإلى حد ما تاريخي من حياة الساميين القدماء . لكنها ، ومنذ استيطان الاغريق فيها ، انتقلت بهويتها الحضارية والبشرية إلى الاغريق . غير أن الصلة القديمة لم تمت على ما يبدو . وسيرة بني هلال إنما تشير إليها في حلول أبي زيد بالجزيرة الصغيرة ، ثم سجنه هناك . إن للسجن دلالات رمزية في التحليل النفسي . لكنه هنا ليس ذا دلالة ايجابية . فهذه العودة إلى الرحم عودة خانقة . وعندما يتمكن أبو زيد من الفرار من سجنه فإنه يرتحل للتو إلى الشاطيء السوري .

لا تقل السيرة الثالثة أهمية عن السيرتين السابقتين ، وإن كانت تتميز عنهما بغلبة التقنية الروائية وبسيطرة التشويق . إنها أقل تخييلاً وأضيق أفقاً ، وإن ظل أفقها واسعاً مع ذلك . فتحرير الشام ومصر من الصليبيين ليس بالمسألة القليلة

الأهمية . وفي هذا فإن سيرة الملك الظاهر بيبرس تكرس التطلعات والقيم والاخلاق نفسها التي تكرسها السيرتان السابقتان . وهي لا تخلو من العنصرين الغيبي والسحري ، اللذين يجعلانها أقرب إلى سيرة الملك سيف منها إلى سيرة بني هلال .

أما المجموعة الثانية من السير فموضوعاتها الأساسية هي القيم والأخلاق العربية التي تتناقلها الأجيال ، متمثلة أولاً بعنترة العبسي ، وأخيراً بعلي الزيبق ، في السيرة المسماة باسمه .

إننا ونحن نتابع هذه السير عبر التاريخ ، وتمحورها حول شخصية تاريخية حقيقية تنسج حولها ما يصبو إليه اللاشعور الجمعي ، نلاحظ تغيراً تدرجياً في شخصية البطل . فبدلاً من شخصية عنترة والمهلهل ، اللذين ينهضان بالسيف إلى استرداد الحقوق والكرامة ، نلتقي بعلي الزيبق وعمر العيار ، بعد الف عام ، اللذين يوحي اسماهما بشخصيتيهما . فالزيبق شخصية زلقة قادرة على التملص من المهالك والورطات ، تدخل وتخرج دون أن يستطيع أحد الإمساك بها . أما العيار فهو فعلاً ذلك المحتال ولكن لاغراض شريفة لم يعد تحقيقها ممكناً إلا بالسحر والحيلة والمكر وعقد التحالفات السرية . وفي هذا إشارة واضحة إلى ما اصاب الشخصية العربية والحياة العربية من تطور وتبدل .

على أن هذا كله يعتبر كنزاً تربوياً ثميناً . ولا نظننا بحاجة إلى مناقشة الأثر الجليل الذي يتركه في نفوس الناشئة تقديم تاريخهم لهم عبر قصص متميزة بالابداع والخيال والتشويق . إننا في حاجة إلى بلورة أهدافنا أولاً ، وعندها سنجد أن معظم ما نملكه من أعمال في الرواية التاريخية يقدم أجل الخدمات التربوية لفتياننا وفتياتنا .

---

روايات نجيب محفوظ من اصدار مكتبة مصر : القاهرة لا.ت.

روايات جرجي زيدان من اصدار دار الجيل : بيروت ، ١٩٨١ .

السير الشعبية من اصدار المكتبة الثقافية : بيروت ، لا.ت .

**الدكتور سيف عباس :**

نشكر الدكتور الراهب على محاضرته القيمة والتي بين بها أثر الرواية العربية في الطفل العربي . . والآن نفتح المجال للحوار مع الدكتور الراهب .

**د. عبد الله الدنان :**

الدكتور هاني الراهب أثار مشكلات ونقاطا مهمة جداً ، وهذا هو المطلوب من محاضرة من هذا النوع أن تثير وليس أن تجيب على اسئلة حيوية مع العلم أنه من الممكن أن نبدأ بالتساؤل : وأحب أن أبدأ بملاحظة عامة هي أن دراساتنا في معظمها دراسات حكمية ( بطرقية ) ولا تأخذ بمقياس الأثر . اذكر أننا عندما كنا نعد سلسلة ( افتح يا سمسم ) عرض علينا ( نعمان ) فكرهناه في البداية وقلنا هذا مرفوض . . فقال لنا أحد الذين صمموه : اذكركم أن ( نعمان ) ليس لكم ( نعمان ) لاطفال دون الخامسة . . اذهبوا وقيسوا ( نعمان ) اعرضوا ( نعمان ) للأطفال دون الخامسة . . وهذا ما كان واعجب أبناء الخمس السنوات وغيرهم بـ( نعمان ) .

الذي أريد أن أقوله هو ، أننا عندما نحكم بأن هذا الشيء مناسب للأطفال أو غير مناسب يجب أن يستند حكمنا على الاطفال أنفسهم ، لا بد أن اسمع رأي الاطفال يعني إجراء تجربة بسيطة . فلو عرضت بعض هذه الأشياء على الاطفال يمكن أن أقول أن هذه الروايات والأمثلة التي عرضها الدكتور هاني تمثل حساسياته الخاصة ، . لقد قرأت هذه الروايات جميعها وفي العمر المطلوب . . قرأن ( عنترة ) وأنا ابن تسع سنوات وعشر سنوات ، قرأت ( المهلهل وعنترة ) وقرأت روايات جرجي زيدان وأنا في الثانية عشرة ، قرأت ( فتوح الشام ) للواقدي في العمر نفسه ، وقرأت ( سيف بن ذي يزن ) . أنا أقول لكم معترفاً إن قصة ( سيف بن ذي يزن ) قد أثرت بي تأثيراً سلبياً . كنت

ارتعد خوفاً من الجن ، من ( عاقصة ) من ( عيروط ) . . الجن في ( سيف بن ذي يزن ) مسيطرون سيطرة كاملة تحيل الأرض مائعة فيغرق سيف إلى عتقه ، فيحرق الشعرة فتأتي ( عاقصة ) فتنقذه ، فهو باستمرار في انتظار المنقذ الذي لا يستند إلى عمل أو إلى فكر أو إلى علم وتعلم . كانت تجربتي مع ( سيف بن ذي يزن ) غير سارة مطلقاً .

المهلهل في بداية حرب البسوس قتل الكثير ولم يشف غليله اطلاقاً . كل القبيلة المضادة تساوي بغل كليب . . نحن نريد أن نتخلص من القبيلة التي تثأر والتي تقتل عشرات الآلاف . . . عندما قرأت وصية كليب ( أخي لا تصالح . . ) لم استطع أن اكملها ، وبقيت متأثراً وباكياً لمدة ثلاثة أيام . فهذه تجعلنا في جو نحرص حرصاً أكيداً عى كيفية التقليد . فقبل أن نفصح لا بد من التجربة .

عنترة رجل شهم لبق بالثأر ، أنه يعين المظلومين . عنترة باستمرار يلقي أبناءه واحداً بعد الآخر ( مسيرة ، غصوب ، وعنيترة ) . عنيترة كانت بطلة أسرت غصوب وأسرت الغضبان .

الذي أثر بي تأثيراً إيجابياً هو ( فتوح الشام ) وهو تاريخ بقالب روائي لأنه باستمرار يورد بطولات منطلقاً في إيمانية ، وهذه البطولات في الغالب منتظرة انتصارات إيجابية ، انتصارات فيها عفو ، فيها شهامة ، باستمرار فيها مروءة .

بالنسبة للرواية الحديثة ، أنا اختلف مع الدكتور هاني في قوله أن نجيب محفوظ كتب عن القومية المصرية ، لقد كتب نجيب محفوظ عن القاهرة . كلنا قد استمتعنا (بثلاثية نجيب محفوظ ) ليس عن طريق القراءة فقط . . السيد ( عبد الجواد ) شخصية على مستوى الوطن العربي . . . فالآن أنا لا اعتقد اطلاقاً أن نجيب محفوظ ـ لالتزامه بتصوير البيئة المصرية ـ كان قومياً مصرياً، ولا أعتقد أن حنا مينا قومي سوري اطلاقاً، وإن كان قد صور الحياة السورية تماماً في اللاذقية وضواحيها فالحقيقة أنه يحرص على القضية القومية .

وبصراحة إذا كنا نحمل فكراً مستقبلياً ثم نلبس هذا الفكر للسير فقد يأتي هذا اللباس واسعاً كثيراً أو ضيقاً كثيراً .

لا أعتقد أن كون هاجر زوجة لسيدنا إبراهيم وإن ولادة إسماعيل في بلاد العرب تبرر ربطها مع فكرة (القومية العربية). إن القومية العربية فكرة جديدة ولم تخطر على بالهم في ذلك الوقت، ولهذا لا يمكن أن تكون هذه الأحداث رمزاً يستفاد منه. . ثم ما بال المغرب العربي؟ إن الباحث الفاضل لم يذهب إلى الرباط أو القسطنطينية اللهم إلا من خلال سيرة بني هلال. . وشكراً جزيلاً.

**د. كافية رمضان :**

اعتقد أن الحديث عن الرواية التاريخية وتأثيرها على الناشئة أو الاطفال ، يدخلنا في اشكالية تتعلق بالموقف بالتاريخ والسياسة . تاريخنا كتب في الغالب بعيداً عن السياسة ، ومن ثم إلى أي مدى يستطيع كاتب اليوم وهو مكبل بالف قيد أن يتحرر من كل هذا التراث لكي يكون قادراً على تقديم الموقف التاريخي أو الرواية التاريخية باسلوب معاصر .

النقط التي أريد أن أتحدث عنها في هذا الجانب هي الموقف من التراث . لقد تفضل الدكتور المحاضر وأشار إلى كثير من القصص المتوافرة في تراثنا العربي ، وأشار إلى تقديمها إلى الناشئة . وبين أن الذين قدموا هذه الروايات ـ إذا تجاوزنا وقلنا أنها روايات ـ بسّطوا الكثير ، وربما شوهوا الكثير من الأشياء عندما ارادوا تقديمها إلى الصغار ، وهذا يجعلنا نتساءل : كيف نتعامل مع التراث ؟ . إننا نعرف أن هناك كثيراً من النظريات المحيطة بالتراث ، وربما مثل هذا التساؤل أثير كثيراً . انه منذ أن حاول الأخوة ( جرم ) تقديم التراث للاطفال أشاروا أن التراث خالد يجب ألا يمس ، وعلينا أن نقدمه كما هو إلى الصغار . ربما الفكر التربوي المعاصر قد يقف موقفاً مغايراً على اعتبار أن هناك كثيراً مما هو موجود بكتب التراث لا يجوز تقديمه إلى الصغار. ونحن هنا نقف أمام اشكالية . إذن ما العمل ؟ .

إذا أردنا أن نغير بعض القيم ونقدم القصص محدّثة أو تجنب هذه القيم ، ونعيد كتابة القصة أو الرواية للاطفال ، فإننا هنا قد وضعنا أيدينا على التراث . وبمعنى آخر نحن قد شوهنا هذا التراث ، وعدلنا وغيرنا فيه ، وهذا في نظر كثير من المهتمين بالتراث لا يجوز ، والتربويون وأنا منهم يرون أنه لا يجوز تعريض الاطفال في سن معينة إلى بعض القيم التي يجب ألا تقدم في سن محددة للاطفال ، وأنا أؤكد على قضية سن محددة. فلو أخذنا مثلاً (ألف ليلة وليلة)وهي من تراثنا بلا شك ـ فهل جميع القصص الموجودة في هذه السلسلة من الروايات والتي فيها كثير من المتعة يصح أن تقدمها كما هي للصغار ؟ لو أخذنا على سبيل المثال مثلاً قصة ( علي بابا ) على الرغم أنه شخصية محببة للاطفال لكنه شخصية الحرامي أيضاً شئنا أو أبينا وبالتالي هل يجوز أن تقدم شخصية وبطريقة مشوقة ، ثم يكتشف أن هذه الشخصية التي أحبها شخصية فاسدة تستبيح مال الغير حتى لو ظهر أنه يحمل قيماً خيرة ؟ .

وبالنسبة لما تفضل به الدكتور الدنان حول قصة ( سيف بن ذي يزن ) أنا أذكر جوانب أخرى جميلة لم تظهر ( سيف بن ذي يزن ) دائماً في حاجة إلى قوة غيبية ، بل ظهر أيضاً كبطل في كثير من المواقف ، وربما في هذه القصة عناصر كثيرة مشوقة ، وأنا أعود بالذاكرة التي لا تمتد إلى أربعين سنة ، ولكن أيضاً إلى سنوات طويلة . أنا ما زلت اتذكر البداية الجميلة لظهور هذه الشخصية مثل تربية الغزالة له . يعني يوجد كثير من المواقف الجميلة المشوقة للاطفال ، أنا أظن عندما اطبق التجربة على الاطفال كما أشار الدكتور الدنان وهذا ضروري . نظن أننا قرأناها ونحن اطفال فكان عموماً فيها كثير من التشويق . . ولكن إلى أي مدى يجوز أو يصح أن أمس هذا التراث وأعيد تقديمه ؟ .

عندما اطرح تساؤلاً ربما تكون في ذهني اجابة معينة لاختصر الطريق ، أنا اظن أننا في تقديم التراث في المرحلة المتوسطة من الطفولة لا بد أن نخلص هذا التراث من بعض القيم التي نعتقد فيما لو قدمت للطفل في هذه المرحلة من العمر قد تعطي انطباعاً سيئاً أو تشوه نفسيته ، وهذا لا يعني مساساً بالتراث من وجهة

نظري ـ والرأي قابل للمناقشة ـ لأن التراث له كتبه وأنه ما زال محفوظاً عندنا اقدمه له في سن معين . وإذا بسطته أو اختصرته ، فإنني هنا أقدم لهذا الطفل جزءاً منه ، وبعد ذلك يمكنه أن يطلع على الأصل كاملاً أنني بهذا لم أغير الحقيقة ولكن انتقي ما اقدمه . لا أشوه ولكن انتقي ما اعتقد أنه مناسب واقدمه للصغار في مرحلة من العمر ، على أن يبقى التراث كما هو .

أنا لا أطالب أن يحرق كتاب ( ألف ليلة وليلة ) أو أن نقضي على التراث . التراث موجود ونحترمه ، ولكن عندما نقدمه للاطفال علينا أن نختار ما نعتقد أنه مناسب لهذه المرحلة بالذات . عندما يتقدم الطفل بالعمر يستطيع أن يقرأ أكثر بناء على الشروط النفسية والخصائص المرتبطة بهذه المرحلة من العمر . عندما يتقدم بالعمر يستطيع أن يقرأ قراءة أكثر تفصيلاً ثم بعد ذلك يستطيع أن يطلع على كتب التراث كما هي خوفاً من هذه المرحلة المعينة من العمل التي هي قابلة للتأثر بسرعة شديدة وهي عرضة لأن تقع على قيم لا تناسب العصر .

أنا لا اتكلم عن الجانب الذي تكلمت عنه بالنسبة للبعد القومي . ولكن اتكلم على القيم الرديفة التي تتضمنها الملاحم والسير الشعبية أحياناً مثل القضايا المتعلقة بالقيم فيما يتعلق بالصلة بين الأخوة والتي نحرص على أن تكون على درجة عالية من الترابط، لا يمنع أن أعطي الطفل، ولكن نؤكد على الجانب الإيجابي في الموضوع . الموقف مثلاً من الجنس يطرح في كثير من كتب التراث بطريقة سافرة جداً . هل نقدمه كما هو للاطفال ؟ إذن لا بد من وجهة نظري من الانتقاء في مرحلة عمرية محدودة من العمر كما قلت . ربما تكون المرحلة العمرية المتوسطة أو المتأخرة . نحن مضطرون أن ننتقي ونبسط الاشياء ولا نشوهها . وهذه وجهة نظر ويسعدني بعد ذلك أن اسمع من الدكتور الراهب رداً على ذلك . . . وشكراً .

**د . تغريد القدسي :**

يفتقر الاطفال في بعض الأحيان للقدرة على القراءة ، فكيف استطيع أن اقدم الرواية التاريخية أو السيرة لهؤلاء الاطفال ؟ . وهل هناك معايير يمكن

استخدامها لانتقاء هذه السير وهذه القصص؟ . . طبعاً غير المعايير الأدبية الثانية مثل الاسلوب والحبكة . . . هل هناك معايير أخرى يمكن أن نستند إليها عند الاختيار ، وتكون دليلاً لنا لعملية انتقاء السيرة والقصص أو الرواية التاريخية مع الاطفال والناشئة .

من ناحية أخرى . . . كيف نستطيع أن نبرز هذه الرواية التاريخية بشكل محبب للطفل ؟ كثير من هذه الروايات طويل جداً ، ولغتها ليست للاطفال أو الناشئة ، ليس لها صلة في حياتهم اليومية ، وكلنا نعاني من الفرق بين اللغة المحكية والفصحى . . فما بالك بالرواية التي تحتوي على مفردات صعبة جداً .

إن جيل اليوم لغته ركيكة جداً . وقراءته ضعيفة ، فكيف استطيع أن أبسط هذه السير ؟ وخاصة التي تتكون من ثلاثة مجلدات . فمن من الاطفال أو الناشئة يستطيع أن يقرأها ؟ .

معنى ذلك يجب أن ننتقي منها القيم ونبسطها ونبرزها بشكل مختلف ومناسب حتى يمكن للاطفال أن يقرأوها .

كيف يمكن أن نجعلها صالحة لطفل اليوم وناشئته ؟ .

د. عبد الحميد الهلالي ؛

شكراً سيدي الرئيس سأبدأ بتساؤل حول الاسباب التي أوردها الدكتور هاني والتي تخص ( روايات جرجي زيدان ) ، ويبدو أنه معجب بها كثيراً وأبرز خاصة بعض القضايا في الروايات التي قرأناها بشغف عندما كنا ناشئة ومراهقين .

كيف أثر هذا النوع من الروايات بما عشته أنا شخصياً وجيلي في المغرب العربي والبلدان التي استعمرتها فرنسا بالذات سواء في المغرب أو الجزائر أو تونس ؟ إذا كان هذا النوع من الروايات يخدم القضية العربية . فلماذا كان المسؤولون الفرنسيون قبل الاستقلال في وزارات التربية سواء في المغرب أو تونس

أو الجزائر يركزون على هذه الروايات ؟ . هل يريدون أن يغرسوا فينا الوحدة العربية ؟ لا أظن هذا . لماذا يركزون على هذا النوع من الأدب بالـذات ؟ أو يشجعون عليه . ( روايات جرجي زيدان ) نجدها في كل المكتبات المدرسية في المغرب العربي من طنجة إلى غدامس؟

هل كانت فرنسـا تريد أن تغرس فينا الوحدة العربية ؟ لا أظن ذلك بل أظن أن هناك ظاهرة ابرزها الدكتور على أنها مزية أخرى لروايات جرجي زيدان وهي أنها لا تثير أي شعور شوفيني . . لا تصادم بين العروبة والإسلام هل فرنسا الاستعمارية تريد أن تغرس فينا شعور اللاتصادم بين العروبة وازسلام ؟ نحن نعرف ما فعلته الامبراطورية الفرنسية في ذلك الوقت ، والدراسات التي قام بها الآبـاء البيض في هذه البلدان لابـراز العكس ، وارادوا أن يشبعونـا بفكرة أن الإسلام شيء والعروبة شيء آخر . . قالوا انتم عرب بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك قالوا انتم بربر . . لستم عرباً . . كل الدراسات في بلدان المغرب تركزت في هذا النطاق على تفتيت الناس والمجموعات .

إذا كانت ( روايات جـرجي زيدان ) تخـدم الشعور القـومي . . فكيف شجعت عليها فرنسا واختارتها من بين الروايات الأخرى الموجودة بل وادخلتها في المنهج المدرسي .

الملاحظة الثانية تتعلق بالمفاهيم ، أنا أود أن نوضح المفاهيم ، ونفرق بين القصة التاريخية ، وبين الخيال التاريخي . كل ما جاء بمحاضرة الدكتور الزميل يمكن أن يدرج تحت الخيال التاريخي بالاعتماد على التراث مثلاً .

يجب أن نفرق بين شيئين هامين : بين المنهج الدرامي ودراسـة التاريـخ بصيغة موضوعية إلى حد ما مع العلم أنه لا يوجد تاريخ موضوعي في أي بلد من بلدان العالم ، هناك كما قالت الدكتورة كافية السياسة توجه المؤرخـين في جميع بلدان العالم منذ البداية في خدمة الحكام فلا يوجد تاريخ شعوب بل يوجد تاريخ حكام .

الطفل في الوقت نفسه يقرأ التاريخ والمشاكل ، ويقرأ قراءات وروايات موظفة ومرسومة . . ألا يحدث هذا تناقضا في فكر الطفل؟ .

إذا كان يجب أن ننتقي هذا التراث لكي نصل لأدب طفل نظيف . فبماذا سيحكم هذا الطفل على القصة والكاتب عندما يبلغ مرحلة المراهقة ؟ ربما ينعته بالكذب . لذا أنا شخصياً موقفي حازم من هذه القضية . أما أن نقدم التاريخ بدون أن نخلق بلبلة وذبذبة عند الاطفال أو نقرر ـ حسب اتجاه سياسي واضح ـ ما نراه مناسباً . لا اتصور أن تاريخنا العربي الاسلامي وحده فيه خلافات ، فالخلافات موجودة في كل تواريخ الشعوب . ولكن الآخرين خرجوا من هذه المسألة بأنهم درسّوا تاريخهم لاطفالهم بموضوعية . لماذا نخاف ؟ ولماذا نهرب ؟ ان المشكل يتلخص فيما يأتي : يجب أن نكون منسجمين مع أنفسنا لأن الطفل يتلقى دروساً تاريخية من خلال المنهج ، والآن هو يملك امكانية الاطلاع على التاريخ الاسلامي عن طريق الكمبيوتر ، ما تخفيه أنت يطلع عليه هو . هل نريد أن نكرس هذه الضبابية التربوية ؟ لأنها تعبير واضح عن الضبابية في مواقفنا وفي سلوكنا هذا هو المشكل الأساسي وشكراً .

**د. قاسم الصراف ؛ :**

بودي أن اتساءل عن حكاية الرواية التاريخية . نحن نعرف أن القصة أو المقالة أو الرواية التاريخية كلها صيغ أدبية وهي غربية في الحقيقة بكل معاييرها الدقيقة .

الذي يهمنا هو الوظيفة التربوية للرواية التاريخية التي نقدمها للاطفال ؟ إن هدف الأدب هو نقل الواقع وطبعاً الرواية صيغة أدبية ويجب أن ننقل الواقع كما هو بدون تشويش وبدون إضافة أو حذف حتى نكون صريحين مع الاطفال . إننا لا نستطيع مثلاً أن نقدم لهم التاريخ كما كان . المشكلة الثانية التي تواجهنا هي : كيف نستطيع أن ننقل القيم والاتجاهات التي يطرحها الأدب بشكل عام إلى الاطفال ؟ بطريقة تتلائم مع الواقع بالنسبة للطفل بحيث لا يكون هناك نوع من

التصادم أو التناقض بين القيم القديمة والقيم الحديثة ؟ وهذه ظاهرة نواجهها في عملية نقل التراث إلى الجيل الحاضر وإلا أصبح الواقع شيئاً والتاريخ شيئاً آخر ، وبالحقيقة هذه المعضلة هي التي تدفع التربويين إلى وجوب الاتفاق مع الأدباء والمختصين في هذا المجال بالذات بحيث يكونون في النهاية الصورة الواقعية المثلى الفريدة عن الواقع ، والتي تربط وتخدم في الوقت نفسه التأقلم والتكيف مع الواقع الحالي الذي يعيشه الطفل ونحن نعرف أننا الآن سوف ندخل العقد الأخير من القرن العشرين وبالتالي نرى المفاهيم يومياً تتغير وتتبدل .

المؤشرات الآن تشير أن الشعوب هي التي تخطط للتاريخ بدلاً من النخبة المعينة التي كانت تخطط له عن طريق انعكاس تمثل طبقة معينة من الناس .

فلذلك أنا دائماً اتنبأ . من هذا التنبوء ماذا سوف نعمل لكي نقدم هذه الرواية التاريخية القديمة الآن في قالب جديد بما يتلائم مع العقد الأخير من القرن العشرين . . . وشكراً .

**د. محمد جواد رضا :**

شكراً سيادة الرئيس . الواقع أن الدكتور الراهب وضعنا في موقف صعب لأن اقتراح اللجنة الاستشارية كان كما تفضل وذكر ( الرواية هل تكون افيوناً لاطفالنا ) واعتقد أنه في صدر الورقة قد استعمل المصطلح نفسه ، ولكن لأن كلمة ( أفيون ) وردت في نص سياسي تاريخي لا يحبه بعض الناس فقد حذفت ، وهكذا انتهينا إلى ( الرواية التاريخية ) .

لقد رجعت قريباً من بيئة ثقافية تحوي ثلاث جامعات كبرى هي جورج تاون، جورج واشنطن وميريلاند، وكان كل أسبوع يشهد ندوة ثقافية عامة . وكل المشاكل التي طرحت في هذه الندوات هي مشاكل الإنسان المعاصر . . . متى ينفذ النفط مثلاً ؟ .

في هذا القسم من العالم نحن دائماً أسرى التاريخ ، ونذكر كلمة عبد الله العروي ( نحن أمة تاريخيانية ) لا ترى نفسها إلا من خلال التاريخ الذي صنفه

الآخرون لأنها لا تصنع شيئاً لنفسها في الوقت الحاضر . لهذا أنا أشعر بأسى وربما هذا يعطي الدكتور الراهب حافزاً ليضع لنا ورقة ثانية في الملتقى العلمي القادم . أن المشكلة ليست في الرواية اطلاقاً ولكن في الرواية التاريخية التي يسهل استعمالها لاغراض سياسية أو اجتماعية وقد تكون معوقاً لنمو الطفل عن فهم العالم الذي يعيش فيه ويجب أن ينتسب إليه .

عندنا في الوقت الحاضر الرواية التي محورها الإنسان نفسه مثل رواية فرانسوا ساغان ( مرحباً أيها الحزن ) والرواية السياسية رواية ( جورج أرويل ) ( مزرعة الحيوان ) وهي تفنيد للفكر الاشتراكي وروايته الأخرى (١٩٨٤) التي تنبأ فيها بسقوط النظم الاشتراكية في سنة ١٩٨٤ وكان يكتب في سنة ١٩٤٨ . وقد وقع ذلك فعلاً ولكن بفارق خمس سنين فقط، في سنة ١٩٨٩ بدل ١٩٨٤ . والرواية النفسانية ( مدام بوفاري ) . موضوع الرواية يجب أن يكون الإنسان وليس الحدث الذي وقع وقع قبل ألف سنة ويريد أن يأسرنا نحن ويعزلنا عن مسيرة التاريخ العام .

حقاً أن الرواية التاريخية بحد ذاتها اشكالية . كان همنكواي كلما سئل كيف أصبح له هذا التأثير في الناس ؟ كان جوابه أنه يروي الاشياء كما وقعت لأن الواقع هو أعلى صور الخيال .

هل الرواية التاريخية اعادة انتاج ؟ بمعنى هل أن المؤلف يأخذ الأحداث والاشخاص ثم يسقط عليهم احباطاته هو أو طموحاته أو احقاده ونقمته على الوضع الاجتماعي ويجعلهم يتكلمون بلسانه أم هي عملية تثبيت وقائع وقعت ؟ فإذا كانت عملية تثبيت فيه سرد تاريخي لا قيمة له .

( جرجي زيدان ) في الواقع كان ناقداً اجتماعياً من خلال التاريخ . لم تكن عنده فكرة سياسية معينة إلا الفكرة الاجتماعية ، مجالات الضعف والقوة في تاريخ هذه الأمة ، ولم يستح من أن يقول أن هناك ضعفاً أو خطأ أو انحرافاً .

في الروايتين اللتين ذكرهما الدكتور الراهب وقال انه يخشى منهما على تفكير الاطفال وإثارة الحزازات ـ رواية ١٧ رمضان وغادة كربلاء ـ هناك نقد للظلم الاجتماعي . في المشهد الأخير من رواية ( غادة كربلاء ) بعد أن يقتل الحسين واصحابه كلهم وهم آل البيت ، ومن المفروض أن لهم قيمتهم في المجتمع العربي الاسلامي . . تصف جثثهم جنباً إلى جنب ثم تظهر ( زينب ) أخت الحسين والتي هي غادة كربلاء ، وهي الوحيدة المسؤولة عن اطفال ونساء أهل البيت تقف وتخاطب هؤلاء القتلى واحداً واحداً ، ويبلغ الرجل في المأساوية التي يضعها على لسان زينب بحيث لا يمكن لرجل أو لمرأة أو لطفل أو لشيخ إلا أن يبكي لأن زينب تستعرض لماذا جاء الرسول ؟ وكيف انتهت الرسالة ؟ .

جرجي زيدان في الواقع كان ناقداً اجتماعياً من خلال الرواية التاريخية ومن الصعب كما ذكر الدكتور الهلالي أن نحمل عليه التزاماً قومياً . الرجل لم يكن سياسياً في الدرجة الأولى .

كل تعاملنا مع الرواية التاريخية هو عملية اسقاط لما نريد نحن . لنقف عند المثل الأخير الذي ذكره الدكتور الراهب قصة ( إسماعيل ) ، والذي قال أنها لم تكتب ، في الواقع الدكتور طه حسين كتبها في ( على هامش السيرة ) في قصة الذبح العظيم وكانت من أروع ما يمكن أن نصوره في عواطف الأمم وهي في مراحل الطفولة ، للأمم كما ذكر الدكتور طه حسين مثل الأفراد طفولة ، وشباب وكهولة ، وشيخوخة ومن الطريف أن الدكتور ذكر هاجر أم إسماعيل فقط لكن ( إبراهيم ) كانت له زوجة أخرى هي ( سارة ) التي انجبت اسحق الذي جاء منه اليهود . فهل يمكن بالمعيار نفسه الذي طرحه الدكتور أن قصة إسماعيل تريد أن تؤكد الوحدة بين العرب واليهود وأنهم أبناء عم واحد ، وهذا ما وقع في سنة ١٩٨٦ عندما كتب الرئيس كارتر كتاباً بعنوان ( دم إبراهيم ) ، استعرض فيه الصراع العربي ازسرائيلي وقال هؤلاء أبناء عمومة يسفكون دم بعضهم بعضاً وهي عملية جهالة وليست عملية استعمار ولا اغتصاب لأرض شعب كان على أرضه منذ ثلاثة آلاف سنة . ومهمتنا هي كيف نعيد التفاهم بين أبناء العم .

الرواية التاريخية في الواقع قلما تتعامل مع حقيقة موضوعية ، ولهذا قلت ، ربما يعمل الدكتور الراهب ورقة ثانية في المستقبل عن أنواع الروايات الأخرى وأثرها في نفوس الناشئة . . . وشكراً .

**د. هاني الراهب :**

لم اعتبر ( فتوح الشام ) للواقدي ضمن الرواية التاريخية ، لقد اتبعت في هذا الأمر التصنيف الأدبي بمعنى هل تتميز بخصائص الرواية أم لا ؟ لذلك لم أذكرها .

أثير سؤال جيد جداً . . . ماذا يقول الاطفال ؟ كيف يحق لهاني الراهب أو غيره أن يؤكد أن هذا العمل حسن للاطفال ؟ طبعاً هذا تعد ؟ .

الموقف العلمي يقتضي أن نسبر مواقف الاطفال سلفاً ، وعندئذ نقرر ، ولكن ممكن أيضاً أن نضيف ونحن نحكم على هذه السيرة الشعبية بشكل خاص كل الذين تكلموا عنها قارئين لها وهم اطفال . إذن الآراء التي قدمت هي آراء اطفال نضجوا ، فنحن لسنا بعيدين عنها ، ومن الممكن أن يتقبل الاطفال هذا الأمر . وهذا لا يعني ألا نراجع الاطفال طبعاً .

كانت هناك دعوة إلى ضرورة التمييز بين الخيال العلمي والخيال الذي يربي الطفل على الخوف من الجن . أنا ألاحظ على شاشة التلفاز ما يسمى بالخيال العلمي وهو في صميمه خيال سحري ، السفن الفضائية وما يسلط من ضوء على موقف كهذا وكل المسلسلات التلفازية العلمية لا تخلو من الموقف السحري . ولا أجد ضرورة للتمييز لأن عقل الطفل في ذلك الوقت أو عقل الفتى ناهيك عن عقل الكبار لا يستدعي كل هذا الالحاح على التمييز بين الخيال العلمي والخيال غير العلمي . هذا وان يخاف الطفل من الجن بسبب التربية والبيئة التي ينشأ فيها شيء ، وأن يخاف من الجن في سير (سيف بن ذي يزن) مسألة أخرى .

اثيرت نقطة على غاية من الأهمية ، وهي أن المهلهل مخيف وكريه وقاتل وأنا لم أقل أنه غير ذلك . قيل أنه يجب ألا نصدر احكاماً قاطعة بطركية كما ينبغي ألا

نحكم على المهلهل بمقياس أسود وأبيض ، لا شك أن المهلهل كريه وقاتل وبالتالي ينبغي أن نقدمه للطفل بطريقة تري الطفل كيف يمكن للارتباط الأخوي أن يتحول إلى هوس ويبدو مضراً للمجتمع . أنا لم أدع إلى تقديم المهلهل كما نظر إليه في الجاهلية أصلاً ، وأنا لم اقترح أية وجهة نظر ، وقلت منذ البداية أن حكمنا على هذه الروايات يتوقف على وجهة نظر ننطلق منها . ولقد أعطيت لنفسي الحق بأن ابني آرائي على وجهة نظري .

نقطة أخرى تتعلق بثلاث روايات كتبها نجيب محفوظ بين عام ٣٥ ـ ٤٥ وهذه الروايات سابقة لثلاثيته التي ظهرت في الخمسينات ، ويؤسفني أنني لم اذكرها ظناً مني أنها شيء معروف ، الأولى ( عبث الاقدار ) والثانية ( رادوبيس ) والثالثة ( كفاح طيبة ) وكلها روايات فرعونية مستمدة من التاريخ الفرعوني.بعد عام (٤٥) اكتشف نجيب محفوظ أن الرواية التاريخية لا يمكنها أن تستوعب وجهته للحياة وهي ليست كافية لهذا الأمر ، فانصرف عنها وقد بقي عدة سنوات دون كتابة ، وهو كاتب غزير الانتاج ، وهذا يعد تاريخاً كبيراً أن يبقى نجيب محفوظ دون كتابة إلى أن بدأ بالرواية التاريخية المعاصرة التي عرفنا من خلالها نجيب محفوظ العظيم ، ولكن هذا لا يلغي الروايات الثلاث التي كتبها من قبل .

لا داعي لالباس الفكرة أو الحادثة التاريخية افكارنا الخاصة أو اسقاط فكرة من عندنا على حادث تاريخي ، إذا لم يكن هناك داع لذلك ، فلماذا إذن نبحث في مسألة تقديم الرواية التاريخية للناشئة ؟ هل نقدمها دون تصور مسبق ؟ هل نقدمها دون ما غاية تربوية ؟ إذا لم تكن هناك غاية تربوية ، فلماذا إذن هذه الندوة؟ لقد رفضت قصة (إسماعيل) لأنها فضفاضة، وأنه لم يكن في ذلك الحين قومية عربية. طبعاً لم يكن في ذلك الحين عرب أو وطن عربي. . ولكن هنا كانت بذور الفكرة وولادتها.

الاشكالية التي وردتنا من المغرب ، لماذا وزراء التربية الاستعماريون يركزون على هذه الروايات ؟ هل كانت فرنسا تريد أن تغرس فينا الوحدة

العربية ؟ وفكرة عدم التصادم بين العروبة والإسلام ؟ الحقيقة أنا قرأت هـذه الروايات ، وكان انطباعي عنها هو ما ذكرت . أما دوافع فرنسا فأنا لا أفهمها .

نعود إلى مسألة المعايير ووجهة النظر ، ينبغي أن يقوم هناك حوار كل منا يستمع إلى الآخر الذي هو نفسه في الوقت نفسه حتى تتوحد الـ( أنا ) بـالآخر بصيغة ثقافية مقبولة ، وعندها نستطيع أن نتكلم ونستنبط من ( روايات جرجي زيدان ) ما يفيد ، وننبه إلى ما قد يضر . المهم أن تكون هناك مقدرة على المناقشة ومجال لهذه المناقشة .

كيف نسوي بين الرواية والتاريخ ؟ أشرت في بداية حديثي إلى أن تقديم هذه الرواية يبقى معطلاً أو قليل الجدوى ، ويمكن أن يكون أفيوناً إذا استمررنا في ابتلاع مشاكلنا واشاحة النظر عنها . . هذا هو الأفيون حقيقـة . أن نستمر في التظاهر بأنه لا مشاكل في التاريخ العربي . . لا مشاكل في الإسلام بينما نحن في كل يوم نعيش هذه المشاكل .

الحسم هو الحل ؟ نعم أنا معك . تفضل احسم ، هل تملك ذلك ؟ أنا لا أملك ذلك . الحسم يملكه ذوو السلطة ، ويجب التمييز بين نوعين من العرب ( العرب الحاكمون ، والعرب المحكومون ) . فعلا العرب الحاكمون هم الذين يستفيدون من موقف الثقافة . حرف العقل عن المشاكل وتقديم حلول لها . هناك خطاب سياسي رسمي وخطاب سياسي شعبي وهما متناقضان تمام التناقض .

هل تظن أن العرب كلهم هدفهم الـوحدة العـربية ؟ . . أظن أنـه على صعيد بسيط جداً ، أنا اتمنى أن يكون معي جواز سـفر صالح لإثنتين وعشرين دولة ، وأن يكون معي ( عملة ) تصرف في إثنين وعشرين بلداً عربياً ، أي الحد الأدنى من الوحدة العربية ، نحن لا نطالب بوحدة سياسية بل نطالب بوحدة من هذا النوع ، أنا لا استطيع أن أزور الجزائر ، فلقد زرتها عام ١٩٧٥ م ، أريد اجراءات كثيرة ويجب أن تدعوني الدولة . إذن الثقافة ملك الـدولة ، وبـالتالي الأجوبة والأسئلة الثقافية ملك الدولة .

ما هي مكانة الرواية التاريخية الآن ؟ هذا سؤال كبير ولا أزعم أني استطيع الإجابة عليه وخاصة أني لا أعثر على نماذج من الرواية التاريخية في هذه الأيام بهذا المعنى الذي وصفته .

ما هي وظيفتها التربوية ؟ قطعا أنا لا اعرف ، وليس لدي جواب أنا لست تربوياً .

كيف نقدم لهم التاريخ كما هو ؟ أظن لو أن هناك مناخاً من الحرية والديمقراطية كتلك التي سادت أوروبا في عصر النهضة مثلاً ، يمكن أن نتفحص تاريخنا ونقدمه كما هو دون أن نخاف من سفك الدماء ناهيك الاختلاف بطريقة تتلاءم مع الواقع ؟ هذا مستحيل طالما هناك خطاب سياسي رسمي . . هذا مستحيل .

كيف نوفق بين القيم القديمة والقيم الحديثة ؟ طبعاً هناك حديث مستمر ومستفيض عن الحداثة ، لكن الوطن العربي ، واسمحوا لي بهذا التشاؤم ، لا يعرف إلا النزر اليسير من الحداثة . القيم السائدة هي قيم تقليدية ، ودعاة قيم الحداثة هم قلة ومحاصرون ومطاردون وانتم تعرفون هذا الوضع تماماً .

لماذت تغير العنوان ؟ الحقيقة أن العنوان قد اربكني ( الرواية التاريخية هل تكون أفيوناً لاطفالنا ) أحسست بأنني لن استطيع أن أوفي البحث من جميع جوانبه على الصعيد النفسي وعلى الصعيد التربوي ، والتاريخي ، والاجتماعي . . وأنا لا أملك الوقت .

روايات ( جرجي زيدان ) ذات قيمة اجتماعية أساساً أكثر منها تاريخية أو سياسية ، أنا أراها ذات قيمة تاريخية أولاً وتربوية ثانياً .

هناك تقصيران بلا شك ، بعضكم أشار إلى اللغة . هل هذه اللغة التي نريد تقديمها للطفل ، كلها أمور جديرة بالبحث والدراسة ، ولكن بعد أن نتفق على أن في هذه الروايات فائدة تربوية بعد ذلك نبدأ تقديمها للاطفال .

الوصف في نهاية ( غادة كربلاء ) . أنا متأكد لو أن هذه الروايات عرضت في بعض البلدان العربية ستقوم حرب أهلية . ( غادة كربلاء ) بالذات ، وهذا الوصف الشجي المروع ، ولقد ذكر بعض الأخوان أنه كان في غاية الانفعال . . هذا شيء خطير ، وليس من السهولة تقديمه .

طه حسين كتب قصة ( إسماعيل ) في ( على هامش السيرة ) أيضاً لم اعتبر (على هامش السيرة) رواية تاريخية فهي نوع من السلسلة للأحداث ليس فيها تلك الحبكة أو الصنعة ، فهي نوع من الاعتذارية كتبها طه حسين بعد أن قدم كتابه ( الادب الجاهلي ) .

د. سيف عباس :

شكراً جزيلاً للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية لاتاحة الفرصة لسماع الدكتور الراهب، وشكراً لكم جميعاً. تركتموني وأنا في حال فيه كثير من التساؤل ، طرحتم أمامي معضلات التشويق ، الانتقاء والتحريض والوضوح والضبابية ، وحيث أنني من خارج قوم الرواية أريد أن أسأل هل لكل رواياتنا على اختلاف أنواعها وحالها القدرة على التنافس مع التكنولوجيا الاعلامية الحديثة المنافسة . ربما الحسم يأتي على يد العلم وعلى يد التكنولوجيا . ( فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . . ) صدق الله العظيم .
شكراً وإلى اللقاء .

# الندوة الثالثة

## الأطفال المتفوقون والتعامل معهم
## ( تجارب خليجية )

الدكتور رجاء أبو علام
الدكتورة فاظمة نذر

# الندوة الثالثة

## موضوع الندوة : الأطفال المتفوقون والتعامل معهم ( تجارب خليجية ) .

رئيس الجلسة : الدكتور حسن الإبراهيم

المتحدثان الرئيسيان : الدكتور رجاء أبو علام
الدكتورة فاطمة نذر

المشاركون :

١ ـ الاستاذ أنور عبدالله النوري .
٢ ـ الدكتور أحمد عبدالله .
٣ ـ الدكتور عبد الحميد الهلالي .
٤ ـ الدكتور مساعد الهارون .
٥ ـ الدكتور شملان يوسف العيسى .
٦ ـ السيدة فاطمة حسن الخليفة .
٧ ـ الدكتورة فوزية الهادي .
٨ ـ الدكتور محمد عودة .
٩ ـ السيدة زكية مرتضى كعباشي .
١٠ ـ الدكتور خليل الياس زين .
١١ ـ الدكتورة دلال البزري .
١٢ ـ الدكتورة تغريد القدسي .
١٣ ـ الدكتور قاسم الصراف .
١٤ ـ السيدة فاتن البدر .
١٥ ـ السيدة لولوة الغانم .
١٦ ـ السيدة اسرار القبندي .
١٧ ـ الآنسة امجاد الزامل .

# دور الآباء والمعلمين في الكشف عن المتفوقين ورعايتهم

د. رجاء محمود أبو علام

يعايش الآباء والأمهات ابناءهم منذ ولادتهم ولذلك هم أقدر من غيرهم على معرفتهم معرفة دقيقة، كما أنهم أدر على تتبعهم في مراحل نموهم المختلفة. ووجود الآباء والأمهات في هذا الموقع يجبرهم بطبيعة علاقتهم بأبنائهم على ملاحظتهم في شتى مظاهر نموهم المختلفة. فهم قادرون على وصفهم وصفاً كاملاً، يعرفون دخائلهم وسلوكهم وكيف يتصرفون، ونواحي القوة والضعف فيهم، كل ذلك عن طريق ملاحظتهم لهم. فإن وجود الأب أو الأم في هذا الموقع يجعلهما مصدراً هاماً من مصادر الكشف عن المتفوقين.

كذلك المعلم له دوره الهام لأنه يعايش التلميذ فترة كبيرة منذ دخوله المدرسة، فيستطيع أن يتبين الكثير من الخصائص والصفات التي يراها في الطفل وتساعده على اكتشاف الأطفال المتفوقين. وبمعنى آخر فإن لدينا ركنين أساسيين هما المنزل والمدرسة، وتعاون هذين الركنين هام للغاية في الكشف عن الطفل المتفوق وفي رعايته. ودون هذا التعاون لا يمكن لأي برنامج لرعاية المتفوقين أن ينجح.

ورغم وضوح هذا المفهوم ـ مفهوم تعاون البيت مع المدرسة ـ إلا أن ذلك لم يكن واضحا من الناحية التاريخية ولم يتضح إلا في العقدين الأخيرين. يرجع ذلك إلى النظرة التاريخية للتفوق. ففي مطلع القرن الحالي بدأ الاهتمام بالمتفوقين على يد فرانسس جولتون ومنذ بداية دراسة المتفوقين ارتبط تعريف المتفوقين بالذكاء، ونرى جولتون* يربط المتفوقين بالذكاء، والذكاء بالوراثة، ويرى أن العبقرية تسير في خط أسري. وعلى ذلك أصبح الأساس في الكشف عن المتفوقين هو قياس الذكاء. أي أن الذكاء هو العامل المحدد للتفوق وبالتالي للعبقرية. وتأكد هذا الاتجاه بعد قليل من دراسات جولتون عندما ظهر مقياس ألفريد بينيه الذكاء في عام ١٩٠٥ وبدأ استخدام هذا المقياس للكشف عن المتفوقين. وتبع ذلك تيرمان في الولايات المتحدة الأمريكية حيث أخذ مقياس بينيه وقننه تحت اسم مقياس

ستانفورد ـ بينيه للذكاء وظهر هذا المقياس لأول مرة عام ١٩١٦ . وقد استخدم تيرمان هذا المقياس بعد ذلك في دراسة تتبعية عن المتفوقين بدأها في أوائل العشرينات من هذا القرن . وكان معيار اكتشاف المتفوقين في دراسة تيرمان أن يكون الطفل حاصلاً على نسبة ذكاء قدرها ١٤٠ في مقياس ستانفورد ـ بينيه . أي أنه في عام ١٩٢٠ كان الأساس في الكشف عن المتفوقين هو الذكاء . وعلى هذا يمكن القول أن تعريف التفوق ارتبط منذ البداية بالذكاء العالي، وكانت كلمة «تفوق» مساوية طبقاً لذلك لكلمة «ذكاء» . هذه النظرة تغيرت مع تطور الاهتمام بالمتفوقين وبخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، إذ بدأت دراسات عديدة وبغزارة على المتفوقين وبخاصة منذ الستينات من هذا القرن وأخذت النظرة للذكاء تضعف ولا ينظر إليه إلا كأحد العوامل في الكشف عن المتفوقين . وظهرت دراسات كثيرة لجيلفورد وهالنجويرث وتايلور ودروز ثم رنزولي في الفترة الأخيرة وغيرهم . وبدأ يظهر اتجاه جديد في تعريف المتفوقين يعتمد على تعدد المحكات، وأن الذكاء بمفرده لا يمكن أن يكون أساساً سليماً عن التفوق، فما هو إلا محك واحد ضمن غيره من المحكات . وبذلك اصبح الذكاء أو القدرة العقلية العامة واحداً من محكات الكشف عن المتفوقين، وكانت المحكات الأخرى هي القدرة الأكاديمية الخاصة ثم الابتكار او التفكير الانتاجي . وبهذا ظهر مبدأ أساسي في العقدين الأخيرين وهو مبدأ تعدد محكات الكشف عن المتفوقين، وأصبح هذا المبدأ هو المبدأ الأول في الكشف عن المتفوقين .

ومع ظهور مبدأ تعدد المحكات بدأ التفكير في ابتداع وسائل ترتبط بهذه المحكات ولا تعتمد فقط على اختبار الذكاء . وهنا أيضا برزت الاختبارات كأهم وسيلة في الكشف عن المتفوقين، وبدأت تظهر اختبارات التفكير الابتكاري على يد جيلفورد وتورانس وغيرهما . واختبارات التحصيل واختبارات القدرات والاستعدادات . ولكن وجد أيضا أن هذه الاختبارات غير كافية ولابد من وسائل ومصادر أخرى للتعرف على المتفوقين .

ومع استمرار الدراسة بدأت تظهر مقاييس أخرى تعتمد على ملاحظة القريبين من الطفل، ومن هنا بدأ يظهر دور الآباء والمعلمين وأصبح لدينا مبدأ ثان هو تعدد المصادر إلى جانب مبدأ تعدد المحكات. وقد أشارت كثير من الدراسات أن بوادر التفوق تظهر في سن مبكرة جدا وهنا ظهر مبدأ ثالث يعتمد على أنه يجب البدء في الكشف عن التفوق في سن مبكرة جداً ولو أمكن ذلك في سن ما قبل المدرسة يكون افضل. والهدف من الكشف المبكر عن المتفوقين هو رعايتهم في وقت مبكر يمكننا من استغلال طاقاتهم إلى أقصى حدودها. واهمال رعاية المتفوقين قد يؤدي على فقدانهم لتفوقهم نتيجة عوامل خارجة عن إرادتهم. وبدأ الاهتمام بالآباء أكثر وأكثر كمصادر للكشف المبكر عن المتفوقين.

وقد وجد أيضا ان الكشف المبكر غير كاف لأن بعض الأطفال لا يظهر تفوقهم إلا في أواسط المرحلة الابتدائية أو حتى في المرحلة المتوسطة. وبذلك ظهر مبدأ رابع هو مبدأ الاستمرار في عملية الكشف عن المتفوقين، أي أنه لا يكفي ان نكشتف المتفوقين في سن مبكرة بل لابد من أن نتابع الأطفال باستمرار في المدارس حتى نكتشف من يظهر تفوقه في وقت متأخر.

وعلى هذا يمكن القول أن المباديء الأساسية الأربعة في الكشف عن المتفوقين هي:

١ ــ تعدد المحكات والمعايير.

٢ ــ تعدد الوسائل والمصادر.

٣ ــ الكشف المبكر ما أمكن.

٤ ــ استمرار عملية الكشف في المراحل العمرية المختلفة.

وإذا نظرنا إلى هذه المبادىء الأربعة يبرز لدينا دور الأب والأم والمعلم ابتداء من المبدأ الثاني وهو مبدأ تعدد الوسائل والمصادر لأن الآباء والمعلمين هم من أهم مصادر الكشف عن المتفوقين. والكشف المبكر يعتمد بدرجة كبيرة على الأم

والأب. أما استمرار عملية الكشف فإنها رغم اعتمادها على الوالدين الا انها تعتمد بدرجة أكبر على المعلم في المدرسة.

كيف يحدد الأب أو الأم أن تفوق ابنهما أو ابنتهما؟

الأب والأم يعايشان ابنهما منذ ولادته ويلاحظانه أثناء نموه ويستطيعا أن يحددا متى اكتسب مهارة معينة. هذه الملاحظة المتوفرة لدى الآباء بشكل طبيعي تجعل منهم المصدر الأول والأهم للكشف عن المتفوقين في مرحلة ما قبل المدرسة. ولكن ليس كل الآباء قادرين على هذه العملية، فقد لا ينتبه البعض لمظاهر أساسية للتفوق وتمر عليهم دون أن يلاحظوها. وربما يرجع لك إلى عدم معرفتهم بمعنى التفوق. وربما لا يهتمون بملاحظة بعض الأمور الدقيقة المرتبطة بالتفوق. يشير إلى ذلك بعض الباحثين الذين أجروا دراسات حول هذه النقطة إذ ذكروا أنهم عند الكشف عن بعض المتفوقين وإبلاغ ذلك لآبائهم دهشوا من كونهم متفوقين فلم يكونوا يتوقعون أن ابناءهم متفوقون. ومعنى ذلك أن ملاحظاتهم لم تكن دقيقة لأطفالهم. ولذلك بدأ الباحثين في التفكير في إعداد مرشد للآباء لاستخدامه في الكشف عن التفوق إذا كان أبناؤهم متفوقين. وقد صممت كثير من هذه المراشد بغرض تقنين ملاحظة الآباء لأبنائهم. وتهتم هذه المراشد ببعض الجوانب، ففي سنوات ما قبل المدرسة يتركز الاهتمام على النمو الحركي والنمو المعرفي والنمو اللغوي. ويقسم النمو الحركي إلى قسمين: قسم يتعلق بنمو العضلات الكبيرة وقسم يتعلق بنمو العضلات الدقيقة. ثم النمو المعرفي الذي نكشف عن طريقه عن بعض خصائص القدرة العقلية وكذلك النمو اللغوي الذي يعتبر من أهم المحكات في الكشف عن بعض خصائص التفوق. كيف باستخدام هذا المرشد يكتشف الأب ان ابنه متفوق؟.

لقد وضع معيار بسيط للغاية وهو أن الطفل المتفوق أسرع في النمو من الطفل العادي بمعدل ٢٠٪ على الأقل فإذا افترضنا مثلا ان سن الجلوس هو حوالي

سبعة شهور يكون الطفل المتفوق أسرع من هـذا بحوالي شهـرين. أي أن الطفـل المتفوق يستطيع الجلوس في سن خمسة شهور تقريباً. وهكذا بـالنسبة للمهـارات الأخرى الحركيـة واللغويـة يستطيـع الأب بملاحـظة نمو إبنـه في هذه المهـارات أن يكشف عن مستوى أدائه فيها. والجدول رقم (١) يبين مظاهر النمو في العضلات الكبيرة معدل نمو كل من الطفل العادي والمتفوق في كل منه.

ومن هذا الجدول يتبـين أنه يمكن من الشهـور المبكرة جـدا ملاحـظة معدل النمـو في مظهـر من المظاهـر المبينة بـالجدول ويمكن منهـا التعرف عـلى احتـمال ان الطفل متفوق. لو أخذنا مثلا أن الطفل عندما يوضـع على بـطنه في الشهـر الأول يستطيع أن يرفع رأسه. ويقوم الـطفل المتفـوق بأداء هـذه المهارة في سن ٧ر٠ من الشهـر أي عندمـا يبلغ عمره ثلثي الشهـر الأول تقريبـا. كذلـك نجد ان الـطفل العادي يستطيع أن يرفع كلا من المصـدر والرأس في نهايـة الشهر الثـاني من عمره تقريباً ولكن الطفل المتفوق يقوم بذلك في أقل من شهر ونصف.

وهكـذا يمكن الاعتماد عـلى هذه الأسس لـملاحظة معـدل الطفـل في النمـو ومـدى تقدمـه أو تأخـره في النمو، ونـظراً لأن مظاهـر النمو المختلفـة مرتبـطة فإن الطفل السـريع في مظهـر من مظاهـر النمو غـالبا مـا يكون نمـوه سريعا في المـظاهر الآخرى.

ويوضح الجدول رقم (٢) معدل نمو الطفـل العادي والمتفـوق في العضلات الدقيقة، وهنا أيضا نجد أن الطفـل المتفوق يستخـدم مهارات الأصـابع واليـدين بسرعة أكثر من الطفل العادي. فمثلا الـطفل العـادي يلعب بالخشخيشـة في سن ثلاثة شهور أما الطفل المتفوق فإنه يلعب عادة في سن شهرين.

## جدول رقم (١)

## معدلات نمو العضلات الكبيرة لدى الطفل العادي والطفل المتفوق

| مظاهر نمو العضلات الكبيرة | النمو العادي بالشهور | التقدم بمعدل ٣٠٪ |
|---|---|---|
| يرفع ذقنه وهو مستلق على ظهره | ١ | ٧ر |
| يرفع كلا من الصدر والرأس | ٢ | ١ر٤ |
| ينقلب على جنبيه | ٢ | ٢ر١ |
| يجلس بمعاونة | ٤ | ٢ر٨ |
| يجلس دون معاونة | ٧ | ٤ر٩ |
| يقف بمعاونة | ٨ | ٥ر٦ |
| يحبـــو | ٩ | ٦ر٣ |
| يقف دون معاونة | ١١ | ٧ر٧ |
| يمشي بمفرده | ١٢ر٥ | ٨ر٧ |
| يمشي مستغنيا عن الحبو | ١٥ | ١٠ر٥ |
| يصعد السلم زحفا | ١٥ | ١٠ر٥ |
| يصعد السلم مشيا | ١٨ | ١٤ر٦ |
| يجلس نفسه في المقعد | ١٨ | ١٤ر٦ |
| يقلب صفحات الكتاب | ١٨ | ١٤ر٦ |
| يهبط السلم مع إمساك احدى يديه | ٢١ | ١٤ر٧ |
| يصعد السلم ماسكا الحاجز | ٢١ | ١٤ر٧ |
| يجري بتناسق، دون ان يسقط | ٢٤ | ١٦ر٨ |
| يصعد ويهبط السلم بمفرده | ٢٤ | ١٦ر٨ |
| يمشي على أصابع القدمين | ٢٠ | ٢١ر٠ |
| سقفز بكلتا قدميه | ٢٠ | ٢١ر٠ |
| يبدل قدميه وهو يصعد السلم | ٢٦ | ٢٥ر٢ |
| يقفز من الدرجة الأولى للسلم | ٣٦ | ٢٥ر٢ |
| يركب درجا ذات ثلاثة عجلات | ٣٦ | ٢٥ر٢ |
| يحجل على قدم واحدة | ٤٨ | ٣٣ر٦ |
| يحجل مبدلا قدميه | ٦٠ | ٤٢ر٠ |

## جدول رقم (٢)
## مظاهر نمو العضلات الدقيقة لدى الطفل العادي والمتفوق

| مظاهر نمو العضلات الدقيقة | النمو العادي بالشهور | التقدم بمعدل ٣٠٪ |
|---|---|---|
| يمسك يد المعلقة ولكن يتركها بسرعة | ١ | ٧ر |
| تآزر العين عموديا | ١ | ٧ر |
| يلعب بالخشخيشة | ٢ | ٢ر١ |
| يتناول الكرة، مظهرا الاهتمام بتفاصيلها | ٦ | ٤ر٢ |
| يظهر تفضيلا لإحدى اليدين | ٨ | ٥ر٦ |
| يمسك الأشياء بين الاصابع والإبهام | ٩ | ٦ر٣ |
| يمسك القلم بشكل متوافق | ١١ | ٧ر٧ |
| يشخط بالقلم تلقائيا | ١٣ | ٩ر١ |
| يطوي الورقة مرة واحدة | ٢١ | ١٤ر٧ |
| يرسم خطوطا دائرية من نموذج | ٢٤ | ١٦ر٨ |
| يبني جسرا من المكعبات من نموذج | ٣٦ | ٢٥ر٢ |
| يرسم شخصا من جزئين | ٤٨ | ٣٣ر٦ |
| يرسم شخصا كاملا | ٦٠ | ٤٢ر٠ |
| ينقل رسمٌ مثلث | ٦٠ | ٤٢ر٠ |
| يرسم شخصا مع اظهار الرقبة واليدين والملابس | ٧٢ | ٥٠ر٤ |

## جدول رقم (٣)

## مظاهر النمو المعرفي واللغوي ومعدل نمو الطفل العادي والمتفوق فيها

| مظاهر نمو العضلات الكبيرة | النمو العادي بالشهور | التقدم بمعدل ٣٠٪ |
|---|---|---|
| يبتسم للناس | ١ر٥ | ١ر١ |
| يصدر صوتا متكررا اربع مرات او اكثر | ١ر٦ | ١ر١ |
| يتعرف على أنه لدى رؤيتها | ٢ر٠ | ١ر٤ |
| يبحث بعينيه عن مصدر الصوت | ٢ر٢ | ١ر٥ |
| يصدر صوتين مختلفين | ٢ر٣ | ١ر٦ |
| يصدر اربعة أصوات مختلفة | ٧ر٠ | ٤ر٩ |
| يقول «بابا. . بابا» | ٧ر٩ | ٥ر٥ |
| يستجيب لسماع اسمه | ٩ر٠ | ٦ر٣ |
| ينظر الى الصور في كتاب | ١٠ر٠ | ٧ر٠ |
| يتمتم بشكل معبر | ١٢ر٠ | ٨ر٤ |
| يقلد الكلمات | ١٢ر٥ | ٨ر٨ |
| حصيلة من ثلاث كلمات (ليس من بينها بابا، ماما) | ١٤ر٠ | ٩ر٨ |
| حصيلة من اربع الى ست كلمات بما فيها اسماء الاشخاص | ١٥ر٠ | ١٠ر٥ |
| يشير الى احد أجزاء الجسم عند سماع اسم هذا الجزء | ١٧ر٠ | ١١ر٩ |
| يذكر اسم الشيء( عند سؤال : ما هذا؟) | ١٧ر٨ | ١٢ر٥ |
| ينفذ التعليمات يوضع شيء ما علي المقعد | ١٧ر٨ | ١٢ر٥ |
| حصيلة لغوية من عشر كلمات | ١٨ر٠ | ١٢ر٦ |
| حصيلة لغوية من عشرين كلمة | ٢١ر٠ | ١٤ر٧ |
| يكون كلمة من كلمتين (إلى ثلاث كلمات) | ٢٤ر٠ | ١٦ر٨ |
| يستخدم بعض الضمائر (مثل أنا ـ انت) | ٢٤ر٠ | ١٦ر٨ |
| يذكر اسمه كاملا | ٣٠ر٠ | ٢١ر٠ |
| يتعرف على سبعة أشياء | ٣٠ر٠ | ٢١ر٠ |
| يذكر استعمالات الأشياء | ٣٠ر٠ | ٢١ر٠ |
| يعد ثلاثة أشياء | ٣٦ر٠ | ٢٥ر٢ |
| يتعرف على الجنسين | ٣٦ر٠ | ٢٥ر٢ |

ويلاحظ ان الفرق في معدل النمو بين الطفل العادي والطفل المتفوق قليل في السن الصغيرة، ولكن هذا الفرق مع التقدم في العمر، ولذلك فإن الفروق بين الطفل العادي والمتفوق قد لا تكون واضحة في السن الصغيرة ولكنها تتضح أكثر وأكثر مع تقدم العمر. فمثلا نجد أن الطفل العادي يرسم شخصاً مع إظهار الرقبة واليدين والملابس في سن ست سنوات (٧٢ شهراً)، اما الطفل المتفوق فانه يستطيع ذلك في حوالي أربع سنوات. وملاحظة هذه الأشياء تمكن الأم أو الأب من التعرف على احتمال تفوق ابنها.

ويبين الجدول رقم (٢) أكثر المظاهر ارتباطاً بالتفوق وهي مظاهر النمو المعرفي واللغوي، ومن هذا الجدول يتبين مثلا أن الطفل العادي يبتسم في المواقف الاجتماعية في حوالي شهر ونصف، أما الطفل المتفوق فيستطيع ذلك في حوالي الشهر. وكذلك نجد أن الطفل العادي يحرك عينيه نحو مصدر الصوت في سن شهرين تقريباً، ولكن الطفل المتفوق فينجح في ذلك في سن شهر ونصف تقريباً. ونجد كذلك أن الطفل المتفوق أسرع في اكتساب الكلام في سن مبكرة مقارنة بالطفل العادي. كما أنه يظهر ميلا للقراءة والاهتمام بالكتب في سن صغيرة نسبياً.

وكل هذه الشواهد لو لاحظتها الأم أو لاحظها الأب لأمكنها أن يضعا احتمالا على الأقل بأن ابنها متفوق، إلى حين استشارة المختصين في هذا الأمر.

ويمكن من دراسة الجداول السابقة تتبع نمو الطفل وذلك بعمل سجل تاريخي يبين عُمر الطفل الذي يكتسب فيه كل مهارة من المهارات. ويدون في هذا السجل كل ما يتعلق بالطفل من نواحي نموه الحركي واللغوي وغير ذلك من الظروف المرتبطة بالنمو، كما تدون فيه خبرات الطفل التربوية مثل سن دخول المدرسة ودرجاته المدرسية. وينتهي هذا السجل بملخص يبين نواحي القوة والضعف في الطفل وبالتالي يكون مؤشرا على مدى تفوقه.

وفيما يلي عناصر هذا السجل.

## السجل التاريخي للطفل

**أولا: الحالة الجسمية:**

**أ ــ فترة ما قبل الولادة**١ ــ حالة الأم الصحية أثناء الحمل.

٢ ــ حالة الولادة

**ب ــ العلامات النمائية المبكرة**

١ ــ سن رفع الرأس

٢ ــ سن التسنين

٣ ــ سن الحبو

٤ ــ رفع الجسم للوقوف

٥ ــ سن المشي

٦ ــ مهارات الاعتماد على النفس.

**ثانياً: النمو اللغوي**

**أ ــ سن الكلام**

١ ــ عدد الكلمات

٢ ــ تكوين الجمل

٣ ــ طول الجملة

٤ ــ القدرة على فهم الكلام

**ب ــ سن تعلم القراءة**

١ ــ القدرة على التعرف على الكلمات.

٢ ــ قراءة الجمل من اليمين إلى اليسار

**ثالثاً: المهارات الأخرى**

أ ــ ميول القراءة

ب ــ الهوايات.

جـ ــ مهارات أخرى

**رابعاً: الظروف المرتبطة بالنمو اللغوي**

**أ ــ علامات عصبية**

١ ــ قضم الاظافر ـ التبول في الفراش

٢ ــ الخوف ـ الخجل ـ الكوابيس

**ب ــ النمو الاجتماعي**

١ ــ رفاق اللعب

٢ ــ اسلوب اللعب

٣ ــ وسائل الترويح

**خامساً: الخبرات التربوية**

أ ــ سن دخول المدرسة

ب ــ مستوى الاداء المعرفي

جـ ــ درجاته في المدرسة

د ــ التقارير المدرسية (الشهادات)

هـ ــ المقابلات مع المعلمين.

**سادساً: ملخص عام عن الطفل**

أ ــ نواحي القوة

ب ــ نواحي الضعف

جـ ــ اهم المشكلات

وعندما يكتشف الآباء أن أبناءهم متفوقون، فلابد من معاملتهم بأسلوب خاص حتى يساعدوهم على تنمية تفوقهم والاحتفاظ به واستغلاله إلى أقصى حد

ممكن. إلى أن يلتحق الطفل بالمدرسة وتبدأ المدرسة في الاشتراك مع المنزل في هذه الرعاية..

ولابد أن يقوم تعامل الآباء مع ابنائهم المتفوقين على أهداف محددة. منها أن يعمل الطفل لأقصى طاقاته.. وأن يكون حراً في تفكيره. وأن يشعر بالانتماء للوطن والناس، وأن يتصرف بشكل طبيعي. إلى غير ذلك من الأهداف التي تجعل منه شخصاً قادراً منتجاً في المجتمع. وتحتاج هذه الأهداف بالطبع إلى سنوات طويلة لتحقيقها ولكن لابد أن تبدأ لبناتها الأولى في المنزل.

ويمكن تقسيم التعامل مع الطفل إلى قسمين، ويتعلق القسم الأول بسنوات ما قبل المدرسة، أما القسم الثاني فيتعلق بسنوات المدرسة. وتعلم الطفل المبكر هام للغاية وهو ما يحدث في سنوات ما قبل المدرسة، ودور الآباء في هذا التعلم هام للغاية. ولذلك يجب أن يحاول الآباء عن طريق مختلف الوسائل من تنمية ورعاية وتوجيه تعلم أبنائهم قبل أن يدخلوا المدرسة. ويمكن أن يتحقق هذا التوجيه بعدة وسائل، فالأب كأول معلم والأم كأول معلمة للطفل لابد أن يكونا قدوة لطفلهما سواء من حيث وضع وتنفيذ معايير السلوك وفي التصرف مع الناس وفي معاملة أفراد الأسرة مع بعضها البعض. وأن تكون هذه المعايير ثابتة حتى ينشأ الطفل المتفوق على معايير محددة للسلوك تكون أساس تعامله مع الآخرين

ويجب كذلك أن يتفاعل الآباء مع ابنائهم على عدة مستويات: المستوى اللفظي والمستوى العقلي والمستوى الانفعالي والمستوى الاجتماعي. ويصدق هذا الكلام هذه الأيام أكثر من أي وقت مضى. فهناك منافس خطير في المنزل للأبوين وهذا المنافس هو التلفزيون الذي يجذب الأطفال إليه بعيداً عن الأبوين. ولذلك يجب أن يحاول الأبوين الحد من هذه المنافسة وذلك بأن يعرضوا على أبنائهم أشياء تجذبهم أيضا وتثير اهتمامهم وانتباههم، وذلك بأن يعطي الأبوين لأبنائهما وقتا كافيا يقصان عليهم القصص، ويقرأ الأب لهم ويجيب على أسئلتهم بشكل

يساعدهم على فهم واستيعاب المفاهيم المختلفة، وكذلك مساعدتهم على أن يستخدم أبناؤهم اللغة استخداماً سليماً بالاجابة على أسئلتهم بشكل جيد ويطلبان منهم التعبير سواء بأن يسردوا ما سمعوه من قصص أو بالكلام عن خبراتهم، مما يزيد من قدرتهم اللغوية وبذلك يتدرب الأطفال على استخدام اللغة في الحديث والمناقشة وبالتالي يساعدهم هذا على اكتساب طرق التفكير والتواصل مع الآخرين.

وهناك لوحة في جمعية الطفولة موجهة للأم ولكنها تصدق بشكل خاص على الطفل المتفوق. وتقول هذه اللوحة:

**إقرأي**
**إقرأي كل يوم**
**إقرأي لطفلك**
**إقرأي لطفلك بصوت عال**
**إقرأي لطفلك بصوت عال في عمر مبكر**
**أحيطي طفلك بالكتب الجيدة**
**إقرأي لتكوني قدوة في المطالعة**
**خصصي وقتا للقراءة لطفلك يوميا**
**شجعي طفلك على زيارة المكتبة**
**شجعي طفلك على شراء الكتب.**

والجانب الآخر الذي يمكن أن يقوم به الآباء هو تقديم الخبرات الأولى للطفل عن طريق الكتب ومجلات الأطفال والألعاب والآلات الموسيقية وغيرها محاولين في ذلك تلبية احتياجات الطفل ومطالب نموه.

وإذا كان من الصعب على الآباء توفير الكتب لأبنائهم، فيمكن تشجعيهم على ارتياد المكتبات العامة التي تزخر بها الكويت، ويمكن اللجوء إليها كمصدر من

المصادر التي تساعدهم على تحقيق ذلك لأطفالهم.

ويجب على الآباء كذلك ألا يتأخروا في تقديم المعونة للطفل عندما يحتاجها سواء في اللعب أو في غير ذلك من الأعمال. ويجب تلبية ذلك فوراً وعدم تأجيله لوقت آخر، وإذا كان يريد الكلام في مشكلة معينة لابد من تحقيق طلبهم فوراً.

وقد تعلم كثير من الأطفال المتفوقين القراءة بأنفسهم قبل أن يدخلوا المدرسة عن طريق تشجيع الأسرة لهم وتزويدهم بالوسائل التي تمكنهم من تعلم القراءة، وليس المقصود من ذلك أن يقوم الأب أو الأم بدفع الابن لتعلم القراءة ولكن المقصود من ذلك أن يكون تعلم القراءة خبرة ذاتية مسلية للطفل، ولا يجب أبداً دفع الطفل دون أن يكون مستعداً لذلك إلا انقلب الأمر لضده تماماً.

أما بالنسبة لدور المعلم في الكشف عن المتفوقين فليس في وضوح دور الأب، وربما يرجع ذلك إلى أن المعلم نفسه لا يرى أن من دوره أن يهتم بالمتفوقين، فهو يهتم بالفصل بأكمله ولا يوجه اهتماماً خاص لطفل لأنه متفوق ولكنه ينظر إليه كطفل بين غيره من الأطفال في الفصل. كما أن المناهج والبرامج التي بين يدي المدرس لا تبرز له أهمية الاهتمام بالمتفوقين من حيث اكتشافهم أو رعايتهم. كما أنه أثناء إعداده لمهنة التدريس لم يدرس أهمية رعاية المتفوقين وربما لو تعرض لمثل هذه الخبرات لاختلفت نظرته واتجاهاته نحو هذا الأمر.

ولابد للمعلم إذا اكتشف أن لديه طفلا متفوقا أن يساعده على تنمية تفوقه. ومن الوسائل التي تساعد المعلم على رعاية التلميذ المتفوق ما هو موضح بالشكل رقم (١) الذي يصور علاقة ذات ثلاثة أبعاد:

- البعد الأول بعد المادة الدراسية.
- البعد الثاني بعد المتعلم
- البعد الثالث بعد المعلم وطرق التدريس

ولو أمكن توجيه أولياء الأمور والمعلمين إلى مثل هذه الأمور التي تحتوي

عليها اللوحة لساعدوا وزارة التربية مساعدة كبيرة في البرامج التي وضعت للاهتمام بالمتفوقين.

(*) يعتذر الكاتب عن عدم ذكر مصادره نظراً لفقد أصول هذه الدراسة أثناء الغزو العراقي الغاشم للكويت.

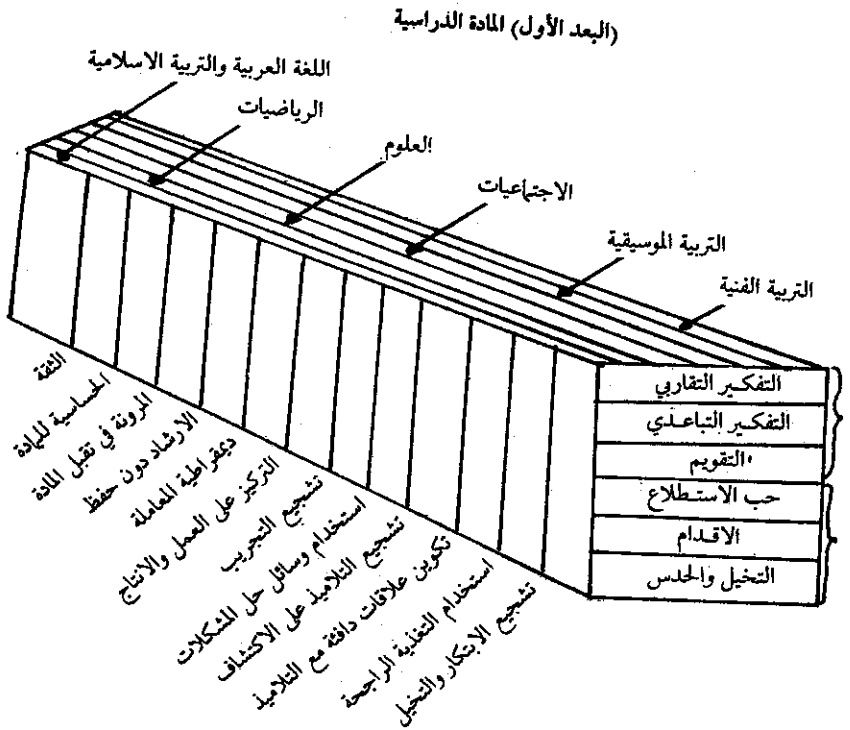


شكل رقم (١)
ابعاد العلاقة بين المعلم والمتعلم في الفصل

# دراسة ميدانية حول أهمية دور أولياء الأمور والمعلمين في الكشف عن الخصائص السلوكية للمتفوقين

اعداد

الدكتورة/ فاطمة نذر

كلية التربية ـ جامعة الكويت

**أهداف الدراسة :**

سعت الدراسة للكشف عن الخصائص السلوكية للمتفوقين عقلياً لتلاميذ الصف الثالث الابتدائي بمدارس الكويت كما جاء في تقارير أولياء الأمور والمعلمين لذا فإن متغيرات الدراسة تشمل كل من :-

١ - مستوى الذكاء مقاسا باستخدام اختبار المصفوفات المتتابعة (Raven's Standard Progressive Matrices).

٢ - الخصائص السلوكية ( التعلم والابداعية والدافعية والقيادية ) مقاساً بمقياس الخصائص السلوكية للمتفوقين (Scale For Rating Behavioral Characteristics of Superior Students).

**مشكلة الدراسة :**

تتحدد مشكلة الدراسة في محاولة الاجابة عن مجموعة من التساؤلات يمكن اجمالها بما يأتي :-

١ - ما هي الخصائص السلوكية ( التعلم والابداعية والدافعية والقيادية ) للمتفوقين لتلاميذ الصف الثالث الابتدائي بمدارس الكويت كما جاء في تقارير أولياء الأمور ؟ .

٢ - ما هي الخصائص السلوكية ( التعلم والابداعية والدافعية والقيادية ) للمتفوقين لتلاميذ الصف الثالث الابتدائي بمدارس الكويت كما جاء في تقارير المعلمين ؟ .

٣ - هل توجد فروق دالة احصائياً بين الخصائص السلوكية للمتفوقين لتلاميذ الصف الثالث الإبتدائي بمدارس الكويت كما جاء في تقارير أولياء الأمور والمعلمين ؟ .

٤ - ما هي مستويات الذكاء للمتفوقين للصف الثالث الابتدائي بمدارس الكويت كما حددها اختيار المصفوفات المتتابعة؟

٥ ـ ما هي العلاقة بين درجات الذكاء والخصائص السلوكية للمتفوقين من تلاميذ الصف الثالث الإبتدائي كما جاء في تقارير أولياء الأمور والمعلمين ؟ .

٦ ـ ما هي الخصائص الديمغرافية للمتفوقين بمدارس الكويت ؟ .

**حدود الدراسة :** اختصرت هذه الدراسة على التلاميذ المتفوقين بالصف الثالث الإبتدائي لجميع المدارس الحكومية بدولة الكويت .

**الطريقة والإجراءات : ـ**

**مجتمع الدراسة :**

يتكون مجتمع الدراسة من جميع تلاميذ الصف الثالث الإبتدائي بمدارس الكويت المتمثلة في ٨٨ مدرسة للبنين و٩٠ مدرسة للبنات بموجب احصائية ١٩٨٧ / ١٩٨٨م وكان العدد الكلي للمتفوقين ( ن = ٢٩٣٠ طالباً وطالبة ) . واشتملت عينة الدراسة على ١٥٠ طالباً و١٥٠ طالبة من الصف الثالث الإبتدائي . وقد اختيرت العينة بالطريقة العشوائية الطبقية من مجتمع الدراسة .

**اجراءات الدراسة :**

حصل الباحث على الموافقة الرسمية من وزارة التربية للقيام بهذه الدراسة . وقد شاركت بهذه الدراسة ثلاثون اخصائية نفسية من إدارة الخدمة النفسية لتطبيق اختبار المصفوفات المتتابعة ومقياس الخصائص السلوكية بعد أن تم تدريبهن على كيفية إجراء هذه المقاييس .

ولقد تم جمع البيانات في ديسمبر ١٩٨٧ حتى نهاية مارس ١٩٨٨ .

**المعالجة الاحصائية ومناقشة النتائج :ـ**

١ ـ توجد فروق دالة احصائياً بين أولياء الأمور والمعلمين بخصوص المقاييس الفرعية الأربعة للخصائص السلوكية ( أي أن درجات أولياء الأمور كانت أعلى من نظيرها المعلمين ) والجدول التالي يوضح ذلك .

جدول (١)

يوضح الفروق في المتوسطات بين أولياء الأمور والمعلمين بخصوص المقاييس الفرعية الأربعة للخصائص السلوكية.

| المقاييس الفرعية | أولياء الأمور | | المعلمون | | قيمة ت | مستوى الدالة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | المتوسط | الانحراف المعياري | المتوسط | الانحراف المعياري | | |
| التعلم | ٢٣ر٣٠ | ٣ر٦٨ | ٢١ر٤٤ | ٤ر٣٤ | ٨ر٠٧* | ٠٠١ر |
| الدافعية | ٢٤ر٦٩ | ٣ر٨٧ | ٢٢ر٨٧ | ٤ر٤٣ | ٧ر٢٢* | ٠٠١ر |
| الابداعية | ٢٧ر٥٣ | ٤ر٧٣ | ٢٤ر٣٥ | ٥ر٤٨ | ١٠ر١٧* | ٠٠١ر |
| القيادية | ٢٣ر٣٠ | ٣ر٨٨ | ٢١ر٤٤ | ٤ر٣٤ | ٥ر٨٩* | ٠٠١ر |

ويرى الباحث أن السبب في اختلاف تقديرات أولياء الأمور والمعلمين يرجع .

**أولاً :-**

إلى الخلفية العلمية للأمهات فحوالي ٥١٪ من الأمهات يحملن الشهادة الجامعية ونسبة قليلة جداً تبلغ حوالي ٣ر٦٪ من الأميات ، ومن ثم ساعد ذلك على تنمية المهارات السلوكية المتعلقة بالتعلم ، مع تهيئة الظروف الأسرية المناسبة لتشجيع المواقف التعليمية عن طريق الألعاب التربوية وتشجيع القراءة والمحادثة ومشاركة الأبناء في المواقف الحياتية المختلفة .

**ثانياً :-**

قرب الأم من الطفل منذ الولادة وملاحظة مراحل نموه المختلفة يجعلها قادرة على التعرف على مثل هذه الخصائص السلوكية .

ثالثاً :-

الفرصة متاحة لأولياء الأمور بملاحظة خصائص السلوكية وذلك بسبب البيئة الأسرية ووضع الطفل في ظروف طبيعية للتعامل والمحادثة والتعبير والانطلاق بسجيته دون قيود أو قوانين مما يسهل مهمة أولياء الأمور للكشف عن هذه الخصائص .

بعكس المعلم حين يلاحظ الطفل في بيئة الفصل الذي يتميز بالالتزام والقوانين والنظام والهدوء ، مما يؤثر ذلك على سلوك الظفل في التحفظ في التصرف وعدم التعامل بحرية مطلقة مما يقيد سلوك الطفل ، ومن جهة أخرى المسؤوليات الملقاه على عاتق المعلم واعداد الطلاب الهائلة داخل الفصل كلها أمور تصعب مهمة الكشف عن هذه الخصائص لأنها بحاجة إلى جهد ووقت .

رابعاً :-

الفرصة متاحة أكبر بالنسبة لأولياء الأمور لملاحظة أبنائهم في مواقف اجتماعية مختلفة مثل علاقاتهم مع الكبار من أفراد الأسرة أو الاقران الأكبر سناً أو الاقران الأصغر سناً مما يساعد الاطفال على تنمية مهارات وأدوار اجتماعية ممكن أن يلاحظها ولي الأمر ويعجز المعلم عن كشفها في بعض الأحيان .

٢ ـ توجد فروق* دالة احصائياً في تقديرات أولياء الأمور للبنين والبنات بخصوص مقاييس الدافعية والقيادية ، فقد كان تقديرهم لاناث الصف الثالث الإبتدائي أعلى من تقديرهم لنظيرهم من الذكور .

أما بخصوص مقاييس التعلم والإبداعية فلا توجد فروق دالة احصائياً . كما هو موضح في جدول رقم ٢ .

جدول (٢)

**يوضح الفروق في المتوسطات بين الاناث والذكور بخصوص المقاييس الفرعية الأربعة حسب تقارير أولياء الأمور .**

| المقاييس الفرعية | الاناث | | الذكور | | قيمة ت | مستوى الدالة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | المتوسط | الانحراف المعياري | المتوسط | الانحراف المعياري | | |
| التعلم | ٢٣ر٦٣ | ٣ر٨٨ | ٢٢ر٩٦ | ٣ر٤٦ | | |
| الدافعية | ٢٥ر٢٩ | ٤ر٣٨ | ٢٤ر٠٨ | ٣ر١٩ | ٢ر٧٣* | ٠٥ر |
| الابداعية | ٢٧ر٧٦ | ٤ر٨٩ | ٢٧ر٣١ | ٤ر٥٨ | | |
| القيادية | ٣٤ر٣٢ | ٣ر٥٧ | ٣٣ر٤٢ | ٤ر٠٧ | ٢ر٠٥* | ٠٥ر |

٣ ـ توجد فروق دالة احصائياً في تقديرات المعلمين للبنين والبنات بخصوص مقاييس الخصائص السلوكية الأربعة كما هو موضح في جدول رقم ٣ . فقد كان تقديرهم لاناث الصف الثالث الإبتدائي أعلى من تقديرهم لنظيرهم من الذكور في المجالات الأربعة ( التعلم والإبداعية والدافعية والقيادية ) .

جدول رقم (٣)

**يوضح الفروق في المتوسطات بين الاناث والذكور بخصوص المقاييس الفرعية الأربعة حسب تقارير المعلم.**

| المقاييس الفرعية | الاناث | | الذكور | | قيمة ت | مستوى الدالة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | المتوسط | الانحراف المعياري | المتوسط | الانحراف المعياري | | |
| التعلم | ٢٢ر٠١ | ٤ر٥٠ | ٢٠ر٨٨ | ٤ر١٢ | ٢ر٢٦* | ٠٥ر |
| الدافعية | ٢٤ر٠٤ | ٤ر١٢ | ٢١ر٧٠ | ٤ر٤٢ | ٤ر٧٢* | ٠٥ر |
| الابداعية | ٢٥ر٣٢ | ٤ر٧٦ | ٢٣ر٣٩ | ٥ر٩٨ | ٣ر٠٩* | ٠٥ر |
| القيادية | ٣٢ر٨٥ | ٣ر٨٥ | ٣١ر٤٠ | ٤ر٩٢ | ٢ر٨٥* | ٠٥ر |

٤ ـ أظهرت مقاييس التقدير للخصائص السلوكية للمتفوقين معامل ثبات عالي عند استخدام معامل كرونباج والجدول رقم ٤ يوضح ذلك .

جدول رقم (٤)
يوضح معامل كرونباج ألفا لمقياس الخصائص السلوكية للمتفوقين.

| المقاييس الفرعية | أولياء الأمور | المعلم |
|---|---|---|
| التعلم | ٨٨ر | ٩٣ر |
| الدافعية | ٨٦ر | ٩١ر |
| الابداعي | ٩٠ر | ٩٤ر |
| القيادية | ٨٦ر | ٩١ر |

٥ ـ دلت درجات الطلبة على اختيار المصفوفات المتتابعة أن هناك ثلاثة مستويات من الذكاء موضحة كالآتي :ـ

أ ـ* الدرجات المئينية التي تتراوح ما بين ٧٥ ـ ٨٩ وتبلغ نسبتهم حوالي ٥٨ر٣٪ ( فوق المتوسط ) ABOVE AVERAGE .

ب ـ الدرجات المئينية التي تتراوح ما بين ٩٠ ـ ٩٥ وتبلغ نسبتهم حوالي ٣٢ر٧٪ ( المستوى الجيد ) GIFTED .

جـ ـ الدرجات المئينية التي تزيد عن ٩٥ فما فوق وتبلغ نسبتهم حوالي ٩٪ ( الممتازون عقلياً ) HIGHLY GIFTED. وفيما يلي جدول رقم ٥ يوضح ذلك .

جدول رقم (٥)
يوضح الدرجات المئينية لاختبار المصفوفات المتتابعة.

| الدرجات المئينية | ن | ٪ |
|---|---|---|
| ٩٥ ـ ١٠٠ | ٢٧ | ٩ر٠ |
| ٩٠ ـ ٩٥ | ٩٨ | ٣٢ر٧ |
| ٧٥ ـ ٩٠ | ١٧٥ | ٥٨ر٣ |
| المجموع | ٠٠ظ | ١٠٠ر٠ |

٦ ـ وكما دلت النتائج أن معامل الارتباط بين درجات الذكاء على اختيار المصفوفات المتتابعة والمقاييس الأربعة للخصائص السلوكية تتميز بدرجات منخفضة . وهذا يؤكد لنا أهمية وضرورة استخدام مجموعة من المعايير عند الكشف عن المتفوقين .

٧ ـ أظهرت النتائج التي تم الحصول عليها من قبل أولياء الأمور والمعلمين على أن عدد المتفوقين بلغ في مجال التعلم حوالي ٢٢٪ وفي مجال الدافعية بلغت حوالي ١٥٪ و١٧٪ في مجال الإبداعية بينما بلغت في الخصائص القيادية حوالي ١٣ر٧٪ وفيما يلي جدول ٦ يوضح ذلك .

جدول رقم (٦)

يوضح عدد المتفوقين في المقاييس الفرعية الأربعة للخصائص السلوكية حسب درجة معيارية واحدة .

| المقاييس الفرعية | الجنس | | ن | ٪ |
|---|---|---|---|---|
| | أناث | ذكور | | |
| التعلم | ٤٠ | ٢٦ | ٦٦ | ٢٢ |
| الدافعية | ٣٥ | ١٠ | ٤٥ | ١٥ |
| الابداعية | ٣٢ | ١٩ | ٥١ | ١٧ |
| القيادية | ٢٣ | ١٨ | ٤١ | ١٣ر٧ |

جدول رقم (٧)

يوضح عدد المتفوقين في المقاييس الفرعية الأربعة للخصائص السلوكية حسب درجتين معياريتين .

| المقاييس الفرعية | الجنس | | ن | ٪ |
|---|---|---|---|---|
| | اناث | ذكور | | |
| التعلم | ١٠ | ١ | ١١ | ٣ر٦ |
| الدافعية | ١٥ | ٤ | ١٩ | ٦ر٣ |
| القيادية | ١ | ٠ | ١ | ٣ر |
| الابداعية | ٧ | ٥ | ١٢ | ٤ |

ومن الملاحظ من النتائج التي تم الحصول عليها من تقارير أولياء الأمور والمعلمين عن المقاييس الأربعة للخصائص السلوكية أن هناك فقط ١١ من الطلبة يتميزون بالتفوق في المجالات الأربعة وهم حوالي نسبة ٦ر٣٪ من المجموع الكلي .

من أهم النتائج التي ترتبت على تقارير أولياء الأمور والمعلم بخصوص المقاييس الأربعة للخصائص السلوكية أن المتفوقين من الصف الثالث الابتدائي يعتبرون أكثر تفوقاً في مجال التعلم والإبداعية عنها في مجال الدافعية والخصائص القيادية .

ويرى الباحث أن السبب يعود إلى دور كل من الأسرة والمدرسة في تنمية المهارات التي تتعلق بالتعلم والابداعية مما أدى إلى تفوقهم في المجالين (التعلم والإبداعية).

أما بخصوص الدافعية والقيادية فيرى الباحث أنها تعود إلى أساليب التنشئة الإجتماعية في الأسرة الكويتية.

من نتائج الدراسة حول الخصائص السلوكية للمتفوقين توصل الباحث إلى ما يلي :-

**أولاً : خصائص التعلم :**

تنمية هذه الخصائص في المتفوقين عن طريق تنمية مهارات التفكير الناقد وانتقال الأطفال من خلال تصنيف اسود للتعلم للمستويات العليا في التفكير مثل التحليل والتركيب والتقويم ويعتبر ذلك من أهم أساسيات برامج المتفوقين لذا يجب مراعاة ما يلي من الأنشطة لتنمية مهارات التعلم :

١ ـ تعلم المهارات والأساليب للتعامل مع القضايا والمواضيع والأمور المعقدة.

٢ ـ التدريب على مهارات حل المشكلات ومشاركة الطالب في تحديد المشكلة ووضع الفرضيات وبناء المعايير ووضع الحلول ووضع استراتيجيات لتقويم الحلول الفعالة .

٣ ـ التدريب على استخادم الاساليب العلمية في البحث .

٤ ـ التدريب على مهارات الاتصال الشفهية أو التحريرية المحنكة وليكن على دراية عالية بمهارات الاتصال .

**ثانياً : خصائص الدافعية :**

عند تنمية الدافعية لدى المتفوقين يجب مراعاة ما يلي :

١ ـ تنمية الاخلاقيات العالية والمثالية لديهم .

٢ ـ اعطاء الفرص للعمل الانفرادي من خلال المجموعات الصغيرة ومحاولة حل المشاكل الحياتية لتهيأته لحل مشاكل الحياة المستقبلية (Future Problem Solving) .

٣ ـ تنمية مهارات عقلية لحل المشكلات .

٤ ـ اعطاء فرص كثيرة للمتفوقين في حرية اختيار مواضيع البحوث والكتب والانشطة التي يودون القيام بها .

٥ ـ تشجيع المبادرة الشخصية للقيام بالمهام والتي تتطلب ذكاء وتحدي لقدرات المتفوق ويساهم على فتح أبواب جديدة للكشف عن حقول علمية جديدة .

**ثالثاً : خصائص الإبداعية :**

يرى الباحث أن تنمية الابداعية تكون عن طريق :

١ ـ تدريب الطلبة على استخدام العناصر الأربعة الرئيسية في الإبداعية مثل :

| | |
|---|---|
| الطلاقة | FLUENCY |
| المرونة | FLEXIBILITY |
| الاصالة | ORIGINALITY |
| الاسهاب | ELABORATION |

ولتنمية الطلاقة يرى استخدام طريقة القدح الذهني واثارة الطلبة (BRAIN STORMING) . أما بخصوص المرونة فيرى تدريب الطلبة على عرض وابداء الآراء والأفكار الجديدة والمتنوعة وعرض البدائل . ولتنمية الاصالة يرى تشجيع

نـوعية انتـاج الطلبـة وجودتهـا وأن يكون مميـزاً وفريـداً في نوعـه. أمـا لتنميـة الاسهـاب فيكون عن طريق تشجيع الانتاج المتنوع بالطرق والاساليب المختلفة والتقنية . وتنمية اساليب التعبير المختلفة سواء المعتمدة على النواحي المادية مثل استخدام الادوات أو التعبير بالاحاسيس والمشاعر وذلك باستخدام الشعر والأدب أو التعبير الحركي عن طريق الرقص والموسيقى والغناء .

٢ ـ اتاحة الفرصة للطلبة لتقويم انفسهم وتقويم اقرانهم في المجالات التربـوية والحياتية المتعددة .

٣ ـ اتاحة الفرصة للطلبة لبناء معايير خاصة بهم تستخدم لتقويم ذاتهم داخـل المجموعة أو تقويم نتاج المجموعة .

٤ ـ اعطاء الطلبة الفرصة للاختراع أو بناء نتاج مبتكر وجديد .

٥ ـ اعطاء الطلبة الفرصة للاطلاع على مراجع وكتب ومجلات بمستويات متقدمة وعالية سواء في المحتوى أو المعلومات وذلك لتنمية ميولهم المتعددة .

**رابعاً : خصائص القيادة :**

أما فيما يتعلق بتنمية مهارات القيادة فيرى الباحث مراعاة ما يلي عند وضع برامج أو مناهج للمتفوقين :

١ ـ التفكير النقدي والتحليلي .

٢ ـ معالجة الأمور عن طريق دراسة المشكلة .

٣ ـ مشاركة الآخرين المعلومات مع احترام أراء وحرية الآخرين .

٤ ـ المشاركة بالانشطة الجماعية ( الصغيرة والكبيرة منها) .

٥ ـ التمكن من مهارات العمل التعاوني .

٦ ـ القدرة على أخذ القرار في المجالات المختلفة وتحمل مسؤولية ذلك .

٧ ـ التدريب على مهارات الاتصال .

٨ ـ تنمية الكفاءات العالية لديهم .

٩ ـ تنمية الاخلاقيات والمثل العليا .

١٠ ـ القدرة على التخطيط والمعالجة .

١١ ـ تنمية وتشجيع الطموح .

١٢ ـ الاعتماد على النفس والقيام باعمال هامة .

من الواضح بعد هذا العرض لأهم ما يتميز به المتفوقين من خصائص سلوكية متنوعة يمكننا كتربويين الاستفادة من ذلك اثناء وضع البرامج التعليمية الخاصة بهم ومراعاة تلك الخصائص وذلك لتنميتها وفق انشطة وبرامج خاصة لكل فئة (INDIVIDUAL EDUCATIONAL PLAN) .

**التوصيات :**

من خلال نتائج البحث في هذه الدراسة قدمت الباحثة بعض التوصيات التالية :ـ

١ ـ المتفوق يتميز بخصائص سلوكية معينة لذى يجب حين الكشف عنهم عدم الاعتماد على معيار أو مقياس واحد بل يجب استخدام معايير متعددة الأبعاد حتى نحصل على كل المعلومات عن المتفوقين وذلك باستخدام اختبارات الذكاء واختبارات التحصيل ومقاييس الخصائص السلوكية ومقاييس الاقران وولي الأمر والمعلم وكل ما يتعلق بالمتفوق سواء في المدرسة أو خارجها .

٢ ـ تعاون كل من المؤسسات الحكومية والأهلية في تنمية وتطوير وبناء مثل هذه البرامج وتجهيزها بكل ما يلزمها من وسائل وأجهزة وأدوات وتشجيع قيام البرامج المتعددة والمتخصصة في المجالات العلمية والأدبية المختلفة والتعاون مع التربويين لوضع الخطط المستقبلية لتنمية المتفوقين كمصدر قومي هام والاشراف عليهم ، والعمل على خدمة أكبر قاعدة ممكنة من المتفوقين باختلاف مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية .

٣ ـ اعتبار المعلم أهم الوسائل في الكشف ورعاية المتفوقين لذا يجب القيام بتوعية المعلم على أهمية دوره والعمل على تجنيد الاكفاء وذوي المهارات العالية وعلى أن يكونوا هم أنفسهم على درجة عالية من الذكاء والابداعية والدافعية

للعمل في هذا المجال على أن يتم تدريبهم وفق أحدث السبل قبل واثناء القيام بالعمل مع المتفوقين . ولنجاح هذه المهمة يرى تقليل نسبة الطلبة داخل الفصل حتى يستطيع المعلم كشفهم ومتابعتهم .

٤ ـ اعتبار الأسرة العامل الهام بجانب المعلم في الكشف عن المتفوقين فيجب توعيتهم بذلك وتشجيع العمل التعاوني مع المدرسة لتحقيق النجاح لأبنائهم .

٥ ـ توصية ملحة بعدم الاعتماد فقط على درجات الذكاء (IQ) واعتبارها المحك الرئيسي فحسب ، بل يجب تشجيع واستخدام مقاييس الخصائص السلوكية .

٦ ـ أخيراً هناك الكثير من الدراسات التي توصي الباحثة القيام بها مثل :

ـ القيام بنفس الدراسة مع استخدام فئات عمرية مختلفة .

ـ دراسات للتعرف على أمور أخرى بجانب درجات الذكاء والخصائص السلوكية التي تمكن من التنبوء بالتفوق .

ـ دراسات طويلة المدى (LONGITUDINAL STUDIES) للتعرف على بعض الأمور مثل علاقة المتفوقين باخوانهم داخل الأسرة وعلاقة أولياء الأمور بهم .

ـ الخصائص السلوكية ونموها وتطورها خلال المراحل العمرية المختلفة .

ـ مدى ثبات هذه الخصائص السلوكية على مدى المراحل العمرية المختلفة .

ـ دراسات لمتابعة المتفوقين ضمن الكشف عنهم في المرحلة الابتدائية حتى المراحل التعليمية النهائية لمعرفة التطورات التي تطرأ عليهم .

ـ دراسات حول وجهات نظر المتفوقين عن انفسهم وكيفية فهم ذاتهم .

ـ دراسات حول العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المؤثرة في نجاح وقيام هذه البرامج أو تعثرها .

## المناقشات

**د. حسن الإبراهيم :**

نشكر الأخت فاطمة على هذا العرض الرائع في الواقع ، وعلى الدراسة التي قامت بها على مستوى الكويت ، وعلى التوصيات التي توصلت إليها ـ هناك توصيات أخرى كثيرة ـ أنا متأكد أن موضوع الحوار سيفتح أبواباً كثيرة .

ولكن الذي استرعى انتباهي : هو التفوق الواضح للمرأة وأنا اعتقد أن هذا يجيب على تساؤلات كثيرة بالنسبة للمهتمين بالتربية في الكويت. كنا دائماً نلاحظ أن نتائج الطالبات في جميع مراحل التربية أعلى وأفضل بكثير من نتائج الأولاد . وكانت التفسيرات لها أن البنت مضطرة أن تجلس في البيت ، وأن الولد يخرج إلى الخارج ، وبذلك تقضي البنت وقتاً أكثر في المذاكرة .

إن النتائج التي توصلت لها الدكتورة فاطمة تبين أن التفوق عند البنت أو المرأة هو أعلى بكثير من الرجل .

النقطة الأخرى التي أثارت اهتمامي هي أهمية تعليم المرأة وهذا يبين لنا مرة أخرى أنه من المستحيل أن تسير التنمية بجدية بدون تعليم المرأة . ليس في اكتشاف الطفل المتفوق فقط ، وإنما الأمر كذلك في جميع مجالات الحياة .

نشكر الدكتورة فاطمة على هذا العرض الممتاز للبحث ، وكأني أحس أن هناك نوعاً من التفوق بين النتائج التي توصلت إليها ، وما تفضل به الدكتور رجاء ، ونعتقد أن هذا رابط علمي جيد بين النظرية والتجريب والآن نفتح باب النقاش .

**د. احمد عبد الله :**

بسم الله الرحمن الرحيم . تعليقي سيكون حول المحكات والمعايير ، المعايير والمحكات التي نستخدمها لتحديد أو لتعريف أو لتشخيص المتفوقين أو المبتكرين . الدكتور رجاء تفضل بطرح المحكات بل سرد تاريخها ، وهي محكات

لا شك علمية وتستند إلى أسس علمية ولا بد من الأخذ بها . أعرض قضية ترتبط بالمحكات ، عند استخدامها . هناك فئة قد تهمل أو يقع عليها بعض الظلم ، ولا تدخل ضمن دائرة المتفوقين . من هذه الفئات الفئة التي نطلق عليها اسم ( العاجزين عن التعلم ) أو الذين يعانون من صعوبات في التعلم . هذه الفئة قد تعاني من الصعوبة أو العجز في مجال أو آخر قد يكون هذا المجال : القراءة أو الكتابة أو الحساب أو الهجاء . . فإذا كان الطفل يعاني من عجز أو صعوبة في مجال مثل القراءة ، وهو أكثر المجالات شيوعاً بالنسبة لباقي المشكلات فإن هذا الطفل لن يكون من ذوي التحصيل العالي .

التحصيل العالي أو التحصيل الاكاديمي هو أحد المعايير التي يؤخذ بها بالنسبة لتحديد المتخلفين . فإذن هذا الشخص قد حرم من هذا المعيار مع أنه قد يكون متفوقاً .

الذكاء يكون عادياً ، وفي بعض الأحيان يكون فوق المتوسط، وأحياناً يكون هذا الشخص متفوقاً على الذكاء العادي ، فهذا الشخص لن يدخل دائرة المتفوقين ومن خصائص هذا الشخص العاجز عن التعلم أنه يعاني من اضطراب في الذاكرة، يعاني أيضاً من اضطراب أو ضعف في التركيز أو القدرة على الانتباه .

من المعايير التي تستخدم لتحديد أو تشخيص أو تعريف العاجز عن التعلم أن هذا الشخص يعاني دائماً من تباين بين مستوى ذكائه وقدراته عموماً ، انه سوف يعاني مشكلة في الحساب لأنه لا يستطيع فهم أو قراءة المسألة الحسابية ، وبالتالي سوف يكون متعثراً وراسباً في أكثر من مجال .

أيضاً نستطيع أن نضيف إلى ذلك الآثار النفسية . فإن تراكم الفشل بلا شك يؤثر على هذا الطالب . ومن المظاهر الأخرى بالنسبة للطفل العاجز عن التعلم فرط النشاط الذي نسميه ( الفعالية الشديدة ) وكذلك الانسحاب . هذه العوامل كلها تجعل هذا الطفل طفلاً متعثراً وراسباً ، وقد يوصف بأنه متخلف دراسياً .

وفي العادة يركز المدرس على جوانب الضعف ويركز على جوانب التعثر ويركز على الطفل كمشكلة وينسى جوانب التفوق عنده . لأن هذا الطفل قد يكون لديه جوانب تفوق ، فقد يكون عنده ضعف في مجال معين ولكنه متفوق في مجال آخر . . قد يكون ضعيفاً في القراءة ، لكن قد يكون متفوقاً في الحساب . فما هو الحل ؟ .

المعايير الموجودة لا بد أن نأخذ بها ، إنما الاشكال قد يكون أحياناً عندما تطبق تسلسلاً معيناً لهذه المعايير .

على سبيل المثال لو أخذنا معيار ( التحصيل الدراسي العالي ) كنقطة بدء لتحديد الطالب المتفوق . هنا يحسن بنا أن نطالب المعلمين أن يهتموا بأن يكون أداء هذا الطفل العاجز عن التعلم كأداء الطفل المتفوق والعادي . ومثل هذين الأمرين في تصوري من الضرورات .

الاستاذ/أنور النوري :

الحقيقة كما أكد بقية الاخوان ، المحاضرتان أو الحديثان مثار اهتمام عندي وقد وجدت فيهما متعة كبيرة .

عندي ملاحظتان : الملاحظة الأولى حول الاكتشاف المبكر لعلامات التفوق . لقد حدد الدكتور رجاء بعض المؤشرات من سنة واحدة إلى خمس سنوات . . أشياء حركية وأخرى معرفية ومهارات معينة .

سيدي الرئيس إن هذه المعلومات عندما توضع في كتاب ، وعندما يترجم كل أب ما هو موجود في الكتاب الخوف هنا هو أن يتوهم ولي الأمر ـ وعندنا الكثير من هذا النوع ـ إن ابنه ذكي لأنه رفع رأسه قبل أن يبلغ الشهر . نرجو من الدكتور رجاء أن يضع بعض التحفظات على هذه النقطة مؤكداً أن التفوق ظاهرة متكاملة وهي ليست عملية ملاحظة من قبل شخص غير خبير . الذي يقوم بهذه التجارب شخص خبير استاذ جامعة دارس وهو يمتلك هذا الحق أما غير الخبير فقد

يستنتج استنتاجات قد تؤدي إلى نتائج عكسية كأن يعد الأب أبنه غير ذكي ويتصرف معه على هذا الأساس وهذا أمر يدعو إلى القلق حقاً .

الملاحظة الثانية هي على حديث الأخت فاطمة لقد ذكرت المتفوقين وكيفية الكشف عنهم ، وبعد ذلك ذكرت كيف يجب التعامل معهم من قبل أولياء الأمور والمدرسين . يعني كيف يتعامل أولياء الأمور والمدرسون مع هؤلاء المتفوقين ؟ في رأيي أننا يجب أن نتعامل مع كل الاطفال على احتمال أن في كل منهم جانباً أو جوانب محتملة للتفوق سواء كانوا من ضمن الالفين الذين اختيروا أم من غيرهم أن هذا الاحتمال قائم وهو الأساس . فلهذا أن الشيء المهم هو أن نكون مستعدين للكشف عن هذه الجوانب في الاطفال سواء على أيدي الجامعيين المختصين أم بتنوير الآباء والأمهات باحتمالات التفوق في ابنائهم وبناتهم وتوجيه الاهتمام العام إلى أن تنمية الافكار والقدرة على الاستيعاب هي مظاهر جوهرية من مظاهر التفوق . وإذا ما نجحنا في تحقيق هذا فإننا نكون قد اهتممنا بالمتفوقين ورعيناهم حقاً .

د . تغريد القدسي :

إن الطفل سواء كان عادياً أو متوسطاً أو متفوقاً محتاج إلى رعاية من ولي الأمر ومن المعلمين . لا يكفي أن نكتشف التفوق في الاطفال بل لا بد أن يكون هناك المعلمون الذين يساعدون هؤلاء الاطفال على التعبير عن تفوقهم وتنمية هذا التفوق .

د . محمد عودة :

الشيء الجميل الذي لفت نظري في هذه الندوة ، انها قد تكون من ندوات الجمعية النادرة التي قربت الكثير من المفاهيم لأولياء الأمور ، وخاطبتهم بلغة مبسطة جداً ، باستثناء الجداول الاحصائية . لا بد أن نضع تأكيداً خاصاً على دور المدرسة في قيادة المتفوقين إلى تعظيم جوانب التفوق التي تبرز فيهم . كذلك فإن الصحف تنشر اسماء الطلبة الذين يتخرجون بمعدل أربع نقاط في مدارس

المقررات الثانوية فلماذا لا تقوم وزارة التعليم العالي بدراسة تتبعية طولانية لهؤلاء الطلاب لمعرفة كيف تتعامل مدارسنا مع الطلبة المتفوقين ؟ .

دعونا نأخذ المدرسة الثانوية ، وأنا انطلق من مدرسة أعرفها جيداً . يبدو لي أنهم يقومون بجمع الطلبة ذوي التحصيل العالي في صف واحد، ويطلقون عليه فصل المتفوقين . . كيف يتعاملون مع هذا الفصل ؟ وجدت أنهم يدرسون المنهج نفسه من قبل المدرسين أنفسهم بأساليب التقويم نفسها ولم أشعر اطلاقاً أن هذا الطالب المتفوق يكلف بواجبات مميزة لكي يحقق عنده القدح الذهني المطلوب . كما أنه ليس هناك أي اتصال بالامهات والآباء من أجل تحقيق رعاية أفضل للمتفوقين من خلال التعاون بين المدرسة وبينهم وهذا أمر لا جدال في أهميته وضرورته .

د. قاسم الصراف :

لي ملاحظتان أو اقتراحان في الواقع طالما أن هناك نية صادقة من قبل الدولة لتبني قضية التفوق العقلي . قرأت اليوم في الصحف المحلية أن وزارة التعليم العالي بصدد إعادة النظر في نظام البعثات الدراسية . . فلماذا لا نغتنم هذه المناسبة وأمثالها لاجراء دراسات على الطلبة المتقدمين لهذه البعوث من حيث هم طلبة متفوقون ونفحص فيهم وجوه التفوق وعوامله ، هل صحيح هؤلاء الطلبة الذين حصلوا في الثانوية العامة على نسبة عالية هم أنفسهم الذين حصلوا على هذا التفوق . . هل كانت درجاتهم من أولى ابتدائي إلى الرابع الثانوي هي درجات القمة أم لا ؟ .

ومع ذلك يمكن الرجوع إلى الملفات الصحية لنطبق الوضع الحالي في الكويت على المحكات الموجودة الآن ، ونرى الارتباط الموجود وبالطريقة هذه يمكن أن نفيد التفوق العقلي وابناءنا المتفوقين عقلياً ، وبالتالي نبحث الطلبة الذين عندهم صفات التفوق العقلي بجانب التفوق الدراسي من واقع دراسة ميدانية تؤسس علاقة التفوق العقلي بالتفوق الدراسي للمبعوثين إلى جامعات مشهورة في

العالم مثل جامعة هارفارد وغيرها، لأن هؤلاء سوف نستفيد منهم في المستقبل، وفي الوقت نفسه نسخر المواهب الموجودة عندهم . لقد وضعت الدراسة تأكيداً مميزاً على تقدم البنات على البنين في صفة ( القيادية ) . وهذا طبعاً تعصب يعتمد التقاليد والعادات الموجودة في هذا المجتمع ، لماذا لا نجري عملية تقويم للدراسة نفسها لضمان أن الذين يجيبون على هذه الاستبيانات هم الآباء وليس الأمهات . فالظاهر أن الذين أجابوا على الاستبيانات هم الأمهات ، ودائماً الأم تعطي البنت أكثر من الولد . وكذلك المدرسات .

د. حسن الإبراهيم :

نرجع إلى اشكالية التربية والتعليم عندنا ، ما مصدرها : الاطفال والآباء والأمهات ؟ أم المدرسون والسياسة التعليمية .

الذي يثير الانتباه أن هذه القضايا قضايا محورية ورئيسة ولا نزال نتحدث عنها كلنا . نتحدث عن الطفل المتفوق . عامة الاطفال والتلاميذ في المدارس بل الآباء والأمهات يهتمون بالتحصيل الدراسي العلمي . ولكن اهتمامنا يقف عند العلامات والدرجات . الأهم من هذا هو كيف نتعامل مع هؤلاء الاطفال في البيوت وفي المدارس ؟ .

ماذا نخلق عندهم من نزعات ؟ ماذا نربي عندهم من قدرات ؟ هذا لا ننظر إليه .

د. دلال البزري:

لن اتكلم من منطلق علم النفس لأنني لست من المختصين فيه . كنت قليلة الإيمان بمسألة المتفوقين عقلياً ، والآن سأكون عديمة الإيمان تماماً بهذه المسألة ، يعني زادني المحاضران وكذلك الأخوة المناقشون إيماناً بعدم إيماني بهذه المسألة .

أغلب الملاحظات التي أبدوها تؤكد ما أراه . السؤال الأساسي والمطروح مقياس الذكاء (IQ) الذي نحاول أن نطبقه في العالم العربي . على أية مقاييس

وبأية اعتبارات نحن نطبق هذا المقياس ؟ لا بد أن نأخذ مسافة بين العلوم التي ينتجها الغرب وبين الذي يطبق على عالمنا .

على الأقل إذا كانت عندنا قناعة بأن مقياس الذكاء هذا يتفق مع المعايير الفكرية والقيمية الموجودة في مجتمعنا ، فعلى الأقل نقربه ، ندرس ونضع مقياس ذكاء عربي يتلائم مع مجتمعنا العربي ، مع تراثه ، تقاليده ، تاريخه ، عاداته ، دينه . . إلخ .

الذي يناصرني في هذا القول علماء الانثروبلوجيا ، لقد ذهب هؤلاء إلى مناطق بدائية في العالم ، واشتغلوا على الـ(IQ) ، واكتشفوا أن هذا الـ(IQ) الذي يعملون به لا يمت بصلة إلى العمل الذي يعمله البدائيون من القبائل ، وبالتالي ليس قابلاً لأن يوسع عالمياً ، ويطبق على جميع المجتمعات وخاصة مجتمعاتنا العربية ، حيث التفاوت بيننا وبين المجتمعات المتقدمة صناعياً هو إلى حد لا نستطيع تصوره ، إذ يوجد هوة كبيرة تفصلنا عن المجتمعات المتقدمة . بناء على هذا هناك أكثر من سؤال يطرح حول مفهوم الاطفال ( الاطفال المتفوقون ) .

ما معنى الذكاء أخيراً ؟ ما الفرق بين الذكاء والموهبة ؟ ما الفرق بين الموهبة الفنية والمواهب الأخرى ؟ ما الفرق بين الذكاء وبين الروح القيادية سأكون أكثر دقة . ما الذي جعل عامل كهرباء بسيط غير متخصص مثل ( فيلسيا ) يقود بلده حسب ارادته ؟ ونحو التغيير الذي يريده هو ؟ هل ضروري أن يظهر التفوق مبكراً هنا ترد أكثر من ملاحظة ، وسأعطيكم مثلاً بسيطاً ( ريمو ) والذي هو أهم مؤسس للشعر الرمزي الغربي لم ينتج إلا قبل الإثنين والعشرين ، وبعدها أصبح مجنوناً . . ( ليناردو شاشا ) الذي هو أهم كاشف لمؤامرات ( المافيا ) بطريقة روائية فنية أدبية . . إلخ ، لم يكتب إلا ابتداء من الخامسة ولأربعين عاماً ، وقبل ذلك كان موظفاً بسيطاً يذهب إلى عمله في الصباح ويعود إلى بيته ظهراً ، ولم يعرف عنه أحد شيئاً . ومثل هذا يقال عن المرأة في المجتمع العربي . لماذا تظهر

عليها علامات التفوق وهي طفلة وصبية . . حتى إذا كبرت وتزوجت فقدت مظاهر التفوق والقدرة على القيادة واصبحت مخلوقاً تابعاً ؟ .

إن الغائب الأكبر عن هذين البحثين هو المجتمع . لقد أخذنا هؤلاء المتفوقين ووضعناهم كأنهم شيء، وقلنا نستثمرهم ونحقق مزيداً من التفوق. الذي يستغل المتفوقين قد يكون أقل ذكاء من المتفوقين أنفسهم ، فأين قياس المسألة ؟ .

د . حسن الإبراهيم :

الوقت سبقنا في الواقع ، والحديث في هذا الموضوع له شجون وهو حديث ممتع ، فأنا اقترح اعطاء المجال للأخ الباحث والأخت الباحثة لابداء آرائهم حول ملاحظات الأخوة الحضور .

د. فاطمة نذر :

قام الآباء والأمهات بملء هذه الاستمارة ، ولقد كان الأب يسهل للأم الكشف على هذه الخصائص السلوكية .

أطفالنا ليس هم المتفوقون فقط. وهذا يؤكد لنا أن التفوق والذكاء يمكن ان يولد مع الطفل ، فيميزه بهذه القدرات وهذه الخصائص السلوكية . المهم التنشئة والتربية وملاحظة هذه السلوكيات وتنميتها . اعتقد أن أي طفل عادي يفترض أن تتعامل معه ـ الأسرة والمدرسة ـ بهذه الاساليب . المتفوق يتميز عن الآخرين ، عنده استيعاب، عنده قدرة، عنده بعد نظر، وعنده طريقة للتعبير، وطريقة للكلام تختلف عن الطفل العادي . فلماذا لا نتعامل معه بما يقابل خصائصه هذه .

د. رجاء إبو علام :

سأحاول أن أجيب إجابة سريعة على بعض التساؤلات ، بالنسبة للدكتور أحمد ، انا مع استخدام المحكات ولكن أي محكات ؟ المحكات متعددة ، ومهما

كان تعددها فلا بد من أن تفقد بعض الاشخاص . الذي يهمنا هو أن تكون العملية مستمرة بحيث أن الطفل المتفوق الذي يصعب اكتشافه في سن صغيرة يمكن أن نكتشفه عندما يكبر إذا كان متفوقاً حقاً .

إذا عولج الطفل العاجز عن التعلم يمكن أن يدخل في دائرة المتفوقين . العملية مرنة جداً وليست جامدة باكتشاف مجموعة في سن معين وتكون هذه فئة المتفوقين .

بالنسبة للذكاء أخذنا معيار (١٢٥) حتى نوسع الدائرة ، وبالنسبة للاكتشاف المبكر ، فنحن نستخدمه كمرشد ، نقول للأب حاول أن تكتشف الابن المتفوق وبعد ذلك اعرضه على المختصين ليؤكدوا ذلك ، وليس هذا هو الفيصل النهائي في الكشف ، وإنما يعطي احتمالات مهمة . في مكتب المتفوقين ابتدأنا باعداد تصاميم تجارب وستطبق بعد عطلة نصف السنة على طلبة الصفين الثالث والرابع الابتدائيين . نرجو أن تستمر هذه التجار وتحقق المرجو من أهدافها .

بالنسبة لاختبارات الذكاء نحن لا ننقل اختبارات الذكاء . لو اخذنا مثلاً مقياس ويكسلر فالذي عملناه أننا أخذنا طريقته في الاختبار أما الاسئلة ذاتها فكلها من الكويت وحول الثقافة الكويتية .

لقد مّر الاختبار بحوالي خمس سنوات من التجريب حتى نطمئن أنه فعلاً يطابق المجتمع الكويتي ، توجد اختبارات أخرى معمولة ومكتوبة للمجتمع الكويتي أننا لا ننقل اختبارات الذكاء نقلاً .

نحن نعتمد على اختبارات مقننة للكويت ونابعة من الكويت حتى لو كنا نأخذ النظرية نفسها من الغرب . نحن اطلقنا عليه اسم ( مقياس ويكسلر الكويت لذكاء الاطفال ) . وإذا دققنا النظر نجد أن الاسئلة تتصل بالمجتمع الكويتي .

د. حسن الإبراهيم :

شكراً للدكتور رجاء ، اشكركم جميعاً على مشاركتكم معنا في هذا الموضوع المهم جداً ، وأنا شخصياً ليس عندي حساسية تجاه الغرب أو الشرق ، أنا مفتوح على الغرب وعلى الشرق نأخذ الافضل منهما .

# الندوة الرابعة

## تغذية الطفل في الخليج العربي
## مضامينها النمائية والاجتماعية والتربوية

الدكتور عبد الرحمن مصيقر
الدكتور فيصل الخفش

# الندوة الرابعة

**موضوع الندوة : تغذية الطفل في الخليج العربي،مضامينها النمائية والاجتماعية والتربوية .**

رئيس الجلسة : الدكتور حسن الإبراهيم .

المتحدثان الرئيسيان :

د. عبد الرحمن مصيقر

د. فيصل الخفش

المشاركون :

١ ـ الدكتور يعقوب الحجي .

٢ ـ الدكتور محمد عودة .

٣ ـ الدكتور بدر العمر .

٤ ـ الدكتور قاسم الصراف .

٥ ـ الدكتورة كافية رمضان .

٦ ـ الدكتورة فوزية الهادي .

٧ ـ السيدة حصة الشاهين .

٨ ـ السيدة فاتن البدر .

٩ ـ الآنسة رلي بركة .

١٠ ـ الدكتورة دلال البزري .

١١ ـ الدكتورة تغريد القدسي .

١٢ ـ السيدة صبرية الوكيل .

١٣ ـ السيدة سهام الدباغ .

١٤ ـ السيدة زكية مرتضى كعباشي .

# تغذية الطفل في الخليج العربي
# ( مضامينها الاجتماعية والتربوية )

د. عبد الرحمن مصيقر
رئيس قسم التغذية
وزارة الصحة ـ البحرين

هذا النص من كلام الدكتور عبد الرحمن مصيقر مقتطف من بحثه الكبير الذي قدمه في الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية حول مشكلة ( تغذية الطفل في الخليج العربي مضامينها الاجتماعية والتربوية ) . لقد نشرت الجمعية هذا البحث كاملاً ضمن مشروع مبارك العبد الله المبارك الصباح للدراسات الموسمية ( الدراسة رقم ١٥ ) فلم يعد هناك ما يبرر اعادة نشر البحث كاملاً في هذا الكتاب السنوي وتقرر الاكتفاء بهذا القسم منه مؤشراً على محتواه وتوجهاته العامة. ومن أراد الاطلاع على البحث كله فسيجده في الدراسة المشار إليها أعلاه .

تعتبر التغذية السليمة احدى الركائز المهمة في التنمية الصحية والعقلية للأطفال، فعندما يولد الطفل يكون أول ارتباط له بالبيئة المحيطة به هو الغذاء وكلما كانت تغذية الطفل جيدة كان النمو العقلي والجسدي جيداً. ولقد أوضحت الدراسات(١) أن الطفل المصاب بسوء التغذية يكون قليل القدرة على التخيل وسريع التأثر والانفعال، ويشعر دائماً بعدم الأمن والاستقرار ويرجع ذلك إلى ضعفه وعجزه. كما أن النطق والكلام يبدآن عند هذا الطفل بشكل متأخر وبالتالي فإن اتصاله مع الآخرين محدود وتفاعله مع البيئة المحيطة به ضعيف وقد يؤثر ذلك على تحصيله الدراسي وطاقته الانتاجية.

وبالنسبة للدول العربية الخليجية فبالرغم من تمتعها بالعديد من المزايا مثل ارتفاع المستوى الاقتصادي وقلة الاصابة بالأمراض المعدية وارتفاع مستوى الرعاية الصحية الوقائية والعلاجية ، إلا أن الاصابة بسوء التغذية بين الاطفال ما زالت مرتفعة ، وللأسف فإن الدراسات التي تتطرق إلى الاسباب والعوامل المؤثرة في الاصابة بسوء التغذية في منطقة الخليج ما زالت قليلة ، وهذا راجع بصفة عامة إلى النقص الشديد الذي تعاني منه دول المنطقة في توفر الاخصائيين التغذويين وإلى قلة الاهتمام الموجه إلى أمراض التغذية في البرامج الصحية .

وفي هذه الدراسة نحاول أن نلقي الضوء على الوضع التغذوي للأطفال في دول الخليج العربية مبتدئين بالوضع التغذوي للأمهات الحوامل والمراضع وذلك لأنهن الاساس الذي يجب أن تبدأ به معظم البرامج الصحية التي تستهدف تحسين صحة وتغذية الطفل ، فالأم التي تتمتع بحالة صحية وتغذوية جيدة تنجب اطفالاً أصحاء. والعلاقة بين صحة الأم وتغذيتها من جانب ونمو الجنين وتطوره من جانب آخر علاقة وطيدة أكدتها العديد من الدراسات.

**تغذية الأم الحامل في دول الخليج العربية :**

يعتبر الحمل أشد الحالات الفسيولوجية تأثيراً على الجسم ، لذا تحتاج الأم الحامل إلى مقادير إضافية من العناصر الغذائية للمحافظة على صحة الجنين

وأنسجة المشيمة وما يصحب ذلك من زيادة في وزن الجسم . والتغذية السيئة قبل الحمل وأثنائه قد تتسبب في ضعف نمو الجنين داخل الرحم بالإضافة إلى ضعف في قدرة الأم على تخزين الدهون الكافية لانتاج القدر اللازم من الحليب فيما بعد . أما المرأة الحسنة التغذية فتكون الزيادة في كمية الدهون المخزونة في الجسم حوالي ٤ كيلوجرامات وهو ما يعادل مخزون ٣٥٠٠٠ كيلو سعر حراري وهذا يكفي للرضاعة لمدة أربع أشهر بواقع ٣٠٠ كيلو سعر حراري يومياً تقريباً ولذا فإن الأم تدخل الأسابيع الأخيرة من الحمل بمخزون من الطاقة يكفي لتعويض أي حرمان مفاجيء من الطعام(٢).

وهناك عدة عوامل اجتماعية وصحية تؤثر على تغذية الأم الحامل في دول المنطقة نوجزها كالتالي :

- **الزواج المبكر** : أوضحت الدراسات التي اجريت في بعض مناطق دول الخليج العربية أن نسبة كبيرة من النساء يتزوجن في سن مبكر ، ففي احدى المناطق بالمملكة العربية السعودية تبين أن ٥٧٪ من النساء يتزوجن قبل سن السادسة عشرة ، وفي دراسة حديثة أخرى في الرياض وجد أن متوسط سن الزواج كان ١٨ سنة وإن ١٤٪ من الأمهات قد تزوجن وهن أقل من ١٥ سنة من العمر . وفي سلطنة عمان وجد مصيقر أن متوسط سن الزواج كان ١٥٫٦ سنة وكان أقل متوسط لعمر الزواج في منطقة صحار ( ١٥ سنة ) وأعلى متوسط في منطقة مسقط ( ١٦٫٦ سنة ) . وتشير الاحصائيات أن هناك نسبة غير قليلة تتزوج في سن مبكر في كل من قطر والبحرين والكويت ودولة الامارات (٣) .

وترجع خطورة الزواج المبكر إلى احتمال ولادة اطفال ناقصي الوزن وهؤلاء الاطفال يكونون عرضة للاصابة بأمراض سوء التغذية والأمراض المعدية . وفي دراسة عن العوامل المؤثرة على أوزان المواليد في البحرين وجد أن الأم صغيرة السن تكون أكثر استعداداً لولادة اطفال ناقصي الوزن حيث تبين أن ١١٪ من الأمهات اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين ١٥ إلى ١٩ سنة قد انجبن اطفالاً ناقصي

الوزن ( اقل من ٥ر٢ كيلو جرام ) مقارنة بـ ٧٪ عند الأمهات اللآتي كانت اعمارهن تتراوح ما بين ٢٠ إلى ٢٩ سنة ( جدول رقم ١ ) . وفي الكويت وجدت ليلى الدوسري وزملاؤها أن ٥ر٣١٪ من الاطفال المصابين بالاضطرابات الهضمية (Gastrcentritis) كانوا ناقصي الوزن عند الولادة مقارنة بـ ١١٪ و ١٧٪ عن بقية المجاميع الوزنية من الاطفال (٤) .

ومن العوامل الأخرى هي أن الأم التي تتزوج في سن مبكرة عادة ما تكون في وضع صحي غير قادر على تحمل الحمل والولادة إذ تكون في مرحلة النمو وغير مكتملة النضج الفسيولوجي وتحتاج إلى كميات أكبر من العناصر الغذائية مما يؤثر على صحة الجنين .

جدول رقم (١)
توزيع المواليد حسب الوزن عند الولادة وعمر الأم في البحرين .

| الوزن عند الولادة (بالجرام) | عمر الأم (بالسنوات) | | | | | | المجموع | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | ١٥-١٩ | | ٢٠-٣٩ | | ٤٠- | | | |
| | العدد | ٪ | العدد | ٪ | العدد | ٪ | العدد | ٪ |
| أقل من ٢٥٠٠ | ٦٩ | ١١ر٠ | ٤٠٧ | ٧ر٠ | ٢٥ | ٦ر٨ | ٥٠١ | ٧ر٤ |
| ٢٥٠٠-٣٥٠٠ | ٤٥٦ | ٧٢ر٦ | ٣٨٦٣ | ٦٦ر٧ | ٢٢٩ | ٦١ر٧ | ٤٥٤٨ | ٦٦ر٩ |
| أكثر من ٣٥٠٠ | ١٠٣ | ١٦ر٤ | ١٥٢٤ | ٢٦ر٣ | ١١٧ | ٣١ر٥ | ١٧٤٤ | ٢٥ر٧ |
| المجموع | ٦٢٨ | ١٠٠ر٠ | ٥٧٩٤ | ١٠٠ر٠ | ٣٧١ | ١٠٠ر٠ | ٦٧٩٣ | ١٠٠ر٠ |

المصدر : Musaiger A.O. Factors Associated With Birth-Weight In Bahrain. J.Trop Med. Hyg. 88:31-36 (1985).

٢ ـ العادات والاعتقادات الغذائية المرتبطة بتناول الغذاء اثناء الحمل : هناك العديد من العادات والاعتقادات الاجتماعية الخاطئة التي تؤثر على اصابة الأم واطفالها بسوء التغذية . وهذه العادات عادة ما تكون موروثة من جيل إلى آخر

مما يجعلها مـترّسخة عنـد الكثير من الأمهـات بالـرغم من ارتفاع مستـوى تعليمهن . ومن ضمن هـذه الاعتقـادات الاعتقـاد السـائـد أن اقـراص الفيتامينات والاملاح المعدنية التي تعطي لـلأم الحامـل في المراكـز الصحية وعيادات رعاية الأمومة تتسبب في كبر حجم الجنين وبالتالي عسر في الولادة لذا لا تتناول بعض الأمهات هذه الاقراص ، وهذا بدوره يؤثر على صحة وتغذية الأم الحامل وجنينها بخاصة وإن نسبة كبيرة من الأمهات الحوامل في المنطقة يعانين من نقص في بعض الفيتامينات والاملاح المعدنية لا سيما عنصر الحديد .

وتقوم بعض الأمهات بتلقليل كمية الطعام المتنـاولة في فـترة الحمل اعتقـاداً بـأن زيادة تنـاول الطعـام في هذه الفـترة يـزيـد من حجم الجنـين ويؤدي إلى عسر الولادة[٥]، وهذا الاعتقـاد قد يكـون مصيباً في بعض الحـالات ولكنه خـاطىء في حالات كثيرة ذلك أن الأم المصابـة بسوء التغـذية والسمينـة قد تحتـاج إلى كميات أقل من الطاقة الحرارية أثناء الحمل عند مقارنتها بالأم النحيفة. وفي كـل الأحوال فإن الزيادة في بعض الأطعمة مثل الخضراوات والفواكه الطازجة وكذلـك اللحوم أمر محبب أثناء الحمل لتغذية الأم على أكمل وجه.

ومن العوامل الهامة والمؤثرة على حصول الأم الحامل على الغذاء الكافي هي عادة تقسيم الوجبة إلى قسمين قسم للذكور وآخر للأناث وهي منتشرة بشكل أوسع في المناطق النائية والقروية في دول المنطقة . وهذه العادة قد تكون ضارة صحياً إذا لم تراعى فيها الكميات المناسبة من الأغذية التي تقدم للأناث حيث أن بعض الأسر تقدم الطعام الافضل نوعاً وكماً إلى الذكور مما يحرم الأناث من بعض المقررات الغذائية الهامة وخاصة عندما تكون في أحدى المراحـل الفسيولـوجية الحساسة كالحمل والرضاعة والبلوغ . وفي البحرين وجد مصيقر أن ٣ر١١٪ من الأسر في الحضر و٢٣٪ في القرى تقسم الوجبة إلى قسمين قسم للذكـور وآخر للأناث . وفي دراسة أخرى في سلطنة عمان تبـين أن ٢٣٪ من الأسر تقسم

الوجبة إلى قسمين للذكور وللأناث وإن ٣ر٧٪ تعطي الافضلية لرب الأسرة في تناول الغذاء ثم بقية أفراد الأسرة ( جدول رقم ٢ ) .

جدول رقم (٢)

طريقة توزيع الطعام بين أفراد الأسرة في البحرين وسلطنة عمان .

| طريقة توزيع الطعام | البحرين(١) | سلطنة عمان(٢) |
|---|---|---|
| الجميع مع بعض | ٧١ر٦ | ٥٩ر٦ |
| الذكور وحدهم والاناث وحدهن | ١٣ر٢ | ٢٣ر٢ |
| الزوجان وحدهما والباقون وحدهم | ٥ر٨ | ٣ر٢ |
| كل على انفراد | ٤ر٩ | ٦ر٤ |
| الأب أولاً ثم الباقون | ٤ر٥ | ٧ر٣ |
| المجموع | ١٠٠ | ١٠٠ |
| العدد الكلي | (٣١٠) | (٧٠٨) |

٣ ـ **تعدد الولادات** : تدل جميع الدراسات(٦) على ان خصوبة المرأة الخليجية عالية وهي تتراوح ما بين ٤ر٦ إلى ١ر٧ مولوداً . ويؤدي تعدد الولادات وعدم اعطاء مسافة كافية بين ولادتين متتاليتين إلى خفض نسبة الهيموجلوبين في الدم وذلك لأن كثرة الولادات المتقاربة تساهم في نفاد عنصر الحديد المخزون في الجسم بخاصة عندما لا تتناول الأم أغذية غنية بالحديد أو تأخذ أقراص الحديد والفيتامينات . ومن جانب آخر نجد أن تقارب المسافة بين الولادات

---

١ ـ عبد الرحمن مصيقر ، العادات الغذائية في البحرين ، وزارة الصحة ، البحرين ( ١٩٨١ ) .

٢ ـ A.O. Musager, Rapid Assessment Of Food Habits Of Women and Children in Oman. UNICEF

يؤدي إلى ولادة مواليد ناقصي الوزن ( أقل من ٢ر٥ كيلوجرام ) . وفي البحرين وجد مصيقر أن استعداد الأم لولادة اطفال ناقصي الوزن يقل بزيادة الفترة بين الولادات فقد كانت نسبة الاطفال ناقصي الوزن ٨٪ عندما تكون الفترة بين الولادتين ٩ إلى ١٢ شهراً وتنخفض إلى ٦٪ للفترة الأكثر من ذلك .

٤ ـ **الأمية ونقص الوعي** : بالرغم من أن الأمية لا تعني بالضرورة نقص الوعي الصحي والتغذوي إلا أن هذين العاملين مرتبطان مع بعضهما بعضا في الكثير من الحالات . وقد أوضحت الدراسة التي قام بها مصيقر حول العادات الغذائية في البحرين أنه كلما ارتفع مستوى تعليم الأم ازداد تناولها للفواكه أثناء فترة الحمل كما وجد أن الأم المتعلمة أكثر ميلاً لتغيير نمط غذاءها في فترة الحمل مقارنة بالأم ذات المستوى التعليمي المنخفض والمتوسط (٧) .

٥ ـ **انتشار مرض فقر الدم الناتج عن نقص الحديد** : يعتبر هذا المرض من أهم أمراض سوء التغذية التي تصاب بها الأم الحامل في المنطقة . وتشير الدراسات أن نسبة الإصابة بفقر الدم عند الأمهات الحوامل تتراوح ما بين ٣١٪ في الكويت إلى ٥٢٪ في كل من البحرين وسلطنة عمان (٨). وتعتبر هذه النسب كبيرة لو وضعنا في الاعتبار المستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسر في دول الخليج العربية. وهناك عدة عوامل ساهمت في الاصابة بهذا المرض أهمها :

أ ـ تناول أغذية فقيرة في محتواها من عنصر الحديد فلقد تبين أن استهلاك الأم الحامل لعنصر الحديد وبعض الفيتامينات أثناء فترة الحمل أقل من الموصى به .

ب ـ كثرة تناول الأغذية التي تهبط من امتصاص الحديد مثل الشاي والقهوة والحبوب والبقوليات .

جـ ـ قلة تناول الأغذية الغنية بفيتامين (ج) والذي يساعد على زيادة امتصاص عنصر الحديد في الجسم .

د ـ بعض الممارسات الخاطئة في اعداد وتحضير الطعام والتي تؤدي إلى فقدان بعض العناصر الغذائية الهامة مثل كثرة غسل اللحوم الحمراء بالماء الساخن مما يساعد في ذوبان العديد من العناصر الذائبة في الماء .

## تغذية الأم المرضع :

تحتاج الأم المرضع إلى مقادير غذائية أعلى من الأم الحامل لتكفي احتياجات الوليد الغذائية بالإضافة إلى احتياجاتها ، ويقدر المتوسط اليومي لحليب الأم بحوالي ٨٥٠سم$^{3}$ تفقد الأم بسببه طاقة قدرها ٦٠٠ كيلو سعرة حرارية وإذا كانت كفاءة انتاج الحليب حوالي ٨٠٪ فإن ذلك يعني احتياج الأم إلى ٧٥٠سعره حرارية من الأطعمة كي توفي احتياج طفلها من الحليب(٩) .

وعندما يكون الغذاء المتناول أثناء الحمل فقيراً فإن الزيادة في وزن الأم ستكون قليلة وعلى ذلك تبدأ الأم الفقيرة التغذية بمخزون غير كاف من السعرات الحرارية ، وبالرغم من ذلك فإن كمية الحليب تكون كافية نسبياً ولكن تكلفة الطاقة والغذاء التي تنطوي عليها الرضاعة تسحب من انسجة جسم الأم ومع استمرار الرضاعة نجد أن الأم تفقد الوزن خلال الأشهر الستة الأولى وبعد ذلك لا يحدث تغيير ملحوظ في وزنها .

وهناك بعض الاعتقادات الغذائية الخاطئة المنتشرة في المجتمع الخليجي والتي بدورها تؤثر على صحة الأم المرضع بخاصة خلال فترة النفاس ومن هذه الاعتقادات عدم تناول الماء خلال الأيام الأولى بعد الولادة وهذا اعتقاد ليس له أساس من الصحة فكثرة تناول السوائل أمر محبب للأم المرضع وذلك لأنه يساعد على ادرار اللبن ، كما تتناول بعض الأمهات الجلاب أو ( الحريروه ) بعد الولادة وهذا الغذاء فقير في قيمته الغذائية بخاصة في نوعية البروتين النباتي الاقل كفاءة من البروتين الحيواني .

وتوضح الدراسة التي قام بها مصيقر عن العادات الغذائية في البحرين أن هناك نسبة كبيرة من الأمهات لا يغيرن عاداتهن الغذائية أثناء فترة الرضاعة ومعظم هؤلاء من ذوات التعليم المنخفض . وترتفع هذه النسبة في المناطق القروية فحوالي ٧٢٪ من الأمهات ذوات التعليم المنخفض لم يغيرن عاداتهن الغذائية أثناء فترة الرضاعة بينما تنخفض النسبة إلى ٥٧٪ في المناطق الحضرية (١٠) .

# تغذية الطفل في الخليج العربي
# «مضامينها النمائية»

اعداد
د. فيصل عفيف الخفش
استاذ مشارك بطب الاطفال
كلية الطب ـ جامعة الكويت

# تغذية الطفل في الخليج العربي . مضامينها النمائية

د. فيصل عفيف الخفش

## مقدمة

تظهر علاقة التغذية بالنمو بشكل أكثر وضوحاً ، إذا درست نواحي النقص في المكونات الغذائية ، أو الممارسات الخاطئة في عملية التغذية ، أو في كليهما . ان تأثير هذه الممارسات ، سلباً أو إيجاباً ، يختلف باختلاف عمر الطفل : فتأثيرها عند عمر الستة أشهر يختلف اختلافاً كبيراً عنه عند عمر ستة أعوام . من هنا ظهر مفهوم ما يسمى بالفترات الحرجة CRITICAL PERIODS في تطور الطفل . وقد اخترت أن تقتصر هذه المراجعة لعدة بحوث ، على أكثر هذه الفترات أهمية في حياة الطفل : السنتين الأوليين من العمر .

**الفترة الحرجة لنمو الدماغ** **CRITICAL PERIOD FOR BRAIN GROWTH**

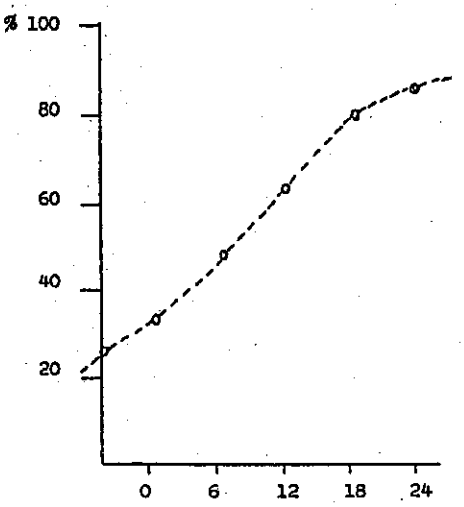


شكل (١) : النسبة المئوية لنمو الدماغ حسب العمر بالشهور .

ينمو الدماغ البشري باقصى سرعة ممكنه خلال الشهور الثلاثة الاخيره من الحمل، والثماني عشره شهرا الاولى بعد الولاده. ويظهر من شكل (١) أن ٨٥ – ٩٠ ٪ من نمو الدماغ يتم قبل أن يكمل الطفل عامين من العمر .

من البديهي اذا أن نتوقع أن أي مؤثر غذائي سلبي ، قد يؤثر سلبا على نمو الدماغ ، أو يترك أثرا مدى الحياة .

أود أن أشير هنا إلى احدى ندوات الجمعية السابقة، بخصوص علاقة التغذية بالتطور العقلي ( مصدر١ ) ، وقد علقت وقتها على هذه النقطة بايجاز ، وأود أن استعرضها الآن ببعض التفصيل . ففي دراسة عن حالات التجفاف المصحوب بارتفاع مستوى الصوديوم HYPERNATRAEMIA (مصدر ٢) ، وجدنا أن اكثر الحالات حصلت عند أطفال تحت عمر الستة أشهر (شكل ٢) ، حيث يشار في الشكل إلى هذه الحالات بخط متصل (HD) مقارنة بحالات النزلات المعوية (GE) والمشار إليها بخط متقطع .

كما أن اللافت للنظر أن هؤلاء الصغار كان مستوى الصوديوم عندهم أكثر ارتفاعاً من الاطفال الكبار (شكل ٣) . أعطى هذه التفصيلات .

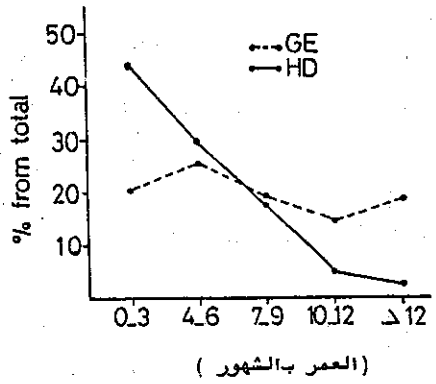


شكل ٢ :- النسبة المئوية لازدياد الصوديوم بالدم لدى الاطفال عند مختلف الاعمار ( مصدر ٢ )

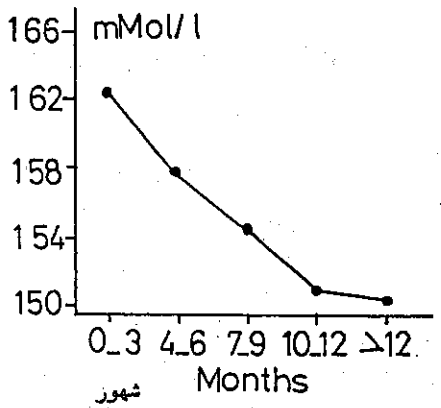


شكل ٣ :- نسبة الصوديوم بالدم لدى الاطفال عند مختلف الاعمار (مصدر ٢ )

لأن هذا الاضطراب الذي كان شائعاً حتى أواخر السبعينات في هذا البلد ، يؤدي إلى تلف دائم في الدماغ في نسبة تتراوح بين ١٠ ـ ٢٠٪ من المصابين به ، ولا بين الاثر الشديد لهذا الاضطراب على دماغ ينمو بأقصى سرعة في هذا العمر كما هو مبين بالشكل (١) . تجدر الإشارة هنا أن نسبة المصابين بهذا الاضطراب في الكويت في انخفاض مستمر: إذ كانت ١٥٪ في أواخر السبعينات ، انخفضت إلى ٧٪ في أوائل الثمانينات ( مصدر ٢ ) ثم إلى أقل من

٣٪ في منتصف الثمانينات ( مصدر ٣ ) . كما انخفضت حالات تلف الدماغ من ٦٪ (مصدر ٢). إلى صفر بالمئة ( مصدر ٣ ) . أورد هذه الارقام لا بقصد التفاخر ، بل لتبيان أن دراسة مشكلة ما بشكل علمي ، وطرح الحلول لها ، لا بد وأن تؤتي ثمارها بالتقليل من استفحال هذه المشكلة ، والتخفيف من أضرارها .

إن النمو المثالي للدماغ يتطلب أكثر من مجرد توفير عدد معين من السعرات الحرارية . فازدياد حجم الدماغ ينتج بصورة رئيسية عن اكتساء الالياف العصبية بطبقة الميلين «Myelin Sheeth» وتحتاج هذه العملية الحيوية إلى عدد من الاحماض الدهنية غير المشبعة Poly-Unsaturated Fatty acids وخصوصاً حمض لينولييك Lenoleic acid . ونظرة سريعة إلى القائمة رقم (١) تكفي لاقناعنا بماهية الغذاء المثالي في فترة النمو القصوى للدماغ ، أول عشرين شهراً : تركيز هذه الحمض في حليب الأم عشرة أضعافه في حليب القر . ورغم أن الابحاث في الدول المتقدمة تحدد ضرورة الارضاع الطبيعي لثلاثة أشهر فقط، إلا أن أبحاث الارض كلها لا تستطيع أن تقنعني ، كطبيب أطفال يعمل في دولة نامية ، بعكس ما يقوله الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾ . واعتقد أنه من البديهي أن ندرك المعجزة القرآنية في هذا التحديد لفترة غذاء مثالي هو حليب الأم ، تتوافق تماماً مع فترة نمو بالغ السرعة للدماغ ، وفترة الاكتساء التدريجي للالياف العصبية مع توفر المواد الأساسية لذلك الاكتساء.

| قائمة رقم ١ من مصدر ٤ | حليب الأم | حليب القر |
|---|---|---|
| أحماض مشبعة | ٤٠٪ | ٦٠٪ |
| أحماض غير مشبعة :ـ | ٦٠٪ | ٤٠٪ |
| ١ ـ حمض الاولييك | ٤٠٪ | ٣٠٪ |
| ٢ ـ حمض لينولييك | ١٠٪ | ١٪ |
| ٣ ـ أحماض أخرى | ١٠٪ | ٩٪ |

سأعود وأناقش الموضوع من وجهة النمو الجسماني . ولكنني قبل أن اختتم هـذه الفقرة عن النمـو الـدمـاغي، أو أن أشـير إلى أن الكـويت تعيش الآن عصر التحكم في المشاكل الطبية للدول النامية . من هنا ظهرت إلى السطح مشاكل جديدة ، أهمها الامراض الوراثية ، وأخص منها ما يهمنا في هذا المجال : وهي **أمـراض التمثيـل الغـذائي** INBORN ERRORS OF METABOLISM هـذه الأمراض تنتج عن نقص في الخمائر ( الانزيمات ENZYMES ) ، مما ينتج عنها حالات قصور في النمو الجسماني والدماغي وحالات تخلف عقلي . ورغم وجود بعض الابحاث المنشورة في هذا المجال ، إلا أنه ليس هنالك في الكويت مسح شامل لجميع المواليد ، لتشخيص هذه الحـالات في وقت مبكر . وفي رأيي أن الكويت يجب أن تبدأ ذلك ، بعد أن ثبتت اقتصادية هذا المسح في جميع الدول التي تمارسه الآن . ولعلنا أجدر من غيرنا بـالقيام بـذلك ، نـظراً لشيوع هـذه الأمراض الوراثية ، في مجتمع تتعدى نسبة زواج الاقارب فيه الاربعين بالمئة من حالات الزواج .

## النمو الجسماني PHYSICAL GROWTH

هنالك فترتان حرجتان للنمو الجسماني عند الاطفال : الأولى خلال السنة الأولى من العمر ، والثانية عند مرحلة البلوغ . نستطيع أن نتتبع مـراحل نمـو الطفل في الوزن على الشكل رقم ٤ ( الصفحة القادمة ) . فعند الولادة ( العمر صفر ) يكون معدل وزن الوليد ٣ر٤ كغم ، يصبح وزنه عند عمر سنة عشرة كيلو غـرامات : أي أن الـطفل يضـاعف وزنه ثـلاث مـرات خـلال السنـة الأولى (٣٠٠٪) ، وهذه النسبة في سرعة النمو هي أعلى نسبة في أي مرحلة من مراحل الحياة . أما الطول فانه يزيد من ٥٠ سنتيمترا عند الولادة ، إلى ٧٥ سم عند نهاية السنة الأولى (٥٠٪) .

وإذا تتبعنا الخط الداكن في المنحنى شكل ٤ ، والمشار إليه ب ٥٠٪ كدلالة على الوزن الوسطى ، لوجدنا أن وزن الطفل يزداد من ١٠ إلى ١٢ كغم فقط خلال السنة الثـانية من العمـر (٢٠٪ ) ، وتستمر الـزيادة البـطيئة حتى عمـر

العاشرة ، حين يبدأ النمو بالتسارع مرة أخرى : من حوالي ٣٠ كيلو جراما إلى حوالي ٦٠ عند عمر ١٥ ـ ١٦ عاماً . يظهر أن الطفل يضاعف وزنه مرة واحدة خلال خمس سنين، هي فترة اكتمال البلوغ . أي أن معدل الزيادة السنوية في هذه الفترة الحرجة الثانية هي ٢٠ ـ ٢٥٪ وهي رغم أهميتها لا تقارن بمدى التسارع في النمو خلال السنتين الأولى والثانية من العمر .

يظهر بوضوح مما سبق ، أن السنة الأولى من العمر تتطلب اهتماماً خاصاً : سواء من الناحيتين الكمية والنوعية ، أو من ناحية الممارسات الغذائية ، من هذا المنطلق ، فأنني سأتناول الحالة الغذائية لاطفال الكويت خلال العامين الأولين من العمر ، وعلاقة هذه الحالة ببعض الممارسات الغذائية . وخصوصاً في عملية الأرضاع ، وإضافة الاغذية الصلبة وخصوصاً منتجات الحبوب Cereals ، وأثر هذه الممارسات ، سلباً أو ايجاباً ، في الحالة الغذائية لاطفالنا .

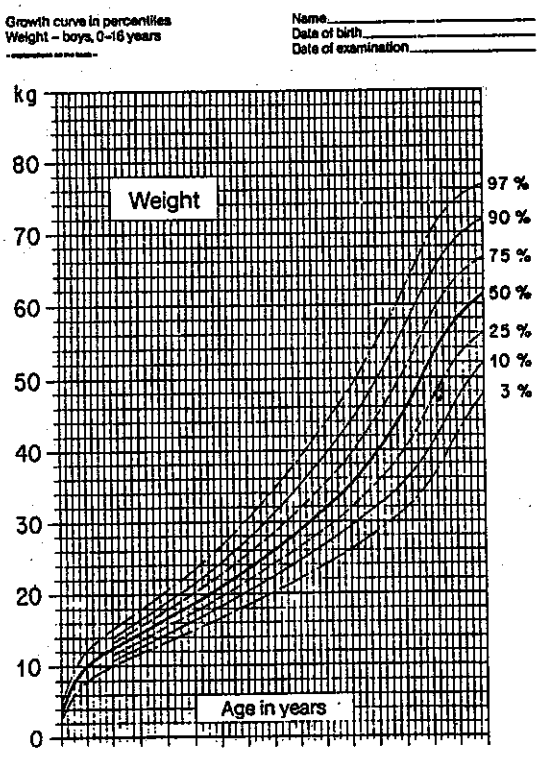


شكل (٤) : منحنى النمو الطبيعي لوزن الاطفال .

## الحالة الغذائية للاطفال دون سن الثانية :

## NUTRITIONAL STATUS OF CHILDREN UNDER TWO:

أظهرت بعض الدراسات المنشورة من خلال عملي بالكويت ، أن هنالك نسبة لا يستهان بها من الاطفال دون الثانية ، يعانون من درجات متفاوتة من نقص التغذية . ففي دراسة أجريت في مطلع الثمانينات ( مصدر ٥ ) في الفروانية، على أطفال مصابين بنزلات معوية، وجدنا أن وزن ٤٨ بالمئة منهم يقع تحت أدنى خط من خطوط منحنى النمو الطبيعي المبين في شكل ٤ . وقد انخفضت هذه النسبة إلى حوالي العشرين بالمئة في دراسة نشرت حديثاً أجريناها على نفس المرض ، في منطقة مبارك الصحية ( مصدر ٦ ) .

من الطبيعي أن لا تعكس هذه النسب ، الحالة العامة للأطفال بالكويت ، فهي بلا شك ، أفضل من ذلك بكثير . ومن رأيي أن هنالك حاجة ماسة لدراسات على مستوى الأمة ككل ، للتعرف على النسبة الحقيقية لسوء التغذية بين الاطفال عامة . إلا أننا لا نستطيع اغفال حقيقة أن النزلات المعوية شائعة ، بحيث أن أيا من المستشفيات الستة ، يدخل سنوياً أكثر من ألف حالة من هذا المرض ( مصدر ٣ ، مصدر ٧ ) .

أي أن حوالي ١٠ ـ ١٥٪ من المواليد في الكويت يدخلون المستشفى للعلاج من هذا المرض .

أود أن اشير إلى دراسة قيمة قام بها أحد الزملاء الكويتيين ضمن رسالة للدكتوراه ، عن المفاهيم والممارسات وأثرها في النزلات المعوية والناحية الغذائية لاطفال ما دون الثانية (مصدر٨). ورغم أن الدراسة قيد الاعداد ، إلا أن هذا الزميل زودني مشكوراً ببعض المعلومات القيمة في هذا المجال ، حيث كان لي دور الناصح في هذه الدراسة ، والتي كان يستعين خلالها بما اكتسبناه من معلومات من خلال دراساتنا السابقة .

قارن الزميل بين الحالة الغذائية في ٢١٥ طفلاً مصاباً بنزلات غذائية و١٠٠ طفل حضروا للكشف الدوري قبل التطعيم . أورد بعضاً من هذه المعلومات في القائمة رقم (٢) .

| الحالة الغذائية | (نسبة الوزن إلى) (الوزن الوسطى) | نزلات معوية | غير مرضى |
|---|---|---|---|
| ١ ـ سوء تغذية شديد | (أقل من ٧٠٪) | ٨٪ | ٢٪ |
| ٢ ـ سوء تغذية متوسط | (٧٠ـ٧٩٪) | ١٥٪ | ٣٪ |
| ٣ ـ سوء تغذية خفيف | (٨٠ـ٨٩٪) | ٢٦٪ | ١٢٪ |
| ٤ ـ حالة غذائية عادية | (٩٠ـ١١٠٪) | ٤٢٪ | ٧٥٪ |
| ٥ ـ سمنة | (اكثر من ١١٠٪) | ١٠٪ | ٨٪ |

قائمة (٢) : الحالة الغذائية لاطفال أصيبوا بالنزلات المعوية ، مقارنة باطفال غير مرضى ( مصدر ٨ ) .

نرى من هذه المقارنة أن ٢٣٪ بالمئة من المصابين بالنزلات المعوية مصابون بدرجات من سوء التغذية ، مهمة من ناحية اكلينيكية ، بالمقارنة مع ٥٪ من الاطفال الأصحاء. وكلاهما نسبة لا يستهان بها .

**بعض أسباب سوء التغذية :**

إذا استبعدنا الامراض الوراثية والخلقية ، فإن أكثر الأمراض المؤدية إلى سوء التغذية في هذا البلد هي الأمراض المصحوبة باسهال مزمن : في بحث لنا نشر هذه السنة ، وجدنا أن أكثر هذه الحالات شيوعاً هي تأخر الشفاء من النزلات المعوية ( مصدر ٩ ) . إذ كانت هذه الحالات مسئولة عن ثلثي جميع حالات الاسهال المزمن المصحوب بنقص التغذية . والجدير بالذكر أن جميع هذه الحالات لم تنعم بالارضاع الطبيعي ، بل كان الـ ٦١ طفلاً جميعهم على حليب بقري . ونجد تفصيلاً لهذه الحالات في القائمة رقم (٣) .

| المرض | Diseases | العدد | النسبة المئوية |
|---|---|---|---|
| تأخر شفاء النزلات المعوية | Postenteritis Syndromes | ٦١ | ٦٦ر٢٪ |
| وتضم :- | | | |
| ١ ـ سوء امتصاص سكر الحليب | Lactose Intolerance | ٢٩ | |
| ٢ ـ سوء امتصاص السكر الاحادي | Glucose Intoleranoe | ٦ | |
| ٣ ـ تحسس من البروتين البقري | Cow-Milk Protein Allergy | ٦ | |
| ٤ ـ سوء امتصاص عام | Global Malabsorption | ١٢ | |
| تحسس من منتجات الحبوب | Gluten Sensitivity | ١٧ | ٥ر١٨٪ |
| طفيل الجارديا | Giardiasis | ٥ | ٤ر٥٪ |
| نقص مناعة | Immune Deficiency | ٤ | ٤٤ر٤٪ |
| أمراض أخرى | Other Diagnosis | ٣ | ٣ر٣٪ |
| المجموع | | ٩٢ | ١٠٠٪ |

قائمة رقم ٣ :ـ أسباب نقص التغذية المصحوب باسهال مزمن في دولة الكويت (مصدر٩).

في تلك الدراسة ( مصدر ٩ ) ، كان هنالك دلائل اكيدة على حرمان عاطفي أو اهمال واضح في ستة أطفال ، ودلالات متفرقة في ١٥ طفلاً من حالات تأخر شفاء النزلات المعوية ، بالإضافة إلى عزل ميكروبات معوية في ٥٨ من الـ ٦١ طفلاً ، إن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن النزلات المعوية مرض اجتماعي Social Disease ، بالإضافة إلى كونها مرضاً ميكروبياً Microbial Disease .

**التحسس من مكونات القمح : Coeliac Disease (Gluten Sensitivity)**

إن حوالي ٥٠٪ من أمهاتنا يضفن من منتجات القمح إلى غذاء الطفل ، قبل سن أربعة أشهر ( رغم توصيات منظمة الصحة العالمية ) . هنالك أطفال

لديهم استعداد لتآكل الخلايا والخملات الماصة ، مما يؤدي لسوء امتصاص وقصور بالنمو . يبين شكل ٥ السطح الماص لأمعاء أحد أطفالنا ( مصدر ١٠ ) وقد أصبح أملسا يمر عليه الغذاء المهضوم سريعاً دون أن يمتص ، بينما يبين شكل ٦ أمعاء نفس الطفل بعد العلاج ، وقد عادت الخملات الماصة بشكل طبيعي كما اختفى تآكل الخلايا الماصة المحيطة بهذه الخملات ( مصدر ١١ ) .

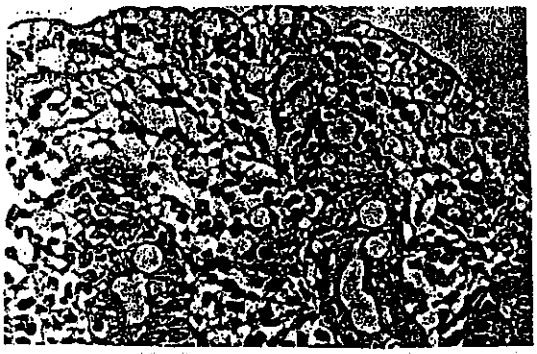

شكل ٥ :ـ تآكل خملات الأمعاء الماصة في مرض Coeliac Disease ( مصدر ١٠ ، ١٤ ) .

شكل ٦ : ـ شفاء الخملات ورجوع الخلايا الماصة بعد منع منتجات القمح ( مصدر ١٠ ، ١٤ ) .

ولقد سبق أن نبهنا في بحث سابق ( مصدر ١١ ) ، إلى مضار إضافة منتجات القمح السهلة التحضير ( مثل السيريلاك ، فارليز وغيرها ) ، إلى قائمة غذاء الطفل ، قبل اكتمال الشهر الرابع . فلقد لاحظنا حصول مرض التحسس

Coeliac Disease في وقت مبكر ( ستة أشهر ) عند طفلتين متشابهتين ( من بويضة واحدة ) كان الشيء الآخر المشترك بينهما ، إضافة السيريلاك والفارليز بكمية كبيرة منذ بداية الشهر الثاني من العمر .

* الحالة الغذائية لأطفال المدارس **Nutritional Status Of School Children**

أشير بفخر هنا إلى درة قام بها أربعة من طلبتنا الكويتيين كان لي فيها دور المشرف . وقد نشرت هذه الدراسة في مجلة طبية عالمية قبل أن يتخرجوا (مصدر ١٢) . وجد هؤلاء الطلبة (الأطباء حالياً) أن منحنيات النمو لأطفالنا بشكل عام تشبه إلى حد كبير منحنيات النمو التي تتخذ كمرجع في الدول الصناعية (مصدر١٣) إلا أن هؤلاء وجدوا تفاوتاً بسيطاً بين الفئات الاجتماعية المختلفة . رغم أن هذا السن ليس بموضوعنا في هذه الندوة، إلا أنني أشرت إليه لأجيب على السؤال التالي :

* لماذا إذن طفل ماقبل المدرسة ؟ :

أحد أسباب سوء التغذية في الأطفال ما دون السنتين، هو الأمراض الخلقية والوراثية ، والتي في مجموعها تصيب طفلاً بين كل ٢٠ إلى أربعين طفلاً ومن الطبيعي أن يزداد التمثيل النسبي لهذه الأمراض في العمر المبكر .

أما عدا ذلك ، فإن النزلات المعوية ومضاعفاتها ، والحرمان الغذائي المصحوب في معظم الأحوال بحرمان عاطفي ، وأمراض سوء الامتصاص الانف ذكرها ( مصادر د-١١ ) تبقى الاسباب الرئيسية لسوء التغذية في هذا العمر . ويلاحظ أن سوء التغذية في هذه الفترة مكتسب ، إذ نلاحظ في شكل (٧) أن النسبة تزداد تدريجياً بعد عمر ستة أشهر حتى عمر السنتين ( مصدر ٨ ) .

الجزء المظلل بالأعمدة يشير إلى حالات سوء التغذية المتوسط أو الشديد .

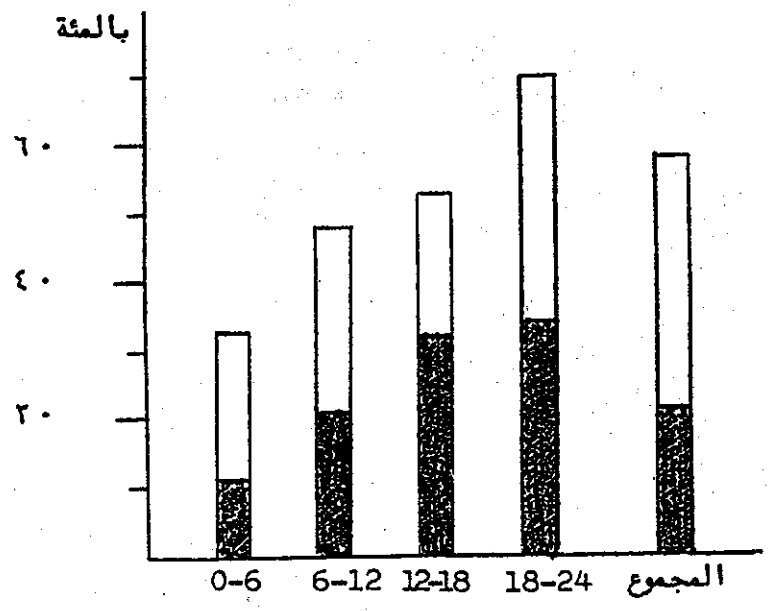


شكل ٧ :ـ النسبة المئوية لسوء التغذية حسب العمر بالشهور ( الجزء المظلل يمثل الحالات المتوسطة والشديدة ) مصدر ٨ .

## هل للأرضاع الصناعي أثر في ذلك ؟ :

سبقت الإشارة إلى علاقة الارضاع الصناعي بنمو الدماغ، والآن دعونا نلقي نظرة على الارضاع الصناعي، ونعني به استبدال حليب بقر مجفف بحليب الأم. سواء كان مكيفاً Modified أو غير مكيف Unmodified. نلاحظ من الشكل ٨ أن حوالي ٧٠٪ فقط من أطفالنا يبدأون على حليب الأم، تنخفض هذه النسبة إلى أقل من ٥٠٪ عند عمر الشهر وإلى أقل من ٢٥٪ عند شهرين.

تستمر هذه النسبة بالانخفاض حتى تصل إلى أقل من ١٠٪ عند عمر ستة أشهر. نقارن هذه النسبة ( أقل من ١٠٪ في الكويت ) إلى الوضع السائد في الدول الاسكندنافية حيث أن أكثر من ٨٠٪ من الاطفال لا يرضعون حليباً بقرياً حتى بعد الشهر السادس من العمر ( مصدر ٦و١٤ ) .

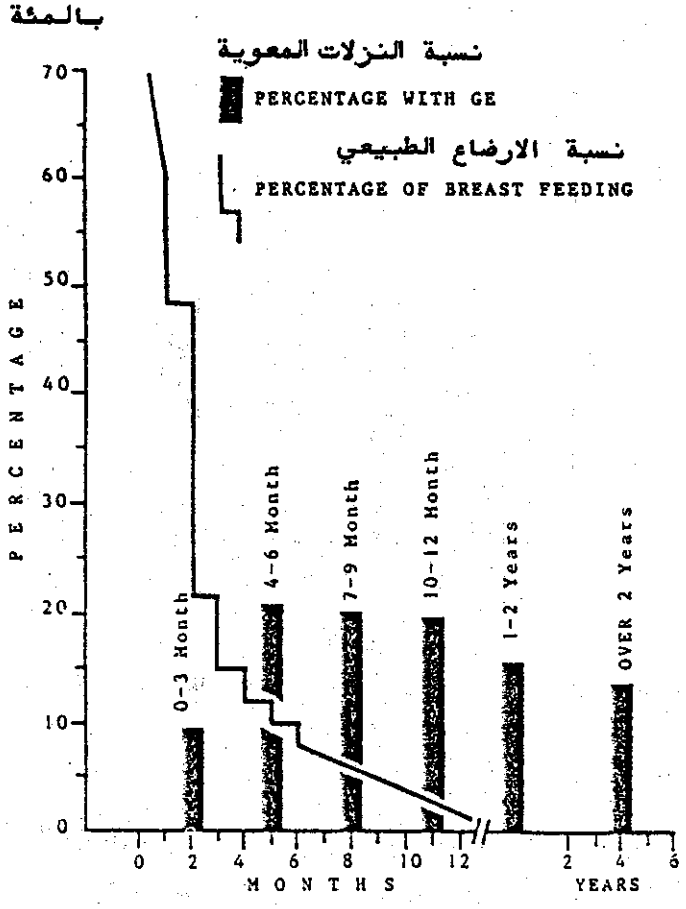


شكل ٨ :- وضع الارضاع الطبيعي بالكويت
وعلاقته بالنزلات المعوية
( مصدر ٦ ، مصدر ١٤ ) .

يبين الشكل أيضاً شيوع الاصابات بالنزلات المعوية بعد ايقاف الارضاع الطبيعي . يضيق المجال عن سرد الابحاث التي تثبت أن الارضاع الطبيعي يقي من النزلات المعوية ( مصدر ١٥ ) ، ولكن شكل ٨ وهذه الابحاث تترك مجالاً قليلاً للشك في هذا المبدأ .

## هل يقي الارضاع الطبيعي من فقر الدم ؟ :

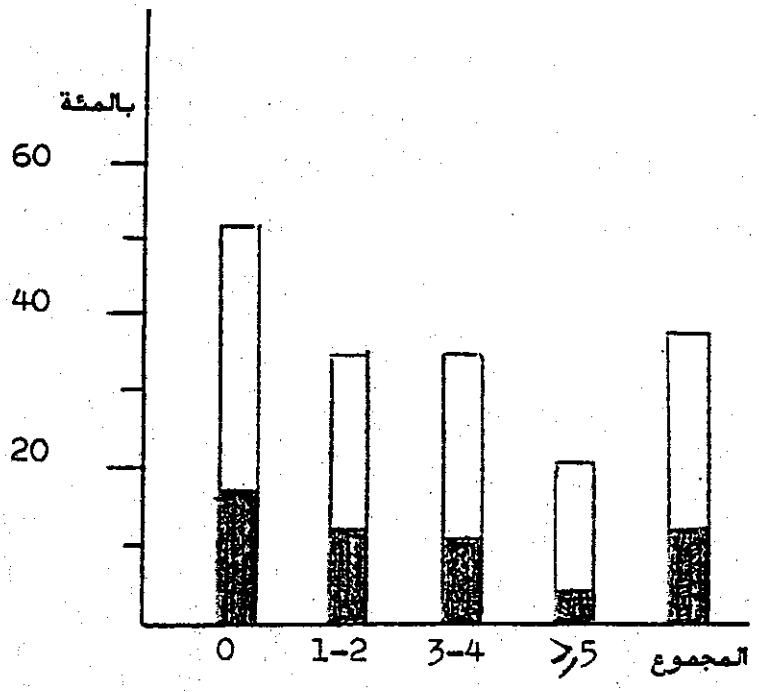


الشكل ٩ : ـ درجات فقر الدم حسب مدة الرضاعة الطبيعية الكاملة ، بالشهور .
( مصدر ٨ ) .

في أطفالنا كانت الاجابة بنعم . فنسبة فقر الدم الكلي ( أقل من ١١٠ جم / لتر ) وفقر الدم الشديد والمتوسط الذي يبينه الجزء المظلل ( أقل من ١٠٠ جم / لتر ) تتناسب تناسباً عكسياً مع فترة الرضاعة الطبيعية الكاملة (شكل ٩) . وأورد هنا بعض التفسيرات ، وأهمها أن الحديد الموجود في حليب الأم سهل الامتصاص رغم قلته . بالإضافة إلى أن الارضاع الطبيعي يقي من النزلات المعوية ( مصدر ١٤ ، شكل ٨ ( ومن الاسهال المزمن ( مصدر ٩ ) وكلاهما مصحوب بفقدان حديد من خلال الغشاء المخاطي للأمعاء بالإضافة إلى سوء

امتصاص الحديد من الأثنى عشر في حالات سوء الامتصاص Malabsorption عامة ، والتحسس من منتجات القمح Coeliac Disease خاصة .

**هل يقي الارضاع الطبيعي من سوء التغذية؟**

كانت الاجابة أيضاً بنعم ( مصدر٨ ( . تظهر العلاقة واضحة بين انخفاض نسبة سوء التغذية المتوسط والشديد ، وطول مدة الارضاع الطبيعي الكامل ( شكل ١٠ ) ، بينما نلاحظ أن حالات سوء التغذية الخفيفة شائعة في جميع الفئات . لا نستطيع أن نفصل عاملاً عن آخر عن مناقشة سوء التغذية والعوامل التي تؤدي له ، والتي يجب أن نحاربها .

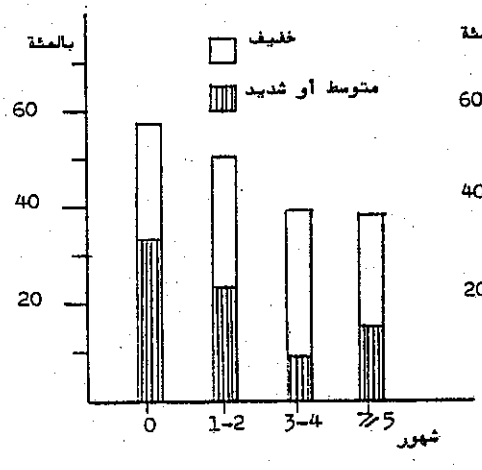


شكل ١٠ :- درجات سوء التغذية ( مئوية ) حسب مدة الرضاعة الطبيعية الكاملة ( مصدر ٨ )

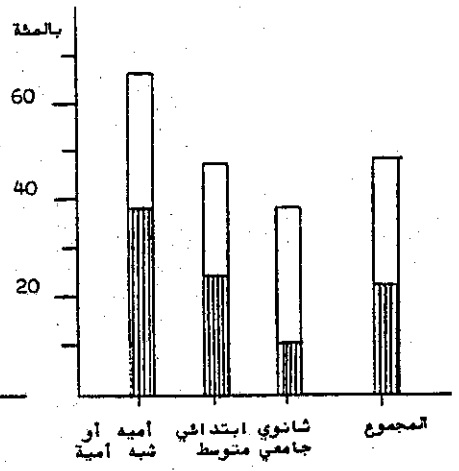


شكل ١١ :- درجات سوء التغذية ( نسبة مئوية حسب مستوى تعليم الام ( مصدر ٨ )

كمثال على ذلك، لننظر إلى الشكل ١١ . نرى أن سوء التغذية الشديد والمتوسط، يبلغ ٤٠٪ عند أطفال الأمهات الأميات (صفر سنة دراسية) وشبه الأميات (١-٣ سنة دراسية)، تنخفض إلى ٢٢٪ في أطفال الأمهات بمستوى تعليم ابتدائي أو متوسط، وإلى حوالي ١٠٪ في أطفال الأمهات ذوات التعليم الثانوي أو الجامعي .

**علام يدل ذلك؟**

إذا أخذنا المعطيات السابقة جميعها، وباعتبارنا دولة ما زالت تشارك الدول النامية بعضاً من مشاكلها الصحية فإنني انتقل في استنتاجي من الخصوصية لبلدنا إلى بعض الشمولية للدولة النامية:

**في رأيي أنه ليس هنالك ما هو أخطر على حياة الطفل في الدول من زجاجة الحليب البقري ، في يد أم لا تتوفر لها المعلومات الكافية .**

«Bottle Feeding, In The Hands Of A Poorly Informed Mother, May Be Dangerous To The Survival Of Her Child, Or The Quality Of His Life».

**هل تتبنى الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية لواء العودة إلى الارضاع الطبيعي ؟ .**

حبذا ! لا أستطيع أن أرى من هو « أحق » من هذه الجمعية ، والتي يحمل اسمها معاني « الخصوصية » في تحمل الواجب « الجمعية الكويتية » في نفس الوقت الذي يهدف إلى « العمومية » في نشر الفائدة « تقدم الطفولة العربية » في حمل هذا اللواء . هنالك أشياء ملموسة نستطيع قياسها بالارقام والاشكال التوضيحية ، كما أوضحنا سابقاً ولكن هنالك فضائل أخرى للارضاع الطبيعي من الصعب قياسها ، ومازالت الدراسات في هذا المجال بين مدّ وجزر . ولعل أهم هذه الفضائل الأثر النفسي للارضاع الطبيعي بما فيه من ملامسة واتصال بالعين منذ الأيام الأولى وخصوصاً في تكوين شخصية الطفل ، بالإضافة إلى علاقة الارضاع الطبيعي بانخفاض نسبة أمراض القلب وضغط الدم والسمنة في المستقبل . حتى لو فكرنا بما يمكن احصاؤه من موجودات ، فإن هذه الموجودات في رأيي تكفي لأن نتبنى هذا الموضوع .

---

تغذية الأطفال، معلومات ونصائح (مصدر ١٤):

كتيب صغير الحجم، عظيم الفائدة، أعدته الدكتورة سهام العبد الغفور، كان لي شرف مراجعته، وتزويد بعض الأشكال والمعلومات من أبحاثنا. هذا الكتاب به من المعلومات عن تغذية الطفل، ما اقترح معه على الجمعية الموقرة تبنيه، ذلك أن نسخا محدودة من هذا الكتاب وزعت بمناسبة يوم الصحة العالمي. هذا الكتاب في رأيي يصلح لأن يدرس ضمن مناهج التدبير المنزلي لطالبات المدارس الثانوية، وأنا متأكد أن اثر ذلك سيكون ايجابياً على تغذية الجيل القادم. ولست أبالغ إن قلت إن هذا الكتاب في رأيي يمكن أن يكون مساهمة حقيقية في «تقدم الطفولة العربية».

هل هنالك حاجة لمزيد من الابحاث في مجال صحة وتغذية الاطفال ؟ :

اختتم هذه المراجعة المتواضعة بأن اقترح الالتفات إلى بعض النواحي التي أعتقد أن الغوص العميق فيها ، يؤدي إلى وضع اليد على النواحي التي تعيق تقدم الطفولة العربية ، من أجل تبني خطط منطقية لمواجهتها . وعلى سبيل الحصر لا التعميم أورد ما يلي :-

١ - المسح الشامل للأطفال حديثي الولادة :

COMPREHENSIVE NEONATAL SCREENING PROGRAM

٢ - تعميم منحنيات النمو ومتابعة التطور لدى جميع الاطفال :

RECULAR FOLLOW-UP OF GROWTH AND DEVELOPMENT

## References المراجع


١ ـ نهله البابا : التغذية وقدره الاطفال على التعلم . في : الاطفال والتعصب والتربية . الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ١٩٨٩ : ص ١٥٧ ـ ١٦٥ .

2- Khuffash Fa, Majeed HA. Hypernatremic Dehydration In Infants With Gastroenteritis. CLINICAL PEDIATRICS (Philadelphia) 1984;23:255-258.

3- Krayyem LM, Khuffash FA, Sethi SK. The Sodium Status In Children With Acute Gastroenteritis. J Kwt Med Assoc 1985; 19:277-283.

4- Hambraeus L. Proprietary Milk Versus Human Breast Milk In Infant Feeding. Ped Clin N Amer 1977;24:17-36.

5- Khuffash FA, Majeed HA, Sethi SK, AL-Nakib W. Gastroenteritis In A Regional Hospital In Kuwait: Some Aspects Of The Disease. Ann Trop Paediatr. 1982;2:123-128.

6- Khuffash FA, Sethi SK, Shaltout AA. Acute Gastroenteritis: Clinical Features According To Etiologic Agents. Clinical Pediatrics (Philadelphia) 1988;27:365-368.

7- Khuffash FA. Majeed HA. Basic Epidemiological Aspects Of Acute Gastroenteritis In Regional Hospital In Kuwait. Ann Trop Paediatr. 1984;4:113-115.

8- Mansour Y. Sarkhou. PHD THESIS ON: Traditions. Conceptions And Practices: Impact On Gastroenteritis And Nutrition. In Preparation.

9- Shaltot AA. Khuffash FA, Hilal AA, EL-Ghanim MM. Pattern Of Protracted Diarrhoea Among Children In Kuwait. Ann Trop Paediatr. 1989;9:30[32.

10- Khuffash FA, Barakat MH, Et Al. Coeliac Disease Among Children In Kuwait: Difficulties In Diagnosis And Management. GUT (Britisg Medical Association) 1987;28:1595-1599.

11- Khuffash FA, Barakat MH, Et Al. Coeliac Disease In Monozygotic Twin Girls: Synchronous Presentation. GUT 1984;25:1009-1012.

12- Bayomi A, AL-Hamadi A, AL-Jarallah K, AL-Shatti A, Khaja A. Standards For Growth In Prepubertal Primary School Kuwaiti Children, A Cross- Sectional Study. Annals Of Tropical Paediatrics 1984;4:171-176.

13- Tanner JM. Physical Growth And Development In: Forfar Textbook Of Paediatrics. 2nd Edition. Edinburgh: Churchill Livingstone, 1978.

١٤ ـ سهام يوسف العبد الغفور : تغذية الطفل ، معلومات ونصائح . منطقة مبارك الصحية . بمناسبة يوم الصحة العالمي إبريل ١٩٨٨م .

15- Bullen CL, Willis AT. Resistance Of The Breast-Red Infant To Gastroenteritis. British Medical Journal 1971;3:338-343.

د. فيصل الخفش :

شكـراً . . أحب أن اعقب عـلى بعض الملاحـظات التي وردت حـــول الرضاعة والفطام وموعد فطام الأطفال ونوع الاغذية الأولية التي يمكن أن نبدأ بتقديمها للطفل أثناء فترة الرضاعة الطبيعية . السؤال يتألف كما ترون من عدة شعب ، لنأخذ القسم الأخير وهو الحاجة إلى دراسات علمية حول هذا الأمر . لا أجادل أن معظم الدراسات التي أجريت في المستشفى كانت عـلى أطفال مـرضى ، فـإذن مصداقيتهـا محدودة . انها لا تعكس الـوضـع الكـلي في الكـويت ، ونحن لا ندعي ذلك أبداً .

الدراسة التي تم اجراؤها هي في رأينا من أفضل الدراسات التي اطلعت عليها وقد يكون هناك دراسات لم اطلع عليها . هذه الدراسة التي عملها الطبيب في مستوصف في منطقة صحية ، وكان يعرف أنني أعمل في الدراسات المعوية فلقد أخذ رأيي لأنها عملت في اطفال أصحاء أصيبوا بالمرض فهي أكثر مصداقية من دراساتنا داخل المستشفى . لا يمكن أن أدعي أن نسبة سوء التغذية ٤٨٪ فهي نسبة رهيبة ، لكن بالنسبة للاطفال المصابين بهـذا المرض فهـذا غير مستغـرب أبداً .

الدراسة التي قام بها الطلبة أكثر مصداقية من دراستنا ، فلقد اجريت على الأطفال العاديين في المدارس .

من ناحية مدة الفطام لا اعتقد أن هناك مدة معينة للفـطام أعني الفطام الكامل ، فإن الفطام يأخذ منحنى تدريجياً بحيث ـ لا أؤمن بسن معينة اعتبرها حداً لوقف الرضاعـة . أما بعـد الشهر الـرابع فيجب أن نبـدأ بإضـافة بعض الوجبات الغـذائية بـالتدريـج حتى يستطيـع الطفـل الاستغناء عن حليب الأم تدريجياً . إن ١٠٠٪ من السعرات الحراريـة تأتي من حليب الأم خـلال الفترة العمـرية من شهـر إلى ثلاثـة أشهـر أو أربعـة ثم تصبـح تقـريبـاً من ٥٠٪إلى ٦٠٪ عنـد

عمر السنة ويكون مصدرها أغذية غير حليب الارضاع ، ما اقترحه لأول سنتين من العمر هو عدم تقديم حليب بقري للطفل خلال هذه الفترة .

منظمة الصحة العالمية تدعي أن اقصر فترة للارضاع الطبيعي هي ثلاثة أشهر وبعض الباحثين قال كذلك ثم عادت منظمة الصحة العالمية وقالت ستة أشهر، فمن أصدق ؟ ملاحظاتناالشخصية التي تتوافق مع ما نزل في كتابنا الكريم؟ أم باحث الصحة العالمية الذي أجرى بحثه في انجلترا ؟ على الأمهات الانجليزيات؟ فإذن الفطام التدريجي هو الأمثل ولكن أنا افضل ألا يأخذ الطفل أي منتج من الحليب البقري خلال السنة الأولى .

لماذا يتحسس الطفل لمنتجات القمح ؟ لأن أمعاء الطفل ملساء لا تمتص الطعام المهضوم والسبب هو أن الأمعاء في هذا العمر تستطيع أن تستدخل أشياء غير مهضومة ، زلالا بكامله مثلاً ، فقبل أن تمتص الزلزال يجب أن تكسره إلى احماض أمينية ، أما الطفل الصغير خصوصاً ابن الأربعة أشهر الأولى فإن الجدار الماص عنده يستطيع ادخال أو تمرير الزلالات بحجمها الطبيعي ويتحسس لها ، بينما أنا لا ادخل زلالا في جسمي بل احماضاً أمينية في الجسم .

هذه هي الفترة الحرجة ففي الشهور الأربعة الأولى تجنبي اعطاء ابنك أي شيء يسبب التحسس وخصوصاً الكم البروتيني الزلال البقري والسريلاك ، وفارليز وما شابهه من الاطعمة .

د. عبد الرحمن مصيقر :

بالنسبة للفطام أنا مع الدكتور فيصل طبعاً. يمنع ادخال أغذية غير حليب الأم وهذا يبدأ بنهاية الشهر الرابع حسب نوع الحبوب والقمح بالذات هو المشكلة الكبيرة عنده .

الرضاعة الطبيعية هي حولان كاملان (سنتان ) . المشكلة عندنا ليست في استمرار الرضاعة . حالياً يوجد في دول الخليج عودة لا بأس بها إلى الرضاعة

الطبيعية . إذن الرضاعة الطبيعية لا مشكلة فيها، المشكلة في نوع الغذاء الذي يعطي للطفل سواء سبب حساسية أم لا .

أنا عندي تعليق بالنسبة للدراسات . الدراسات التي رأيناها هي أكثر من دراسة أولا وهي محدودة حتى لو قلت إن الرضاعة الطبيعية لها علاقة بالهيموغلوبين فهذا صعب لأن هناك أكثر من سبب في هذه الناحية ، فقد يكون عاملاً آخر لأنه يوجد أكثر من تحليل ، فالتحليل الاحصائي الدقيق في معظم دراساتنا محدود .

مثال بسيط : الدراسة التي اجراها بيومي وجماعته تبين لنا حال الطفل فأنا عندي مأخذان عليه . المأخذ الأول : اختيار العينة لم يكن دقيقاً وحتى أنه لم يشرح بالدقة الكاملة ، وبالتالي لم نعرف هل هي عينة ممثلة أم غير ممثلة ، من الناحية الأخرى أن اخفاء المقاييس كان خطأ ، الاختلاف في أخذ المقاييس عامل مهم جداً ، إن الطول والوزن ليسا مقياساً كافياً .. يعني عندما أقول أن الشخص زاد وزنه . فهذه الناحية ليست بزيادة الوزن حقيقية . فنحن عندما اجرينا دراسة في البحرين أخذنا سمك الجلد ، فهذا عامل مهم جداً ، فلقد عرفنا أن هناك ضموراً في العضلات حسب مقاييس معينة ، فبالتالي زيادة الوزن والطول ليسا كافيين كمؤشر . ومن الممكن أن تكون المؤشرات الاسهل قد أخذنا بها في هذه الفترة وأنني اتفق مع الدكتور فيصل أننا نحتاج إلى دراسات أعمق وذلك لتصميم اختيار العينة تصميماً جيداً ، لكن ليس معنى هذا أن نهمل الدراسات الموجودة ، فهي مؤشرات جيدة لاعطائنا بعض المداخل إلى برامجنا وللدراسات اللاحقة .

د. محمد عودة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، كلامي سيكون على هيئة تساؤلات .

السؤال الأول : يبدو أن الاطباء دائماً عندما يبحثون أو يفكرون أو يناقشون تسيطر عليهم الحالات المرضية أكثر من الحالات الصحية فإنني أحس أن الدكتور عبد الرحمن أخذ الكثير على منطقة الخليج قياساً على حالات المرض وليس قياساً على حالات الصحة . فالاحصائيات التي تفضل بها كلها تعطي هذه الصورة .

صحيح نحن جميعاً في العالم الثالث وله صورة قاتمة فهل توجهكم كأطباء إلى النواحي المرضية له أثر على ملاحظاتكم ؟ أن هذا يخلق نوعاً من الاهتمام ، يتركز بموجبه اهتمام الإنسان على النواحي المرضية . ألم يوجد جانب إيجابي للتغذية في منطقة الخليج ؟ .

ألم يوجد عندنا ولو القليل من الايجابيات ؟ :

هل أفهم من مقارنة الطفل الكويتي بالطفل الانكليزي أن الإنسان البريطاني هو المثال الذي نقارن به مثلاً؟ فهذا أول تحسس أحسست به ، فالتركيز دائماً على الحالة السيئة التي تعيشها في إطار عملية التغذية .

السؤال الثاني : طبعاً استمعنا إلى قضية (الارضاع الطبيعي ) والحليب الاصطناعي . فهل شركات الحليب الاصطناعي عندنا لا تملك القدرة على تطوير صناعتها ؟ .

نحن في منطقة الخليج نمتلك المال ومن الممكن استيراد التكنولوجيا وتعلمها . وعندئذ من الممكن أن يصبح عندنا شركات لتصنيع حليب الاطفال في المنطقة بحيث يمكننا التحكم في تطوير نوعية الحليب حتى لا تكون فيه هذه الاضرار التي نتحدث عنها ؟ .

السؤال الثالث : لا شك أن الأمهات في مجتمعاتنا لم يتثقفن الثقافة الصحية الكافية وهن مستمسكات بالعادات القديمة كأن يضعن شيئاً مراً على صدورهن أن صبغة اليود أو غيرها لفطام الطفل . فحبذا لو عرفنا الأمهات بالطريقة المثلى للفطام أو الطريقة الأحسن له ؟ .

السؤال الرابع : حول منحنى النمو للطفل ، فعندما نضع منحنى فلا بد أن يكون نتاجاً لمجموعة من الدراسات على عينات كبرى من مجتمع واحد لكي ينتج منحنى ثم اقيس عليه .

هل منحنى النمو الذي عرضتموه من المنطقة ؟ هل هو نتاج دراسات احصائية واسعة على أطفال عرب سواء في منطقة الخليج أو غيرها؟ أم هو مقياس عالمي تحقق ثباته وصدقه على النطاق الدولي.

أخيراً . . . هل يمتد اهتمام الاطباء الآن إلى البعد النفسي لعملية الرضاعة الطبيعية ؟ فالأم عندما تضع طفلها في حضنهاويسمع دقات قلبها وترضعه فإن هذا يبين العلاقة بين التغذية والصحة النفسية خصوصاً وان البحث قد المح إليها .

د . بدر العمر :

في البداية أشكر الدكتور مصيقر والدكتور فيصل على هذا التقديم الجيد وبما أن عنوان الندوة هو تغذية الطفل ، ومضامينها الاجتماعية والنفسية والتربوية فإن المضامين الاجتماعية والتربوية لم تنل الاهتمام الكافي .

عندي تعقيبان حول بعض القضايا التي ذكرت ، ومنها القضية الأخيرة التي ذكرها الدكتور محمد عودة حول الرضاعة الطبيعية والرضاعة الاصطناعية، فمن الواضح أن الطرح كان حول علاقة الرضاعة الطبيعية بالرضاعة الاصطناعية . لأنه عادة ومن الناحية المسلكية تعد الرضاعة بحد ذاتها بداية تكوين العلاقة بين الأم والإبن من حيث أن طرفاً يعطي والآخر يأخذ ، ومن هنا تتحدد العلاقة بين الأم وبين الطفل .

من هذا المنطلق فإن أهمية الرضاعة الطبيعية ليست محصورة في فائدتها البيولوجية والتكوينية فقط بقدر ما هي مهمة من حيث تكوين الارتباط العاطفي بين الأم وطفلها لذلك يجب أن نؤكد على شكل الرضاعة وليس على نوعها فقط فنحن معنيون بالرضاعة من ناحية سلوكية . إذا لم تكن الأم مقتنعة بالرضاعة الطبيعية ولم تكن متقبلة لها تقبلاً جاداً وإنما تقوم بها على مضض أو بشيء من السلبية فإن هذا النوع من الرضاعة سوف يؤثر سلبياً على سلوك الطفل مستقبلاً وعلى تكوين العلاقة بينه وبين أمه وبالعكس . إذا كانت الرضاعة الاصطناعية

تقدم بشكل جيد ، بشكل يعطي الحنان والدفء اللازمين ، فأنا اعتقد أنها تغطي بعض النقص الناتج من الناحية البيولوجية أو التكوينية . من الناحية الأخرى الدراسات التي عرضت علينا أخذت مجموعة من المتغيرات ، متغير السن ، ومتغير الدخل الشهري ، ومتغير التعليم . أيضاً يوجد ناحية ناقصة يبدو أنها جاءت ضمنا في متغير التعليم نفسه وهو الاهتمام . فكوننا نعرف هذه مصيبة وكوننا نعرف ونهمل فهذه مصيبة أكبر . وهذه هي القضية التي تواجهنا فبالرغم من أن الأسرة الخليجية على مستوى لا بأس به من التعليم والثقافة إلا أننا عادة نواجه عادات غذائية ليست محببة بل وسيئة . لقد جاء هذا من توفير نوع من الأغذية غير الصحية داخل المنزل. هذا من جانب، ومن جانب آخر أن الأسرة تعتمد في تغذيتها أو جزء كبير من تغذية الطفل على الخادمة ، وهذه أيضاً مشكلة . في هذه الدراسات هل روعيت هذه الاتكالية على الخادمات كمتغير أساسي من المتغيرات المعتبرة في الدراسة ؟ وماذا عن سيكلوجية الأم وسيكولوجية الأسرة . وشكراً .

السيدة / سهام الدباغ :

لي سؤالان أريد أن اطرحهما :

د. عبد الرحمن يقول : إن المرضع لا بد من أن تأخذ حبوباً ( فيتامينات ) لماذا هذه الاتكالية على الفيتامينات في الوقت الذي يمكن أن تأخذ الأم التغذية من الحليب أو أي شيء آخر إذا كانت فعلاً أما واعية .

بالنسبة للمستشفيات وارضاع الاطفال في المستشفيات الحليب الاصطناعي مسئولية من هذه ؟ .

كثير من الأمهات الواعيات يعترضن على هذا ، ولكن المستشفى لا يسمح لهن ولا يعطيهن فرصة لارضاع اطفالهن ، وهذا يضيع كثيراً من الفرص على الأم في الثلاثة أيام الأولى حين لا ترضع طفلها مع وجود الحليب لديها في هذه الفترة بغزارة، وخاصة الحليب الذي نسميه حليب ( اللبأ ) وهو مفيد جداً .

يبدو لي أن هناك نقصاً في مناهج تربية البنات حول هذه الأمور . بصراحة هناك شيء من المسئولية على الحكومة في المدارس الثانوية . في ايامنا نحن كان بعضهم يتصور إذا كان هناك برنامج أو منهج خاص أو أي فقرة خاصة للبنات حول الرضاعة والأمومة فإن هذا شيء يقلل من معلومات المرأة العلمية ويؤخرها عن الموضوعات الأخرى .

من المهم جداً توجيه الفتيات للارضاع وللطفولة وللأمومة في المرحلة الثانوية ، لأنه مهما حاولنا عندما تكبر الأم وتنضج سيكون تأثيره ضعيفاً جداً .

د. حسن الإبراهيم :

كنت اتمنى على الاخوات أن يسمعننا شيئاً من تجاربهن الشخصية حول هذا الموضوع الهام جداً ، وهذا مهم لأننا نريد أن نوصل الرسالة إلى المجتمع .

حضراتكم جميعاً تعرفون أن هذا البرنامج سيتحول إلى برامج تلفزيونية وهي تتلفز في الكويت ودول الخليج الأخرى . نريد رسائل موجهة إلى الأم في الكويت ، وفي دول الخليج وفي الدول العربية الأخرى . رسائل نابعة من تجارب الأمهات اللواتي افلحن في تربية اطفالهن وبيان جدوى التعامل الطبيعي مع الاطفال سواء كان ذلك فيما يتعلق بالرضاعة أو غيرها من وجوه الرعاية للطفل .

د. دلال البزري :

من سوء حظي أن أكون في كل مرة آخر المعلقين ويكون الوقت قصيراً . لفت نظري بصورة خاصة كلام الأخ مصيقر عن النساء العاملات اللواتي تقل عندهن ساعات الرضاعة ومدة الرضاعة . اذكر عندما ولدت ابنتي الأخيرة كنت أعمل في الجامعة وفي الوقت نفسه كنت باحثة بأحد مراكز الابحاث . . وكان الدوام من الواحدة حتى الثانية ظهراً . وفي يومين حتى الخامسة بعد الظهر . ومع ذلك بقيت ارضعها لمدة سنة ، فالموضوع لم يطرح على أساس هل هناك الوقت الكافي أم لا ؟ الموضوع المطروح : هل ينظم الوقت كما يجب أم لا ينظم ؟ هذا

المدخل كأحد مداخل السيرة الذاتية ، وتجربتي مع مسألة الرضاعة لا يعني أن الكلام الذي اقوله هنا هو أكثر أهمية من الذي سبق ، وخاصة البحث الأول الذي عرض . هناك محوران حرفيان إذا جاز تسميتهما كذلك للبحث الأول بشكل خاص .

المحور الأول : يمكن أن يسمى قضية المرأة ، والمحور الثاني : هو المجتمعات الخليجية الجديدة فكيف يظهر هذان المحوران الضمنيان عبر البحث؟

لنبدأ بقضية المرأة . أولاً الزواج المبكر وثانياً ـ العادات والتقاليد التي تترسخ في المرأة والتي تحميها وتدافع عنها المرأة أكثر من الرجل حتى ولو كانت هذه العادات والتقاليد ليست من مصلحة المرأة .

وثالثاً : الأمية واقصد الأمية الثقافية والأمية الأبجدية وما يتبعها من أمية وقائية أي معرفية . فنحن حتى لو كنا جامعيات ، ودكتورات فإن علمنا بموضوع التغذية يبقى صفراً ، لأنه لم يتوازن مع ثقافتنا الجامعية .

المحور الثاني المرتبط بالموضوع الأول ، هو موضوع المجتمعات الخليجية الجديدة التي تؤثر فيها المرأة وتتأثر بها في آن واحد .

هناك نقطتان تحسن اثارتها خلال البحث : النقطة الأولى : التجارة كيف يؤثر الربح التجاري ، على صحة اطفالنا والاجيال القادمة .

ثانياً : الاستهلاك : هنا مشكلة نعايشها يومياً هي مشكلة الترويج الاستهلاكي . اعطي لابنتي الخبز الأسمر باللبنة المعدة جيداً ، وتذهب إلى المدرسة وفي المدرسة تستبعدها ( بالشيبس ) وترجع بالخبزة السوداء . . لأن الأولاد قد احضروا معهم الشيبس وما أشبه .

د. تغريد القدسي :

معظم النزلات المعوية تكون نتيجة ميكروب وبالتالي فإن حالات نقص التغذية لا تتوافق معها ، فإلى أي مدى يمكن أن نقول أنهما مرتبطان ؟ مع أن

الرضاعة الطبيعية وهي تغذية تعطي حماية للطفل فهل بزوال العارض المرضي نقول هنا سوء تغذية في هذه الحالة .

د. عبد الرحمن مصيقر :

أشكر الأخوة على هذه الملاحظات فمعظمها كانت قيمة في جوانب معينة ، وللأسف الشديد الدراسة لم تقرأ كاملة ، وبالتالي هناك جوانب لم اذكرها بل حاولت في تقديمي تلخيص الجوانب المهمة .

من حيث الجوانب طبعاً هناك جوانب طبيعية ، فعندما أذكر أن هناك ٥٥٪ من الأمهات يلجأن إلى الفطام الفجائي فمعنى هذا أن الـ٤٥٪ الباقيات يفطمن أولادهن تدريجياً وهذا جانب إيجابي .

وأنا ركزت على الجوانب السلبية لأثير النقاش ، فلو ذكرت الجوانب الاجابية لما احتجنا إلى هذه الجلسة .

فيما يتعلق بصناعة الحليب والتحكم فيها . في مصر هناك بعض الصناعة الحليبية ، وكذلك في السعودية ، وهي محاولات ، وهي عبارة عن تجميع لصناعات أخرى . التقدم الذي وصلت إليه التكنولوجيا في الدول المتقدمة من الصعب اللحاق به ، فلذا اتجهنا إلى التدقيق في مكونات الحليب الصناعي وصحيته .

الفطام أيضاً له جانب سلبي وجانب إيجابي وهناك الصحة النفسية كما ذكر الأخوان والجانب الاجتماعي ، والمعروف حالياً أن سوء التغذية لا يسببه العامل الصحي فقط بل بالعكس هناك عامل اجتماعي نفسي اقتصادي بيئي ، ولذلك هناك عدة جوانب تلعب دوراً مهماً فيه ، فالجوانب الاجتماعية والنفسية مكتوبة في البحث ولكن لم أشأ التكرار لأن الموضوع أصبح مستهلكاً . التعليم مهم جداً ، وبصراحة عندنا أمية ارضاع الطفل ، فالاطباء يعانون من ذلك فكيف بغير الاطباء ؟ منهج الطب مثلاً لا يعطي معلومات جيدة عن التغذية وبالتالي

يتخرج الطبيب وليس عنده معلوماتت كافية عن التغذية وكذلك المناهج الدراسية . الخادمة لها تأثير على التغذية ، وحالياً يوجد مشروع دراسة نقوم به احدى الجهات في البحرين حول دور الخادمة في جميع القضايا الصحية والغذائية . الأم الحامل إذا اتبعت نظاماً غذائياً جيداً ، فمن الممكن أن تستغني عن الحبوب . المشكلة إذا كانت الأم تعاني من نقص الهموغلوبين ثم لا تتناول غذاءاً جيداً .

المستشفيات ومسئوليتها ؟ لو كان هناك تشريع وقوانين معينة ومحددة فمن الممكن أن نعالج هذه الناحية ، لأن تشريعات المنظمة الدولية واليونيسيف تقضي بايقاف توزيع حليب الاطفال المصنع إلا في مجالات خاصة . ولكن المشكلة أن الحليب الصناعي ما زال عندنا يوزع في المستشفيات فالعملية تجارية بحتة وبالتالي من الصعب الغاؤها .

الاقتصاد المنزلي يدرس للبنات فقط ، لذلك نجد مستوى تعليم البنت في التغذية أحسن من الولد ، وخاصة في الثانوية . فلماذا لا أدرسه للولد كذلك ؟ هناك توجه في البحرين لادخال بعض مواد الاقتصاد المنزلي في مناهج الأولاد ليعرفوا شيئاً من هذه الناحية . واعتقد أن ( العلوم المنزلية ) اسم مقبول في هذه الحالة .

الأم العاملة أكثر ارضاعاً ، وربما يكون ذلك لوعيها الأكثر ، لذلك نريد دراسة أكثر حول التعليم والعمل واثرهما في الرضاعة والتغذية واتفق مع القائلين بان عامل الجهل يلعب دوراً مهماً جداً على جميع الجوانب واشكر لهم هذا التحليل حول دراستي أو دراسة الآخرين ، واتفق معهم في اشياء كثيرة وخاصة بالنسبة للعرض التجاري ، ونحن نعاني منه . واعطي مثالاً بسيطاً ، كنت اتحدث عن تغذية الطفل في المدرسة عن اشياء معينة ومنها الاغذية السيئة ، وفي اليوم التالي اتصل بي أحد التجار ، وقال أنت تريد أن تخسرني ثمانين ألف دينار من دعايتي .

لذا هناك عوامل أخرى مهمة جداً ، والتجار لهم دور كبير كيف يحورون الشيء المعين ، فالعامل التجاري صعب جداً ونحن ما زلنا نعاني منه من الناحية الغذائية ، ولكن نحاول بقدر ما نستطيع أن نثق بالناس .

وعندما نسأل مسئولية من؟ أنا لا اقصد الجهات الأهلية . الحكومة لها دور كبير جداً وهي أقوى في تنفيذه واعطائه . التثقيف الصحي عندما يكون مجهوداً فردياً أو من قبل جهات أهلية يكون تطوعاً ، لكن أنا متأكد عندما تكون هناك برامج حكومية معينة ومحددة فسيكون لها أثر كبير. أتذكر في ندوة الخليج الغذائية قيل من هي الفئة المستهدفة ؟ فقالوا اصحاب القرار ثم الأم لأن اصحاب القرار لو اقتنعوا فمن الممكن أن نغطي الكثير من هذه الجوانب .

د. فيصل الخفش :

أنا سأتكلم باختصار وساجيب على معظم التساؤلات :

أولاً : من ناحية أننا نأخذ الناحية القاتمة كأطباء ، فنحن نحاول أن نبرز هذه النواحي القاتمة لنستفيد من الدروس فيها. فعندما نعطي نتيجة سلبية ٢٠٪ فمعنى ذلك أن هناك ٨٠٪ جيد ، فنحن لم نأت هنا لمناقشة الجيد .

هناك الآن عودة إلى الارضاع الطبيعي بين النساء العاملات وخصوصاً بين اللاتي حصلن على تعليم فوق الثانوي ، هذه علامة تدعو إلى التفاؤل لا شك في ذلك فلا لوم علينا عندما ركزنا على الناحية السيئة .

من ناحية منحنيات النمو فهذه متعارف عليها دولياً ، هناك منحنيات نمو قياسية يعتقد أنها تصلح لمعظم المناطق في العالم فاعتماد العينة الانجليزية ليس لأن الانكليز جنس سام أو غير ذلك . ولكن لأن هذه الدراسات أجريت على مدى خمسة وعشرين عاماً حتى جاءت منحنيات نمو ( تنروجماعته ) وكل العالم يحترمهم بما فيهم نحن وليس في هذا عيب .

من ناحية سوء التغذية وعلاقته بالنزلات المعوية نحن نشير إلى الـ١٠٪ فقط من الاطفال الذين يدخلون المستشفى بسبب هذه النزلات . من هؤلاء الـ١٠٪ ٢٠٪ أي ٢٪ من المصابين بالنزلات المعوية مصابون بمرض سوء التغذية . ما أشير إليه هو حالة جفاف تنتهي بانتهاء النزلة المعوية ، وليست سوء تغذية فمن الممكن أن يفقد الطفل من الـ ١٠٪ نصف كيلو جرام من وزنه ماء ثم يرجع له هذا الماء فهذا ليس سوء تغذية . سوء التغذية هو فقدان جزء من بناء الجسم وخصوصاً بداية الدهن ثم العضلات إذا استهلك الدهن إذن حتى في النزلات المعوية العادية في المجتمع نسبة سوء التغذية فيها قليلة جداً، ولكن لو أخذنا الوضع السريري وهو الممثل الصارخ على سوء التغذية فسوف نجد أن النسبة سيئة وتدعو إلى التشاؤم ، بينما الصورة العامة ليست قاتمة إلى هذا الحد .

هنالك اعتقاد بأن نسبة الارضاع الطبيعي أقل فيمن نراهم من الجانحين وأنا اعتقد بأن هذا الحرمان من الرضاعة الطبيعية له نتيجة نفسية سلبية لم ندرك ما وراءها حتى الآن ، لأن النواحي النفسية صعب قياسها مثل قياس وزن سمك الدهن وما إلى ذلك .

الارضاع ومدى فائدته ـ اتفق مع الدكتور مصيقر ـ يجب أن نفرق بين المعلومات وبين التثقيف الصحي لأن أي كتاب ترشحه فإنما ترشحه على سبيل المعلومات . إن الشيء الذي لم تفعله الجمعيات التي كانت تثقف الناس صحياً هو تبيان فوائد الحليب الطبيعي بعدما اكتشفت سبب الفشل في الارضاع الطبيعي . فسبب الفشل كان يتركز حول شيئين : حل مشاكل الارضاع الطبيعي ، واظن الكل يعرف ما هي ؟ مثل كون الحليب غير كاف ، الحلمة مفتوحة إلى الداخل ، وقت الدوام . . وما إلى ذلك . فإذن هذه الجمعيات التي حاولت أن تحل المشكلة ركزت بدرجة أولى على حل مشاكل الارضاع الطبيعي . وللأسف أن العاملين الصحيين أقل الناس ثقافة في هذا الموضوع ، فكان الغرض تثقيف العاملين الصحيين في حل مشاكل الارضاع الطبيعي . لأن كل أم تدرك

بغريزتها أن الحليب الطبيعي أفضل من الحليب الاصطناعي . إذن مسئولية العاملين في التثقيف الصحي ليست مسئولية اتخاذ القرار ، إنما المبادرة يجب أن تأتي من أناس عندهم خبرة في الموضوع ، وعندهم اهتمام بالموضوع وقناعة بأن هذا الموضوع يجب أن يكون تثقيفاً صحياً ـ الحكومات لا تستطيع ذلك ـ مازلت اعتقد أن المبادرة يجب أن تأتي من سيدات عاملات ارضعن أولادهن سنة كاملة وهن يعملن ثماني ساعات .

د. حسن الإبراهيم :

بالنيابة عنكم جميعاً أحب أن اتوجه بالشكر الجزيل للدكتور مصيقر والدكتور فيصل على اعطاء بعض من وقتهما الثمين في موضوع بالغ الأهمية والحساسية بالنسبة لتنمية الاطفال وصحة الاجيال المستقبلية . . شكراً جزيلاً .

# الندوة الخامسة

## اكتساب اللغة عند الاطفال

الاستاذ أحر شاو الغالي
الدكتور عيسى محمد جاسم

# الندوة الخامسة

## موضوع الندوة : اكتساب اللغة عند الاطفال .

رئيس الجلسة : الدكتور حسن الإبراهيم .

المتحدثان الرئيسيان :

الأستاذ احرشاو الغالي

الدكتور عيسى محمد جاسم

ألقى الندوة د. عصام نوفل

بدلاً من الدكتور : عيسى جاسم .

المشاركون :

١ ـ الدكتور محمد عودة .

٢ ـ الدكتور فيصل الخفش

٣ ـ الدكتور عبدالله الدنان .

٤ ـ الدكتور علي حبيب .

٥ ـ الدكتور نعيم عطية .

٦ ـ الدكتور عبدالله عبد الدايم .

٧ ـ الدكتورة معصومة المبارك .

٨ ـ الدكتورة فاطمة نذر .

٩ ـ الدكتورة تغريد القدسي .

١٠ ـ السيدة خلود الساري .

١١ ـ السيد عبد الفاتح الفولي .

١٢ ـ الآنسة غالية قباني .

# اكتساب اللغة عند الاطفال
## ( الاسس النظرية )

أحر شاو الغالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة سيدي محمد بن عبدالله
ـ فاس ـ

ما المقصود بعملية الاكتساب اللغوي عند الطفل ؟ ما هي مكوناتها وعناصرها ؟ ما هي مظاهرها البنيوية والوظيفية ؟ وإلى أي حد يمكن القول بنظرية عامة حول مراحل ارتقائها وعوامل تكونها وأساليب تحليلها ؟ إذا كانت هذه الاسئلة تلخص أهم الاشكاليات التي يتمحور حولها هذا العرض ، فإن الاجابة على أبرز مضامينها تستلزم الاعتماد على ثلاثة مصادر من المعلومات . يتجلى أولها في النظرية السلوكية التي تنظر إلى اللغة كمجموعة من السلوكات الناتجة عن القوانين العامة للسلوك ، ويتمثل ثانيها في النظرية التوليدية التي تعتبر اللغة كقدرة فطرية مبرمجة من الناحية التكوينية ، ويتعلق ثالثها بالنظرية التكوينية التي تتخذ اللغة كإحدى تجليات النشاط التمثيلي عند الطفل .

إذن إذا كان الهدف الرئيسي لهذا العرض يتلخص في التعريف بأهم المفاهيم والتصورات التي تعتمدها هذه النظريات في مجال مقاربة ظاهرة الاكتساب اللغوي عند الطفل، فإن ما يجب التنبيه إليه هنا هو أن هذه النظريات، حتى وإن كانت لا تمثل اللائحة النهائية لكل الاطروحات التي لها علاقة بهذا الموضوع، فهي تشكل مع ذلك الأطر المرجعية الرئيسية لتحقيق هذا الهدف. وقبل مباشرة الحديث عن تفاصيل هذه النظريات نرى ضرورة الإشارة أولاً إلى بعض الأفكار المرجعية لهذا العرض.

ـ إن مقاربتنا لظاهرة الاكتساب اللغوي عند الطفل ، تتموضع في إطار هذا المنظور المعرفي الذي يرتكز على ثلاثة محاور نظرية كبرى . أولها يتجلى في النزعة

الامبريقة التي تترجمها المبادىء الأساسية للنظرية السلوكية ، وثانيها يتمثل في النزعة العقلانية التي تعبر عليها المواقف العامة للنظرية التوليدية ، وثالثها يتلخص في النزعة الدينامية التي تجسدها المصادرات المركزية للنظرية التكوينية .

ـ تبعاً لهذا المنظور ، نعتقد أن أي مشكل من مشاكل الاكتساب اللغوي عند الطفل لا يمكن النظر إليه بمعزل إما عن نظرية بيئية صرفة كما يتجلى ذلك في النزعة الامبريقية للنظرية السلوكية ، وإما عن نظرية فطرية كما يتضح ذلك في النزعة العقلانية للنظرية التوليدية ، وإما عن نظرية تكوينية كما يبدو ذلك واضحاً في النزعة الدينامية للاتجاه التكويني .

ـ إن اعتمادنا على هذه النظريات دون سواها يرجع إلى عدة اعتبارات ، وفي مقدمتها تغطية هذه النظريات لأهم الاختلافات وأبرز التناقضات القائمة بين النزعات السابقة الذكر ، ثم أهميتها في مجال المقاربة العلمية لظاهرة اللغة وعوامل اكتسابها ، وهي الظاهرة التي تشكل على ما يبدو « أكثر السلوكات والتصرفات الإنسانية تعقيداً وتميزاً » ( كرون ، ١٩٨٩ ص : ٢٣٠ ) .

١ ـ النظرية السلوكية ونزعتها الامبريقية :

منذ انطلاقتها الأولى في أوائل هذا القرن والحركة السلوكية تولي أهمية قصوى لموضوع اللغة . وهذه واقعة يمكن تلمس بعض مضامينها في أعمال بعض اقطابها أمثال : وطسون ، دلارد وميلر ، ثم سكينر . فإذا كان وطسون (١٩٧٢) يؤكد على تحليل جميع الظواهر السلوكية باستخدام مفهومي المثير والاستجابة ويحدد حقل دراسة اللغة في العادات اللفظية ، فإن سكينر (١٩٥٧) يختزل اللغة إلى سلوك اسقاطي آني أو إلى نتيجة ما يشبه هذا السلوك ، حين ذهب إلى إضافة مفهوم التعزيز كعامل ثالث له أهميته في مدار الأحداث الضرورية لوصف السلوك اللفظي وتفسير عوامل ظهوره ( سكينر ، ١٩٧١ ص : ٢٠ ) ، وعلى هذا الاساس يمكن القول بأن المفاهيم والتصورات التي يستخدمها اقطاب هذه النظرية

في معالجة ظاهرة الاكتساب اللغوي تندرج كلها ضمن الوقائع القابلة للملاحظة والضبط .

أ ـ المبادىء الاساسية :

يجمع اقطاب هذهالنظرية على جملة من المبادىء الأساسية التي تصدق بطبيعة الحال على كيفية تعاملهم مع ظاهرة الاكتساب اللغوي عند الطفل ، وقد فضلنا اختصارها في الوقائع التالية :

أ ـ اللغة عبارة عن سلوك :

مادام أن اللغة تتولد عن قوانين السلوك وتشكل سلوكاً كباقي السلوكات ، فإن دراسة مظاهرها وعوامل اكتسابها تستدعي استخدام نفس المفاهيم المعتمدة في معالجة السلوكات الصادرة عن الجسم . ولا بد من الإشارة هنا إلى أن النظرية السلوكية قد أولت أهمية كبرى لعملية التعلم ، حيث تم تخصيص عدد هائل من الابحاث للتعلم عند الحيوان والإنسان على حد سواء ، وقد اعتبرت المفاهيم المستعملة في هذا الاطار كإجراءات قابلة للتطبيق على مستوى تحليل عمليات الاكتساب اللغوي . ويشكل كتاب سكينر (١٩٥٧) عن « السلوك اللفظي » المثال الواضح على المعالجة النسقية لهذه العمليات .

٢ ـ ثنائية المثير والاستجابة :

إن الاعتماد على المثيرات يؤكد مدى الارتباط الوثيق بين انطلاق السلوك أو توقعه وعناصر الوضعية ، فالعلاقات بين المثيرات والاستجابات لا تعتمد أساساً على الافعال الانعكاسية ، بل إنها تنبني على عامل التعزيز الذي يقوم بدور المحرض على إنشاء علاقات جديدة .والواقع أن الاستناذ إلى مثل هذه العلاقات هو الذي يسمح حسب ( سكينر ، ١٩٧١ ، ص : ٢٠ ـ ٢١ ) بالحديث عامة عن ضبط السلوك ( أو الاستجابة ) ومراقبته عن طريق الوضعية .

وبما أن اللغة عبارة عن مجموعة من الاستجابات على المثيرات ذات الطابع الفيزيقي أحياناً واللفظي أحياناً أخرى ، فإن تطبيق هذه المفاهيم أثناء البت في مراحل ارتقائها وعوامل اكتسابها يمثل خطوة محمودة في نظر أقطاب النظرية السلوكية .

٣ ـ التركيز على التبسيط عوض التعقيد :

يتعلق الأمر هنا بنزعة اختزالية قوامها أن البحث في موضوع اللغة يستلزم توظيف نفس المفاهيم ( مثير ـ استجابة ـ تعزيز ) المعتمدة في معالجة الموضوعات الأخرى ، وفي مقدمتها السلوكات البسيطة . والحقيقة أن نزعة من هذا القبيل لا تؤمن بالقطيعة بين الحيوان والإنسان ، فهي لا تأخذ بفكرة الانفصال التام بين ما يتحقق على مستوى التواصلات الحيوانية وما يتم على مستوى الاداءات اللغوية عند الإنسان . فالوقائع الملاحظة عند الأول يمكنها أن تساعد على فهم بعض سلوكات الثاني .

وإن أبرز مثال يمكن توظيفه في هذا النطاق يتجلى في النموذج الذي قدمه موير (١٩٦٠) حول سلوكات الأم وأهميتها في تحريض الطفل على اكتساب اللغة . فالتشابه بين الاصوات التي يرسلها الطفل والانتاجات الصوتية للأم هو الذي يقوم في نظر موير بدور العامل المُحَرِّض على تطوير النشاط اللفظي عند الطفل ، هذا الأخير الذي يصبح بعد ذلك مطالباً بالتمرس على الكلام لوحده في غياب الابوين . والواقع أن هذا المنظور القابل للتطبيق حسب موير على الاطفال وعلى الطيور المتكلمة ( خاصة الببغاوات ) يؤكد بشكل واضح النزعة الاختزالية السابقة الذكر .

٤ ـ التركيز على عملية التعلم في تفسير الوقائع :

إن النزعة الامبريقية بمعناها السيكولوجي تشكل الموقف الصريح الذي رافق النظرية السلوكية منذ تأسيسها الأول على يد وطسون وتلامذته الأوائل ( الرون ، ١٩٧٦ ، ص : ١٥٩ ) . فالكفاءة الفطرية لا وجود لها في نظر أنصار

هذه النظرية ، إذ أن التدريب والمران والخبرة هي وحدها التي تتحكم في قدرات الجسم وتمظهرات هذه القدرات على شكل سلوكات وتصرفات . وما دام أن اللغة التي يتكلمها الطفل تخضع لنفس التحديد ، وتشكل من الناحية الطبيعية لغة بيئته فإن اكتسابها لا يمكنه أن يتحقق في معزل عن عمليات التعلم ومبادئها الأساسية . وكما يؤكد على ذلك ميلر ودلارد ، فإذا كان الطفل يتعلم الكلام فإن سبب ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى كون أن المجتمع هو الذي يعطي لهذا الكلام ( أي لهذه الاستجابة ) مصداقيته ومشروعيته . فالبيئة هي التي تسمح للطفل بالانتقال من التعبير الاشاري إلى التعبير الشفاهي ، حيث أن احتمال حصوله على ما هو راغب فيه يزداد كلما صاحب إشارته بأصوات أو بألفاظ ملائمة ( ميلرودلارد ، ١٩٤١ ، ص : ٨٢ ) .

٥ ـ التركيز على أهمية الوقائع في بناء المفاهيم :

إن النزعة الوضعية التي تستند إليها النظرية السلوكية ترجع جذورها إلى رفض سيكولوجية الشعور ،والسيكولوجيا العقلانية بشكل عام . وهي النزعة التي تنفرد بتركيزها الواضح على العوامل القابلة للملاحظة والضبط الموضوعي وباعتمادها الاكيد على النماذج التي ترجح كفة استعمال مفاهيم المثيرات والاستجابات على كفة استعمال مفاهيم الدوافع والحوافز ( الرون ، ١٩٧٦ ، ص : ١٥٩ ) .

ب ـ القصورات الرئيسية :

كثيرة هي الانتقادات التي تم توجيهها إلى المبادىء الأساسية لهذه النظرية ، وما دام أن عملية الاكتساب اللغوي هي التي تهمنا هنا فإن أهم هذه الانتقادات تتلخص في القصورات التالية :

١ ـ المبالغة في توظيف ثنائية المثير والاستجابة :

إن عملية اكتساب مهارة ما تتوقف في نظر السلوكيين على كيفية إنتاج سلسلة من الاستجابات كردود على المثيرات . فاكتساب اللغة يعني في نظر هؤلاء

قدرة الطفل على انتاج مثل هذه السلسلة من الاستجابات التي لا تختلف عن مثيلتها في مجال تعلم الافعال الحركية وغيرها ، والحقيقة أن التركيز على هذه الاستجابات ، بحيث تتوقف كل استجابة على المثير الذي يسبقها ، يمثل إحدى النقط الضعيفة في النظرية السلوكية . وبعبارة أوضح ، إن سلسلة المثيرات والاستجابات التي تنبني على ما تعكسه الملاحظة البسيطة لا تتجاوز في قيمتها العلمية حدود المفاهيم الاستكشافية الضيقة لكونها لا توجه الباحث نحو الملاحظات أو التجارب اللازمة لتطوير المعرفة.

٢ ـ إغفال الخاصية الابداعية للغة :

هناك تعارض واضح بين الخاصية الإبداعية للغة والمنظور السلوكي للاكتساب اللغوي . فالسلوكيون يتخذون من الخبرات والعادات المتكررة الاطر المرجعية لعملية اكتساب اللغة . والواقع أن التعامل مع هذه العملية بهذا المنظور البسيط يعني ضمنياً رفض كل التغيرات ذات المرجعية الذاتية ، وبالتالي النظر إلى الجسم كآلة ساكنة تتحكم فيها المتغيرات البيئية . لكن الملاحظ هو أن هذا التعامل يتناقض مع كل المعطيات والوقائع التي تبرهن عى إمكانية تعميم المثيرات والاستجابات منذ ظهور الاستعمالات الأولى للكلمات عند الطفل ( الرون ،ص : ١٧٠ ـ ١٧٢ ) .

٣ ـ المبالغة في استخدام عامل التعزيز :

يمثل هذا العامل المفهوم الرئيسي الذي أَصْبَحَت الدراسات السلوكية الحديثة تـرظفة في معالجة ظاهرة الاكتساب اللغوي . فتبعاً لابحاث بيل رأينسوورت (١٩٧٢ ) عن الصراخات ، وأبحاث تودوبلمر ( ١٩٦٨ ) عن الثغثغات . هناك عدة وقائع تؤكد أهمية هذا العامل ودوره في اكتساب النشاطات غير اللفظية . إلا أنه بالنسبة للغة في معناها اللفظي ، فإن الأمر يبدو مغايراً ذلك أن بعض التوليديين وفي مقدمتهم سلوبن (١٩٧١) لا يمنحون أي دور لهذا العامل في عملية الاكتساب اللغوي . ويرجع سبب ذلك إلى كون أن الآباء في نظره نادراً

ما يقومون بتصحيح الاخطاء النحوية الواردة في ملفوظات أطفالهم ؛ إذ أن همهم الوحيد هو الانتباه إلى درجة تطابق هذه الملفوظات مع خصائص الواقع ( سلوبن ، ١٩٧، ص : ٩٨ ـ ١٠٠ ) . غير أن هذا المبرر لا يمثل على ما يبدو الدليل القاطع على أسباب رفض هذا العامل ، إذ أن الملاحظات التي يستند إليها جزئية ومحدودة في معظمها ، فعدد الاطفال الذين تمت ملاحظتهم لم يتجاوز في اقصى الحدود ثلاثة عناصر .

٢ ـ النظرية التوليدية ونزعتها العقلانية :

إذا كانت ظاهرة الاكتساب اللغوي قد شكلت منذ أوائل هذا القرن محور مقاربات سيكولوجية متنوعة ، فهي لم تحظ في المحاولات اللسانية الكلاسيكية بأهمية تذكر . فباستثناء بعض المحاولات النادرة المتمثلة على الخصوص في أعمال جكوبسون ( ١٩٤٩ ) وجرجوار (١٩٤٧ ) ، فإن الاهتمام بهذه الظاهرة لم يتجاوز حدود المعالجة اللسانية الظرفية . لكن الاتجاهات اللسانية الحديثة ، وفي مقدمتها النظرية التوليدية قد أولت هذه الظاهرة ما تستحقه من عناية على مستوى البحث والتقصي . وهكذا فنحن نعلم أن تشومسكي ( ١٩٦٤ ) لم يبخل بالنظر في محددات هذه الظاهرة داخل النظرية العامة للغة . وهي النظرية التي تستلزم في اعتقاده البناء العلمي لنماذج دقيقة حول كفاءة المتكلم وإنجازه ودرجة اكتسابه للغة (ريشل، ١٩٧٦، ص: ١٦-١٧).

والحقيقة أن النظرية التوليدية ، وبفعل نزعتها الفطرية ، قد أبانت منذ تأسيسها على فعلها المضاد تجاه سيطرة نظريات الادراك والتعلم ، وعلى الخصوص نظرية سكينر ( ١٩٧١ ) ، فتشومسكي يرى أن إهمال هذه النظريات للجانب الابداعي للغة قد أدى بها إلى التخلي عن دراسة البنى اللغوية العميقة ، وبالتالي إغفال ما للتنظيم الداخلي من أهمية في فهم الملفوظات وإدراك معانيها ( تشومسكي ، ١٩٦٤ ، ص : ١١٢ ) .

أ ـ المبادىء الاساسية :

إن نقطة انطلاق هذه النظرية تختلف تماماً عما رأيناه بالنسبة للنظرية السلوكية . فهي نظرية لسانية بالدجرة الأولى كانت وما تزال تهتم باللغة في بعدها الاكتسابي . وتتخلص أهم المبادىء المتحكمة في التوجهات العامة لهذه النظرية في المواصفات التالية :

١ ـ الدفاع على التعقيد عوض التبسيط ؛

على عكس المظاهر التبسيطية التي اتسمت بها النظرية السلوكية ، فإن النظرية التوليدية تتخذ من ظاهرة اللغة وعوامل اكتسابها الموضوع المعقد المتمثل في كفاءة المتكلم . وهي الكفاءة التي تشكل الترابط العلاقي للبناء النظري ، وبالتالي الكيان المجرد البعيد كل البعد عن المتكلم الذي ركزت عليه النظرية السلوكية . والحقيقة أن هذه الاطروحة التي يمثلها تشومسكي (١٩٦٨) لا تنطبق فقط على المتكلم الراشد الذي يمتلك جميع دقائق اللغة بل إنها تصدق أيضاً عى المتكلم الطفل وعلى اكتساباته الأولية للغة ، وأكثر من هذا فإن هذه الاطروحة ذهبت إلى حد المماثلة بين الطفل وكيفية اكتسابه للغة والباحث اللساني وطريقة مقاربته لهذه اللغة ، بدعوى أنه إذا كان هذا الأخير يصوغ فرضيات دقيقة حول اللغات الطبيعية فإن الأول يستخدم بدوره ما يشبه هذه الفرضيات وذلك بفعل النظرية اللسانية التي يتوفر عليها .

٢ ـ أهمية جهاز اكتساب اللغة :

لقد أغنى تشومسكي (١٩٦٨ ) الانحاء الصورية بمساهمات جد مهمة وعلى الخصوص فيما يتعلق باختيار المفاهيم وبناء الانساق القابلة للمعالجة الرياضية والتحليل بواسطة الآلات . والواقع أن استناده إلى هذه الاساليب هو الذي يجسد ما يعنيه بجهاز اكتساب اللغة ، وهو الجهاز الذي وظفه بعض اتباع تشومسكي في تفسير عملية الاكتساب اللغوي عند الطفل . فتبعاً لما ينص عليه مكنيل (١٩٦٨) ، فإن البنية الداخلية لهذا الجهاز قابلة للوصف بواسطة نظرية نحوية .

فإلى جانب كل ذلك فإن هذه البنية هي التي تسمح لجهاز اكتساب اللغة باختبار المعطيات اللسانية وبتنسيق الخصائص الكونية لنظام النحوي ( مكنيل ، ١٩٦٨ ، ص : ٤٠٦ ـ ٤٢٠ ) . وعلى هذا الأساس فإن أول خطوة يجب اعتمادها في تحديد عملية اكتساب اللغة تتجلى في تعيين البنية الداخلية لهذا الجهاز ، بمعنى البنية الداخلية للطفل الذي يتعلم اللغة وينشىء نظرية لسانية حولها .

ظ ـ اللغة انتاج فطري :

يشكل مفهوم الفطرة المسلمة الرئيسية للنظرية التوليدية . وهي المسلمة التي تمثل محور التعارض بين هذه النظرية والنظرية السلوكية . فالمشكلة ، يقول تشومسكي « لا ترتبط بمعرفة ما إذا كان التعلم يستدعي بنية فطرية أم لا ، لأن هذا حتمي ولا أحد ينكره ، بل المفروض هو معرفة البنية الفطرية الخاصة بكل مجال » ( تشومسكي ، ١٩٧٧ ص : ٣٢ ) . وعلى ضوء هذه المسلمة تصبح اللغة في نظر تشومسكي بمثابة النظام المعقد من الرموز والمعاني الذي ينتجه الفرد بطريقة فطرية وبمعزل عن أية مراقبة شعورية .

فالإنسان عادة ما يتعلم الصياغات النحوية والتراكيب اللغوية بفعل ما يحتويه عقله من استعدادات أوليه ومن محددات فطرية . ولهذا فإن عملية الكلام ، بمعنى العملية الفيزيقية التي تأتي في آخر المطاف ، ما هي إلا إثبات وتأكيد لهذه المحددات الفطرية ( تشومسكي ، ١٩٦٩ ، ص : ١٢٥ ـ ١٢٦ ) . ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذا التأكيد على الطابع الفطري للغة يرجع بالدرجة الأولى إلى الابستمولوجيا العقلانية التي ينتمي إليها تشومسكي ، وهي الابستمولوجيا التي ترى في المحددات الفطرية وفي القدرات الابداعية ، الاطار المرجعي الضروري لأي اكتساب لغوي . فبفعل توفره في البداية على هذه المحددات والقدرات ، فإن الطفل لا يختلف في نظر تشومسكي ( ١٩٧٠ ) عن الباحث اللساني الذي يسعى باستمرار إلى إعادة بناء هذه المعرفة المتعلقة باللغة

ربما هذا ما أدى بتشومسكي اتخاذ جهاز اكتساب اللغة بمثابة العامل الرئيسي في اكتساب الكفاءة اللغوية ، خاصة وأن مسألة الاكتساب هاته يستحيل البت في مظاهرها بصورة أمبريقية . ولقد ذهب تشومسكي ( ١٩٧٠ ) ومكتيل (١٩٧٠ ) إلى تقديم عدد من الحجج التي تؤكد على الطابع الفطري للاكتساب اللغوي عند الطفل، ويمكن اختصار أهمها في اثنتين. الأولى، وهي من نوع بيولوجي، مفادها أن الإنسان وحده هو الذي يكتسب اللغة لكونه يتوفر على استعدادات فطرية لهذا الاكتساب . والثانية ، وهي من نوع لساني ، مؤداها أن معرفة لغة ما تعني بالدرجة الأولى معرفة بنياتها العميقة، وبما أن هذه البنيات على عكس البينات السطحية ، لا تندرج ضمن المعطيات القابلة للادراك ، فإن اكتسابها لا يكون والحالة هاته اكتساباً امبريقياً . فالطفل عادة ما يكتسبها دون أن يكون قد واجهها على شكل مثيرات أو أمثلة أو غيرها من الوقائع الخارجية ( مكنيل ، ١٩٧٠ ، ص : ١٠٨٦ ) .

ب ـ القصورات الرئيسية :

يمكن حصر هذه القصورات في المستويات الآتية :

١ ـ المماثلة بين الطفل وعالم اللسانيات :

كثيراً ما ينتهي تشومسكي ( ١٩٦٤ ) وبعض اتباعه ، وعلى الخصوص مكنيل (١٩٦٨ ) ، إلى صياغات غريبة من قبيل أن التكوين الفطري للطفل ينضوي على نظرية لسانية معقدة تشبه في تركيبها تلك التي يبنيها عالم اللسانيات . وأهم ما يلاحظ على هذا التحديد ، ابتعاده الواضح عن المضمون الدلالي المتداول بخصوص مفاهيم :ـ اكتساب . تعلم ، تحصيل . . . إلخ . فما معنى أن يطبق الطفل نظرية لسانية معقدة سواء على مستوى السلوكات والتصرفات أو على مستوى الآليات النوروفيزيولوجية التي تتضمنها ؟ وما معنى أن ينشيء الطفل التمييزات ويستخدم الفرضيات ؟ وأكثر من هذا إلى أي حد يمكن المماثلة بين الطفل والباحث اللساني في تعاملهما مع اللغة؟ الواقع أن آراء من هذا القبيل لا تضيف في نظر ريشل ( ١٩٧٦ ) إلى معرفتنا عن البنى اللغوية وعن آليات اكتسابها

أي شيء يذكر . فهي عبارة عن اجراءات خيالية لا أساس لها من الصحة في تحديد نصيب الشروط الفطرية في تكون السلوكات اللغوية وارتقائها ، أو على الأحرى في وصف عملية الاكتساب اللغوي وتفسير مكوناتها ومحدداتها . وخير دليل على خيالية هذه الاراء هو أن الطفل والباحث اللساني لا يتوفران على نفس القدرات والأساليب ومصادر المعلومات . فإذا كان بمقدور الثاني تطبيق مناهج التحليل والاستدلال والمقارنة بين اللغات ومعطياتها التاريخية ، فإن الأول لا يتوفر إلا على وقائع محدودة ولا يصل إلى هذا المستوى الافتراضي ـ الاستقرائي ، الذي يمثل أساس كل نظرية علمية إلا بعد سن الثانية عشرة إذا ما صدقنا بياجي ( ريشل ، ١٩٧٦ ، ص: ٢٤ ـ ٢٥ ) .

٢ ـ النزعة الفطرية والموقف العقلاني المتطرف :

إذا كانت المحددات الفطرية تحظى بمكانة متميزة داخل النظرية التوليدية ، فإن الدور الذي تمنحه للعوامل البيئية لا يتجاوز حدود صقل وتطوير الوظيفة اللسانية . وهذه واقعة لا يمكن قبولها هكذا بدون النظر في مصداقية مضامينها وحججها . فالواقع أنه لم يسبق لأي كان أن قال باهمال دور المحددات الفطرية في الاكتساب اللغوي ، وبالتالي فإن المشكل لا يتعلق أساساً بترجيح كفة هذه المحددات أو تلك لأن الكل يسلم بأهمية جميع المحددات والعوامل ، فطرية كانت أم بيئية . وما دام أن المشكل يتجلى في تحديد خصائص هذه المحددات فإن المنحى الذي تأخذه النظرية التوليدية يبدو هنا بعيداً كل البعد عن التوجهات العامة للبحث الحديث في مجال الاكتساب اللغوي عند الطفل ( الرون ، ١٩٧٦ ، ص: ١٦٥ ـ ١٦٦ ) . فبفعل موقفهم العقلاني المتطرف الذي ينفي دور العوامل التاريخية والاجتماعية لم يتردد اقطاب هذه النظرية في الأخذ بفكرة الكليات اللسانية ( وهي كليات فطرية ) واعتبارها بمثابة الاطار الملائم لتعيين الجوانب التكوينية للجسم . لكن ما يلاحظ على هذا الموقف هو أنه حتى وإن سلمنا مع هؤلاء بأن السرعة التي بموجبها يكتسب الطفل اللغة في سنواته الأولى

تشكل الدليل الواضح على الدور الذي تلعبه المحددات الفطرية في هذا الاكتساب ، فإن ذلك لا يعني أن عملية الاكتساب هاته تتحقق بشكل نهائي في ظرف سنتين أو ثلاث سنوات . فكل التجارب التي عالجت الصيغ التركيبية المعقدة بما في ذلك الصيغ التي اقترحها تشومسكي ( ١٩٦٩ ) تنص على أن الاكتساب الفعلي لهذه الصيغ لا يتم إلا بعد سن الرابعة ( جكيبويوتز ، ١٩٧١ ، ص : ١٧٣ ـ ١٧٥ ) .

٣ ـ رفض النزعة الامبريقية :

إن هذا الرفض يبدو غير منطقي إذا ما نظرنا إليه في مستواه العام . فكما يشير إلى ذلك درونج (١٩٧٣) لا أحد ينكر وجود بعض العوامل البنيوية عند الإنسان ، ولا أحد ينكر الفروق البيولوجية بين الإنسان والحيوان . صحيح أن بعض المحاولات ، وفي مقدمتها النظرية السلوكية ، التي ركزت على دراسة التعلم اللغوي عند الحيوان تبدو وكأنها لاتؤمن بهذه العوامل والفروق ، إلا أن الفشل الجزئي إو الكلي لهذه المحاولات يمثل البرهان الذي لم يعد بإمكان أي باحث ، حتى وإن كان ينتمي إلى نزعة امبريقية متطرفة ، أن يهمله أو أن يتجاوزه . وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن النزعة الفطرية تصبح هي الأخرى لا قيمة لها إذا لم تزاوج في معالجتها لعملية الاكتساب اللغوي بين ما هو فطري بنيوي وما هو بيئي اجتماعي .

٣ ـ النظرية التكوينية ونزعتها الدينامية :

الواقع أن المشروع العلمي لبياجي ، ورغم تنوع مضامينه ، يتمحور حول مسألة محددة وهي : إعداد نظرية للمعرفة . وإن الحديث عن موقع دراسة عملية الاكتساب اللغوي ضمن هذا المشروع يستوجب التعريف أولاً بأهم المصادرات التكوينية التي تنبني عليها إبستمولوجية بياجي ( برنكار ، ١٩٧٧ ، ص : ٤٧ ـ ٥١ ) .

أ ـ المصادرات الأساسية :

تشكل النزعة الاحيائية الخاصية المميزة لنظرية بياجي . فالقوانين المتحكمة في السلوكات الإنسانية ما هي في نظره سوى امتداد للميكانيزمات الموجودة سلفاً في الصيغ الاصلية ( الفطرية ) . وإن الذكاء الإنساني وهو أهم هذه الميكانيزمات عادة ما يتولد عن تطبيق هذه القوانين البيولوجية على المستويات المنظمة للحياة . وعلى هذا الأساس يمكن اختصار هذه المصادرات في المفاهيم الثلاثة الآتية :

١ ـ مفهوم التفاعلية :

يعبر هذا المفهوم على طبيعة العلاقات القائمة بين الذات والبيئة . وهي العلاقات التي تتجلى في نظر بياجي ( ١٩٧٠ ) في نوع من التأثير المتبادل بين هذين الطرفين . والحقيقة أن بياجي وبفعل هذا الموقف الدينامي ، يتموضع في الوسط ، حيث نجده يأخذ احتياطاته تجاه التصورات الامبريقية ، وبشكل خاص تصورات السلوكيين ، وتجاه التصورات العقلانية الكلاسيكية وعلى الخصوص النظريات القبلية التي تمجد دور بنيات الجسم .

٢ ـ مفهوم البنائية :

يحيل هذا المفهوم وفي آن واحد إلى دور فعل الجسم ونشاطه وإلى دور العوامل التكوينية وارتقائها في تشكيل بنيات المعرفة . وما دام أن فعل الجسم ونشاطه يحظيان بالاسبقية التكوينية فإن انبناء المعرفة يتم حسب بياجي (١٩٧٠) تبعاً لمجموعة من الافعال والاختيارات المطبقة على البيئة وعناصرها . فالكائن الإنساني لا يتوفر عند الميلاد سوى على الميكانيزمات الوظيفية التي لا وجود فيها للبنيات المعرفية المبنية أو المبرمجة سلفاً . وتتمثل وظيفة هذه الميكانيزمات في تَقْعِيدِ حالات التوازن بين معرفة الذات ومعطيات البيئة .

٣ ـ مفهوم التوازن :

في إطار حديثه عن البنائية يركز بياجي (١٩٧٠) على مفهوم التوازن الذي تتجه إليه بنيات الذات . ويعني هذا أن حالات التوازن المتتالية هي التي تحدد

البنيات المعرفية للذات ، وفي حالات التوازن الكامل يمكن الحديث عن المراحل .

ب ـ الاطر المرجعية لعملية الاكتساب اللغوي :

الحقيقة أن بياجي لم يكرس وقتاً كبيراً لدراسة ظاهرة الاكتساب اللغوي بشكل مستفيض كما فعل بالنسبة للمظاهر المعرفية الأخرى . فاهتمامه بهذه الظاهرة جاء ضمن اهتمام واسع يتجلى في تحديد الدائرة التكوينية التي تجمع بين اللغة والفكر . وعلى هذا الأساس فإن الحديث عن مفهوم ظاهرة اكتساب اللغة ضمن هذا الاهتمام الواسع يستلزم الاعتماد على الاطارين المرجعيين التاليين :

١ ـ الوظيفة الرمزية :

الملاحظ أن بياجي ، ومنذ الاصول الأولى لنظريته التكوينية ، يتبنى أطروحة تبعية اللغة للفكر ، وهي الاطروحة التي تترجمها من جهة كتاباته حول الأنوية اللغوية عند الطفل ( بياجي ، ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ ) ، ومن جهة أخرى مؤلفاته عن تكوُّن العمليات المعرفية عند الطفل ( بياجي ، ١٩٣٦ ـ ١٩٤٦ ) . فعلى امتداد هذه المؤلفات نجده يؤكد على أهمية التقليد المؤجل واللعب الرمزي والصورة العقلية في اكتساب اللغة عند الطفل ، فهو يتعقب خطوة بعد خطوة التمظهرات الأولى لهذه العمليات في إطار ما يسميه بالوظيفة الرمزية ، وهي الوظيفة التي تتولد عن الارتقاء السيكولوجي للطفل وتسمح له باكتساب اللغة واستعمالها . « فبفعل التنسيق المحكم للمخططات الحسية الحركية ، ـ يقول بياجي ، يصبح الطفل في المرحلة السادسة من النمو متوفراً على مخططات تمثلية من قبيل التقليد المؤجل واللعب الرمزي . وعند هذا الوقت بالذات يمكن للطفل أن يكتسب اللغة ، حين تصبح الكلمة عبارة عن علامة ترمز إلى شيء معين قابل للتخيل والاستحضار وفي معزل تام عن مرجعه الفيزيقي » ( بياجي ، ١٩٤٦ ، ص: ٢٤٥ ) . يبدو من هذا النص أن اللغة التي تشكل في نظر بياجي نظاماً من العلامات والرموز المتفق عليها ، تستلزم جملة من التنظيمات التي تستحيل المراهنة

على وجودها عند الطفل ؛ إذ أن كل ما يتوفر عليه هذا الأخير أثناء اكتسابه للغة لا يتجاوز حدود تلك القاعدة العامة المتمثلة في الوظيفة الرمزية . وبعبارة أدق فإن اللغة وعملية اكتسابها تشكل في نظر بياجي مظهراً من مظاهر الوظيفة الرمزية التي تضرب بجُذُورِهَا في نمو الذكاء الحسي ـ الحركي الذي يركز بدوره على الفعل والتقليد ..

٢ ـ النمو المعرفي :

إن اللغة ، ورغم أهميتها في تطوير النمو المعرفي عند الطفل ، لا تشكل في نظر بياجي (١٩٦٤) المصدر الوحيد لجميع العمليات في غياب فعل الذات ونشاطها . فكل الابحاث التي تمت على مستوى انبناء العمليات المنطقية عند الطفل توضح أن هذه الأخيرة لا تتكون دفعة واحدة بل إنها تمر بمرحلتين متتابعتين . فهناك أولاً مرحلة العمليات المشخصة التي تنطلق مع سن السابعة أو الثامنة وخلالها نجد الطفل يتعامل مع اصناف الموضوعات الفيزيقية حيث يرتبها وصنفها تبعاً لكبرها وصغرها وقبل السيطرة عليها من الناحية اللفظية .

إذن ، ما دام أن هذه العمليات تعود من حيث المصدر إلى منطق الافعال والسلوكات، بمعنى أنها تنبني على استخدام الموضوعات وتحريكها قبل التعبير عنها لفظياً ، فإن اللغة لا تمثل في نظر بياجي « الشرط الأساسي لتشكلها ، ولا المصدر الرئيسي لانبنائها عند الطفل . فدورها لا يتجاوز حدود توسيع مدار هذه العمليات ومَدِّهَا بصفات الثبات والتعميم » ( بياجي ، ١٩٦٤ ، ص: ١٠٧ ) .

وهناك ثانياً مرحلة العمليات المنطقية الافتراضية التي تنطلق مع حوالي سن الثانية عشرة ، وهي المرحلة التي يصبح معها فكر الطفل مجرداً وعاماً بفعل تحرره من قيود السلوك الفعلي ( نسبة إلى الفعل ) المبني على الاشياء . لكن السؤال المطروح هنا يتعلق بدور الاكتساب اللغوي في انبناء هذه العمليات. في الواقع أن جميع العمليات المنطقية التي يكونها الطفل خلال هذه المرحلة ترجع خصائصها إلى مراحل سابقة حتى على وظائفها الرمزية . فهذه الخصائص ، يقول بياجي،تمتد

جذورها في طبقات من طبيعة حسية ـ حركية سابقة حتى على الوظيفة الرمزية نفسها . فعمليات العكسية والتوازي والترابط والهوية ما هي إلا صيغ متطورة للعمليات التي نجدها في جميع مستويات النمو . . . إن الطفل في مراحله الأولى غالباً ما ينجح في استعمال بعض الموضوعات كأدوات لبلوغ الاهداف المتوخاة» ( بياجي ، ١٩٦٤ ، ص : ١١٢ ) . وتبعاً لهذا يمكن القول بأن استعمالات اللغوية هي التي تغتني بهذه الاكتسابات المنطقية الجديدة وليس العكس . فاللغة إذن ليست هي الفكر أو التعبير اللفظي عن الفكر لأن بنيات هذا الأخير تمتد جذورها حسب بياجي بعيداً في الفعل وفي الميكانيزمات الحسية ـ الحركية التي تتجاوز في عمقها الفعل اللساني والحدث اللغوي . لكن مع ذلك من الأكيد أن بنيات الفكر كلما كانت أكثر صفاء وأكثر استعداداً كلما أصبحت اللغة ضرورية لتطويرها وصقلها. فهي إذن عبارة عن شرط ضروري لأنه بدون نظام التعبير الرمزي الذي تمثله لا يمكن للعمليات المنطقية أن تصبح عمليات مجردة تحكمها الرموز . وأكثر من ذلك فبدون هذا النظام لا يمكن لهذه العمليات أن ترقى من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي التواصلي . وهذا ما يدل في نظر بياجي على أن اللغة والفكر تربطهما دائرة تكوينية تجعل أحدهما ضرورياً للآخر ، على اعتبار أنهما يعتمدان معاً على الذكاء في نموه وتطوره .

حـ ـ القصورات الرئيسية :

كما سبقت الاشارة إلى ذلك فإن بياجي لم يهتم في مشروعه العلمي بظاهرة اللغة في حد ذاتها ولم يخصص أبحاثاً مستقلة لمراحل ارتقائها وعوامل اكتسابها عند الطفل . فباستثناء أعماله حول الأنوية اللغوية والوظيفة الرمزية عند الطفل ليس هناك أعمال أخرى تؤكد هذا الاهتمام . ومن أهم القصورات التي يمكن تسجيلها على التوجهات العامة لمنظور بياجي بخصوص مسألة الاكتساب اللغوي نشير إلى ما يلي :

١ ـ يتضح من المصادرات الأساسية لابستمولوجيته أن بياجي (١٩٧٠) وبالاضافة إلى رفضه للاتجاهات الامبريقية ، وعلى الخصوص التصور السلوكي الذي يعتبر الذات ساكنة ويرجع كل شيء إلى المثيرات والمتغيرات البيئية ، يحاول الابتعاد عن التصورات القبلية ، إذ يرفض القول بفطرانية البنية ولا يقبل إلا « الثوابت الوظيفية » من قبيل الاستيعاب والتلاؤم والتوازن . فالاطار التأسيسي لكل معرفة لايتجلى في نظره في مجرد تجميع الانطباعات الخارجية، بل أيضاً في استيعاب هذه الانطباعات عن طريق بنيات الذات . وبفعل هذا الموقف المزدوج الرافض من جهة للاتجاهات الامبريقية وللتصورات القبلية من جهة أخرى هناك من ذهب إلى اعتبار بياجي كباعث للنظرية الكانطية في ثوب جديد . غير أن هذا الزعم يفتقر على ما يبدو إلى المصداقية لا سيما وأن بياجي نفسه يؤكد على أن موقفه هو بالدرجة الألى موقف دينامي يجمع بين الامبريقية والعقلانية ( برنكار ، ١٩٧٧ ، ص : ٥١ ) .

ـ إذا كان الموقف الذي يتبناه بياجي بخصوص عملية الاكتساب اللغوي يفتقر إلى الوقائع والحجج فمرد ذلك هو عدم اهتمامه أولاً بالدراسة المستقلة لهذه العملية وثانياً عدم توفر المعطيات الخاصة بهذه المسألة أثناء صياغته للتصور الذي أتينا على تلخيصه .

ـ الواقع أن بياجي لم يقص أبداً المظاهر النوعية للنسق اللساني ، بل إن كل ما ينبه إليه هو أن هذه المظاهر الناتجة عن المجتمع لا تستلزم لدى الفرد المطالب بتعلمها قدرات نوعية مطابقة . فالطفل يكتسب اللغة ويتعلمها بفعل جهازه النوروعصبي وذكائه وقدراته المعرفية العامة .

# خلاصة

كثيرة هي الخلاصات التي يمكن الاشارة إليها في نهاية هذا العرض . وأفضل أن أصوغ أهمها على شكل وقائع وملاحظات ثلاث لأن الموضوع ، كما اسلفت ، غني ومتميز وأكثر من هذا فهو شائك :

١ ـ الواقع أن منطق العلم المعاصر لم يعد يقبل التفسيرات الجاهزة والاحادية الجانب . فلا مكانة للنزعات الاختزالية المتطرفة في هذا المنطق . وبالتالي فإذا كانت النظرية السلوكية ذات النزعة الامبريقية تنكر على اللغة الإنسانية خاصيتها الابداعية جاعلة منها الموضوع البسيط القابل للملاحظة والضبط الموضوعي ، وإذا كانت النظرية التوليدية ذات النزعة العقلانية تفرغ اللغة من ماهيتها متخذة إياها كخاصية مطلقة مجردة عن سياقها الطبيعي ، فإن كل هذا يتناقض مع الروح العلمية لهذا المنطق .

٢ ـ أعتقد أنه من العبث المراهنة حالياً على تعيين المظاهر الاكتسابية للغة عند الطفل في معزل عن الطابع الشمولي للسلوك اللغوي في بعده الدينامي ، وهو البعد الذي يرتكز على التفاعل العضوي بين الأنا واللغة والعالم . فإذا كان الأنا يشكل المحور فإن اللغة تمثل الأداة التي يوظفها هذا الأنا في التعبير عن الوجود وعن الكون . ويعني هذا أن عملية تكون اللغة واكتسابها من طرف الطفل تنبني على نوع من الدائرة المستمرة بين الأنا والعالم واللغة ، وهي الدائرة التي نجد بعض مواصفاتها في النظرية التكوينية لبياجي ، رغم أن هذا الأخير لم يركز إلا على بعدين إثنين هما الفكر واللغة .

٣ ـ ضمن هذا التحديد الذي يسلم بالتفاعل الدائري بين الأنا والعالم واللغة ، يندرج المنظور الحالي للبحث في عملية الاكتساب اللغوي . وهو المنظور الذي ، وبفعل اعتماده على الوظائف اللسانية النموذجية وعلى المظاهر التداولية والنسقية ، أصبح يشكل الاجراء الملائم للخروج من مأزق المقاربات الاختزالية ، أمبريقية كانت أم عقلانية .

# المراجع


1-Bell (S.M), Ainsworth (C.M): Infant crying and maternal responsiveness, child. develop. 1972, 43, 1170-1190.

2- Beronckart (J.P): Théories du langage, Bruxelles, Mardaga, 1977.

3- Caron (J): Précis de psycholinguistique, Paris, P.U.F, 1989.

4- Chomsky (N): Current issues in linguistic theory, la Haye, Mouton, 1964.

5- Chomsky (N), Miller (G.A): L'analyse formelle des langues maternelles, Paris, Gauthier-Villars, La Haye, Mouton, 1969.

6- Chomsky (N): La Linguistique cartesienne, (trad. fran.), Paris, Eds du Seuil, 1969.

7- Chomsky (N): Un compte rendu du «comportement verbal» de B.F. Skinner, langages, (trad. fan.) Dec. 1969, 16-49.

8- Chomsky (N): Le langage et la pensee, (trad, fran.), Paris, Payot, 1970.

9- Chomsky (N): Reflexions sur le langage, (trad. fran.), Paris, Maspero, 1977.

10- Derwing (B.L); Transformationnal grammar as a theory of language acquisition, Londres, Cambridge Univ. Press, 1973.

11- Gregoire (A): L'apprentissage du langage, Liege, Bibliotheque de la faculte de philosophie et lettres, 1947.

12- Jakobson (R): Les lois phoniques du langage enfantin et leur place dans la phonologie generale, in Troubetz Koy N., principes de phonologie. Paris. Klincksiek, 1949, 367-379.

13- Jakabowitz de Matzkin (C.): La comprehension ds phrases negatives. these Univ. Paris 5, 1971.

14- Mc Neil (d.): On theries of language acquisition, in Dixon T. et Horton D., Verbal bchavior and general behavior theory, Prentice Hall, 1968.

15- Mc Neil (D.): The development of language, in P.E. MUSSEN (ED), Carmichael's manual of child psychology, New York, Wiley, 1970.

16- Miller (G.A), Dollard (J): Social learning and imitation, New Harver, Yale Univ. Press, 1941.

17- Mowrer (O.H): learning theory and the symbolic processus, New York, Wiley, 1960.

18- Oleron (P): L'acquisition du langage, in traite de psychologie de L'enfant, T:6, Paris, P.U.F, 1976.

19- Piaget (J): Le langage et la pensee chez L'enfant, Neuchatel, Delachaux et Niestle, 1923.

20- Piaget (J): le jugement et le raisonnement chez L'enfant, Neuchatel, Delachaux et Niestle, 1924.

21- Piaget (J): La naisance de L'intelligence chez L'enfant, Neuchalet Delachaux et Niestle, 1946.

23- Piaget (J): Le langage et la pensee, in Six etudes de psychologie, Geneve, Gonthier, 1964.

24- Piaget (J): Inhelder (B.): La psychologie de L'enfant, Paris, P.U.F, 1966.

25- Piaget (J): L'epistemologie genetique, Paris, P.U.F, 1970.

26- Richeile (M): L'acquistion du langage chez L'enfant, Bruxelles, Mardaga, 1976.

27- Skinner (B.F): Verbal behavior, Newyork, Appelton, Century Crofts, 1957.

28- Skinner (B.F): L'analyse experimentale du comportement, (trad. fran.), Bruxelles, Dessart et Mardage, 1971.

29- Slobin (D.I): Psycholinguistics, Gleuview, Scott foresman, 1971.

30- Todd (G.A): Palmer (B): Social reinforcement of infant Babbling, child. devlop. 1968, 39, 591-596.

31- Watson (T.J): Le behaviorisme, (trad. fran.), Paris, C.E.P.L, 1972.

# اكتساب اللغة عند الأطفال
## (الأسس التطبيقية)

# حصر المفردات اللغوية المنطوقة لاطفال مرحلة رياض الاطفال في الكويت
## (٤-٦ سنوات)

اعداد
د. عيسى محمد جاسم د. عصام الدين نوفل

## المقدمة :

اللغة وسيلة التفاهم والتعبير بين البشر وهي وسيلة لنقل التراث والتوسع الثقافي عبر الاجيال ، وهي وسيلة الإنسان للتعلم واكتساب الخبرات المختلفة الجديدة في شتى المجالات إضافة إلى أنها مظهر من مظاهر حياة الإنسان والتي تميزه بشكل خاص وفعال عن بقية الكائنات . ودراستها أمر هام وضروري من الناحية النفسية والاجتماعية والتربوية وغيرها من مظاهر اللغة . ولعل من أهم جوانب دراسة اللغة هو تتبع مسار تكوينها لدى الاطفال منذ صدور الكلمات الأولى حتى تكوين الكلمات والجمل المعقدة . ويهدف هذا البحث إلى حصر الكلمات التي يستخدمها اطفال الرياض الكويتيون من سن ٣ر٥ إلى ٦ سنوات وتصنيف هذه الكلمات إلى اسماء وافعال وحروف العربية الفصحي إضافة إلى الكلمات العامية والأجنبية . كما تعني الدراسة بالكشف عن أي فروق في الحصيلة اللغوية بين الجنسين ( ذكور وأناث ) كذلك الفروق بين المستويات العمرية الثلاث لهذه المرحلة . وأخيراً يهدف البحث إلى تحديد السمات والخصائص الأساسية للغة المنطوقة لدى الاطفال الكويتيين .

وتعتبر دراسة اللغة عند الاطفال في مرحلة ما قبل المدرسة من الدراسات الهامة حيث أن هناك ندرة نسبية في الدراسات العربية في هذا الجانب من جوانب نمو الاطفال بالرغم من الحاجة الماسة لمعرفة المعايير المقننة للغة الطفل، وأثر المتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية عليها حيث أشار إلى أهمية دراسة لغة الطفل كثير من الباحثين منهم محمد محمود رضوان[١] وعبد التواب يوسف[٢] ويعقوب الشاروني[٣] ، إضافة إلى التوصيات التي نادت بها كثير من المؤتمرات الدولية والحلقات الدراسية[٤] .

وتعتبر هذه الدراسة حلقة في سلسلة دراسات ، فقد كانت الدراسة الأولى عن الحصيلة اللغوية للأطفال في سن الخامسة أعدها عيسى محمد جاسم[٥] في اطروحته لنيل درجة الدكتوراه. وتجري دراسة الآن حول الحصيلة اللغوية

للاطفال قبل سن الروضة من سنة إلى أربع سنوات ، انطلاقاً من الاحساس بأهمية تتابع الدراسات في هذا المجال وتكاملها لتغطية الحصيلة اللغوية للاطفال وتتبعها منذ الكلمة الأولى وحتى تكوين اللغة على أسس ثابتة .

ويمكن تحديد أهمية دراسة اللغة عند الاطفال فيما يلي :

١ ـ تكوين قوائم المفردات اللغوية الشائعة في لغة الاطفال التي تفيد مؤلفي الكتب المدرسية وقصص الاطفال وبرامج الاذاعة والتلفزيون .

٢ ـ تفيد في وضع البرامج والخطط التربوية التي تهدف إلى تنمية لغة طفل ما قبل المدرسة خاصة فيما تنميه مهارة القراءة والكتابة فيما بعد .

٣ ـ تساعد الاخصائيين النفسيين وأولياء الأمور والمعلمين وغيرهم من المعنيين بتربية الاطفال .

٤ ـ تساعد علماء النفس في تحديد المظاهر السلبية والخاطئة في اكتساب الاطفال للغة من الكبار أو المصادر الأخرى .

٥ ـ تساعد علماء النفس والمختصين في وضع الاختبارات والمقاييس التشخيصية والتحصيلية واختبارات تحديد المستوى وغيرها .

الدراسات السابقة :

تشير البرامج التربوية إلى أهمية النمو اللغوي عند الاطفال باعتباره المفتاح الفعال لتنمية كل المهارات الذهنية لدى الطفل لكنها تختلف في تحديد اللغة التي يجب أن تستعمل في الروضة التي تعلم الطفل : أهي اللغة العربية كما تراها البرامج البحرينية والسعودية والمغربية واللبنانية أم اللغة الدارجة كما ينص على ذلك البرنامج التونسي ؟ . وتقف بعض برامج الرياض موقفاً معتدلاً من هذه المسألة داعية إلى الانطلاق بالطفل من اللغة المستعملة بالبيت والرقي بها تدريجياً إلى لغة عربية مبسطة ولكن سليمة وصحيحة . أما بخصوص منهجية تعليم اللغة فإن تعرض الطفل لخبرات منظمة تحتوي على عدد معين من الكلمات وربطها بواقع الطفل اليومي يزيد من اكتسابه مفردات جديدة ديناميكية[٦] .

ويتميز النمو اللغوي عند اطفال الرياض (٤-٦) سنة بالسرعة في التحصيل والتعبير والفهم كما أن النمو اللغوي يعتبر ذا قيمة كبيرة في التعبير عن النفس والتوافق الشخصي والاجتماعي والنمو العقلي . ومن مطالب النمو اللغوي في هذه المرحلة تحصيل عدد كبير من المفردات وفهمها بوضوح وربطها مع بعضها في جمل ذات معنى . كما أن النمو اللغوي في هذه المرحلة يتسم بالوضوح ودقة التعبير والفهم واختفاء الجمل الناقصة والابدال وغير ذلك من مشاكل الكلام . ويقول بياجيه أن من ٥٥-٦٠٪ من كلام الطفل في هذه المرحلة يكون متمركزاً نحو الذات ويمر بمرحلتين : الأولى مرحلة الجمل القصيرة حيث تتكون الجملة من (٣-٤ كلمات ) وهي جمل وظيفية ذات معنى والمرحلة الثانية (٤-٥) يزداد عدد الكلمات وتصبح الجمل أكثر تعقيداً . كما تشير الدراسات إلى أن البنات يتكلمن أسرع من البنين وأكثر في المفردات[٧] .

وقد تعرض كثير من الباحثين لحصر الحصيلة اللغوية لطفل ما قبل المدرسة عن طريق تسجيل الكلمات المنطوقة أما باستخدام مثيرات أو من خلال المواقف العادية . وقد قام يونس ١٩٧٤م بتسجيل الكلمات الشائعة وحصرها من خلال المواقف العادية . وقد قام يونس ١٩٧٤م بتسجيل الكلمات الشائعة وحصرها من خلال ملاحظة (٢٤٠) تلميذاً نصفهم من البنين ونصفهم الآخر من البنات . وقام بدراسة مشابهة كل من : ناهد عبد الحميد ١٩٧٧ وحسن شحاتة ١٩٨٢م على عينات من الاطفال المصريين ، وقد تم حصر الكلمات الشائعة بين اطفال الرياض في قوائم مصنفة . كما قام كل من فؤاد البهي ١٩٧١ م وفاروق صادق ١٩٧٨ م وعبد الباسط خضر ١٩٨٣ م بحصر كلمات الاطفال بالاستعانة ببعض المقاييس المقننة من أهمها مقياس التعبير اللفظي (Verbal Expression)[٨] .

وتوجد عدة طرق لحصر الكلمات المستخدمة عند الاطفال ، بعضها عن طريق الملاحظة الحرة وتسجيل الكلمات المنطوقة في المواقف العادية ، والبعض الآخر يستخدم فيها اختبارات مقننة أهمها :

١ ـ اختبار بيبدي المصور للحصيلة اللغوية :

(Peabody Picture Vocabulary Test ) (P.P.V.T.) وقد تم تعديل هذا الاختبار عام ١٩٨١ م ونشر في آخر كتالوج صدر عن خدمة الارشاد الأميركية (American Guidance Service No 31, 1488) .

٢ ـ اختبارات رينل لتطوير اللغة :

(Teynell Developing Langustic Set (R.D.L.S.) وقد تم تقنينها ونشرها عام ١٩٧٧ ، كما استخدمها ستيفسون ١٩٨٥ م بتقنين الاختبارات واستخدامها في دراسة بين القدرات اللغوية والانحرافات السلوكية لدى الاطفال .

٣ ـ بطارية اختبارات اليونيا للقدرات النفسية اللغوية :

وقد صممت هذه الاختبارات بواسطة جيمي مكارتي وصمويل كيرك Macarthy L.T.P.A. & Kirk 1961 في عام ١٩٦١ على أساس نظرية اوزجود (Osgood 1958) وقد تم تقنين هذه البطارية وتطبيقها على عينة من الأطفال المصريين بواسطة الباحثين هدى برادة وفاروق صادق ١٩٧٨م .

وقد قام الباحثون جوليندا أبو النصر وآخرون[٩] (١٩٨٧ م ) بحصر الالفاظ التي يمكن أن يستخدمها طفل ما قبل المدرسة بفهم في قوائم احتوت على حوالي (٨٠٠) اسم وصفة وحوالي (٢٥٠) فعل. كما قامت ليلى كرم الدين بأجراء حصر الالفاظ التي يستخدمها اطفال ما قبل المدرسة في جمهورية مصر العربية وتوصلت الدراسة إلى أن طفل المستوى الأول ( من ٣ إلى أقل من أربع سنوات.) يستخدم حوالي ( ٢٠٥ ) كلمات في حين يزيد هذا العدد بالنسبة لطفل المستوى الثاني ( من أربع إلى أقل من خمس سنوات ) إلى ( ٢٨٦ ) كلمة ويستمر في الزيادة بالنسبة لطفل المستوى الثالث ( من خمس إلى أقل من ست سنوات ) ليصل إلى ( ٣٤٧ ) كلمة . وقد فسرت الباحثة سبب زيادة المفردات إلى زيادة النضج بالاضافة إلى الخبرات التي يمر بها الطفل في الحضانة .

كما دلت نتائج الدراسة على أن تقدم الاطفال في العمر وانتقالهم من المستوى الأول إلى المستويين الثاني والثالث يصاحبه نقصان في استخدام الأسماء وزيادة في استخدام الأفعال. وقد توصل إلى نفس النتيجة كل من رضوان ١٩٥٢ م ويونس ١٩٧٤ م وشحاته ١٩٨٢ م . وقد فسر الباحثون ( ص ١٦٥ ) هذا إلى أن اكتساب الطفل للاسماء يأتي مبكراً خلال تطوره اللغوي يليه اكتسابه الافعال أما الحروف فلا تكتسب إلا في وقت متأخر(٨) .

كما أفادت الدراسة إلى أن كثيراً من الكلمات التي لها شكل الاسم إلا أن الطفل يستخدمها لوظائف أخرى تفيد أداء فصل أو في بعض الاحيان تؤدي وظائف جملة كاملة بسبب غياب الافعال من الحصيلة اللغوية . اضافة إلى ارتباط تركيب الفعل بزمن الأداء. ومن المعروف أن اكتساب الطفل لمفهوم الزمن لا يتحقق إلا في سن متأخرة إلى حد ما في حياة الطفل.

وأخيراً يلاحظ انخفاض تكرار الحروف من لغة الاطفال وذلك لطبيعة استخدام الحرف في الربط بين كلمتين أو تكوين جملة طويلة وهذا لا يتحقق بصورة ملحوظة إلا بعد ظهور واكتساب الكلمات التي تربط بينها تلك الحروف وهي الاسماء والافعال .

كما يلاحظ أن الطفل في هذه المرحلة يميل إلى تكرار استخدام نفس الكلمات في حديثه وتقل هذه الملاحظة بزيادة العمر الزمني للاطفال ، كما تزيد نسبة كلمات اللغة العربية الفصحى بين الاطفال بزيادة مستواهم العمري وزيادة تعرضهم للخبرات التربوية في الرياض .

أما من حيث تأثير جنس الطفل على حصيلته اللغوية فقد دلت الدراسات على وجود فروق ضئيلة في صالح الفتيات ليست ذات دلالة احصائية . وقد أيد هذا كل من مكارتي (Macarthy 1988) ودافيز (Davis 1936).

وتفيد الدراسة التي اجراها وبستر (Webster 1988) (١٠) أن المشاكل العائلية أو معاملة الطفل بطريقة سيئة في منزله تسبب في نقص المفردات اللغوية التي

يستعملها. وأوصى بصورة نوعية الآباء بأهمية توفير جو هادي والابتعاد عن عقاب الاطفال أو تأنيبهم لما قد يترتب على ذلك تأخيرهم في الكلام أو نقص حصيلتهم اللغوية. وقد أيد ذلك بلجريتي (Pellegriti 1987)[١١] حيث أكد على دور الأسرة في زيادة الحصيلة اللغوية للأطفال ولا سيما في السنين المبكرة وأشار إلى أن دور الأب في علاج انحرافات الكلام عند الطفل أكثر تأثيراً من دور الأم.

وقد أكد مينيني[١٢] (Mininni 1985) على أهمية توفير جو مريح للطفل لتعلم اللغة حيث أشار إلى أن الألعاب التي تستخدم فيها اللغة مثل ألعاب الاتصالات التليفونية لها أكبر مردود في اكساب الطفل مفردات لغوية جديدة عن طريق تمثيل الاتصال التليفوني بينه وبين زملائه ومحاكاة الواقع وتغيير أدوار الأداء لاستخدام مفردات جديدة.

وقد أيد ذلك الاتجاه روسكوس (Roskos 1988) الذي أفاد أن نتائج دراسة أجريت على ثمانية اطفال تتراوح اعمارهم من أربع إلى خمس سنوات حيث استخدام قراءة القصص أو ابتكار مشاهد تمثيلية يشترك فيها الاطفال قد أدى إلى تحسين مفرداتهم اللغوية واكتساب مفردات جديدة تستعمل في مواقف تفاعلية .

كما أفاد كلكان (Klecan, A. 1988) ان اكتساب المفردات اللغوية يتوقف بشكل أساسي على عمر الطفل ولا سيما في الفترة من ٣ـ٥ سنوات وذلك من خلال دراسة حالية على ( ٢٤٠ ) طفلاً سوياً في هذه الفترة الزمنية .

وقد أكد كلا من فارو[١٣] (Furrow 1987) وبريس[١٤] (Preece 1987) على أهمية الاتصال بين الاطفال في مرحلة ما قبل المدرسة والبيئة الاجتماعية في تكوين لغة الطفل وزيادة مفرداته إما عن طريق العلاقات الاجتماعية أو عن طريق القصص التي تحكيها له مربيته وأن الطفل يستطيع بشكل منتظم أن يكون حوال ١٤ نموذجاً قصصياً مختلفاً من خلال تجميع المفردات التي يتعرض لها وإن كان معظم هذه القصص تأخذ الشكل الخرافي وإن الحتيقي فيها نادر الحدوث . كما

أن اللعب الحر يعتبر من مثيرات استخدام الكلمات التي تعلمها الطفل خلال مواقف اجتماعية أو قصصية .

كما ذكر بيكر[١٥] (Becker 1986) أن الاتصال الشفوي يعتبر من أهم مصادر اكتساب المفردات واستخدامها عن اطفال ما قبل المدرسة ( ٣ ـ ٥ ) سنوات، وهذا يؤكد أهمية العلاقات الاجتماعية لبناء الحصيلة اللغوية للأطفال.

من العرض السابق تبين أهمية الخبرات التربوية المنظمة في بناء لغة الاطفال في فترة ما قبل المدرسة، كما أن الاتصال الشفوي بين الطفل وأقرانه ومربيته والاحتكاك الاجتماعي في المدرسة والمنزل واللعب الحر من أهم مثيرات تعلم اللغة في اطارها الديناميكي الذي يرتبط ببيئة الطفل وإن كان على الروضة دور في تحويل الحصيلة اللغوية للطفل إلى إطار لغوي عربي سليم من خلال الخبرات التربوية والنشاط التعليمي في الروضة .

وقد أفاد د . عيسى محمد جاسم[٥] ( ١٩٨٤ م ) بأن معدل كلمات الاطفال في سن ٥ سنوات ( ٣٨٦ كلمة). وقد وجد من دراسته بأنه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية من البنين والبنات في هذا السن . كما دلت النتائج على عدم وجود فروق ذات دلالة حسب ترتيب الطفل بين اخوته في الاسرة أو بين الاطفال ذوي الخلفيات الثقافية الاسرية المختلفة . وقد فسر الباحث عدم وجود الاختلافات قد يعود إلى تأثير برامج رياض الاطفال التربوية خلال السنتين السابقتين . كما أشار الباحث إلى أن نسبة استخدام الاطفال لأنواع المفردات المختلفة هي كما يلي :

| | | | |
|---|---|---|---|
| الافعال | بنسبة | ٨ر١٧٪ | من كل الكلمات المسجلة. |
| الاسماء | بنسبة | ٩ر٤٩٪ | من كل الكلمات المسجلة. |
| الحروف | بنسبة | ١ر٢٠٪ | من كل الكلمات المسجلة. |
| العامية | بنسبة | ٩ر١٠٪ | من كل الكلمات المسجلة. |
| الاجنبية | بنسبة | ٣ر١٪ | من كل الكلمات المسجلة. |

وقد استخدم الباحث طريقة الصور الفوتوغرافية حيث تم اختيار مجموعة من الصور من البيئة المحلية ذات العلاقة باهتمامات وميول الاطفال مع عشرة أسئلة على كل صورة .

أهداف البحث :

١ ـ التعرف على مجمل الكلمات المنطوقة في المستويات الثلاثة للأطفال الكويتيين المنتظمين في رياض الاطفال الحكومية وتحديد الفروق في ضوء الجنس، والعمر الزمني .

٢ ـ التعرف على الكلمات الأكثر شيوعاً لأطفال الرياض في المستويات الثلاث لنفس العينة .

٣ ـ التعرف على نوع المفردات المنطوقة في المستويات الثلاث لنفس العينة وتحديد الفروق بناء على الجنس والفئة العمرية .

منهجية البحث :

أ ـ العينة :

تم حصر الكلمات المنطوقة من ٧٥٠ طفلاً من المستويات الثلاث تم اختيارهم من ١٠ روضات من المناطق التعليمية الخمس بمعدل ٢٥ طفلاً في كل فصل . وقد تم اختيار اطفال العينة من الأطفال المنتظمين في رياض الأطفال الحكومية من الجنسين وتضمنت العينة ثلاث مستويات عمرية بنسب متفاوتة كالتالي :

المستوى الأول من سن ٣٫٥ سنة إلى ٤ سنوات .

المستوى الثاني من سن ٤ سنوات إلى ٥ سنوات .

المستوى الثالث من سن ٥ سنوات إلى ٦ سنوات .

وقد اقتصرت العينة على الأطفال الكويتيين إما من أب وأم كويتيين أو أب كويتي وأم غير كويتية أو أم كويتية وأب غير كويتي .

ب ـ طريقة تسجيل المفردات :

١ ـ تم تكليف فريق عمل مكون من ثمان باحثات بوحدة رياض الأطفال وكلهن من ذوي الخبرة في مجال رياض الأطفال وسبق لهن تطبيق بعض البرامج لنفس عينة الدراسة ، وهذا يضمن الألفة بين الباحثة والأطفال حتى لا يتأثر تجاوب الأطفال خلال فترة الحصة .

٢ ـ تم تصميم نموذج تسجيل المفردات يحتوي على جزء خاص للبيانات الأولية وتتضمن المنطقة التعليمية واسم الروضة ومكان التسجيل وتاريخ التسجيل وغير ذلك من البيانات التي تفيد الدراسة . أما الجزء الثاني فهو خاص بتسجيل المفردات والجمل المنطوقة ومكان التسجيل وظروف نطق الجملة أو الكلمة .

٣ ـ تم توجيه الباحثات إلى ضرورة تسجيل المفردات كما تنطق حرفياً دون تغيير أو تبديل وعدم التدخل في انشطة الأطفال أو الاستفسارات عن الكلمات غير المفهومة والمحافظة على الهدوء وعدم الاخلال بنظام الصف وأن يتم التسجيل في فترة لا تزيد عن ثلاثين دقيقة في الزيارة الواحدة .

٤ ـ تم تصميم جدول تفريغ المفردات يحتوي على جزء بيانات خاصة بالجنس والمستوى، والجزء الثاني يتم تصنيف الكلمات فيه إلى اسماء وأفعال وحروف وكلمات عامية وكلمات أجنبية بالاضافة إلى تكرار كل نوع .

٥ ـ تم تصميم جدول لحصر أكثر المفردات تكراراً ( مائة كلمة ) لكل مستوى من المستويات الثلاث .

٦ ـ تم تصنيف المفردات المنطوقة إلى تسع فئات هي اسم النكرة واسم المعرفة والفعل الماضي والفعل الحاضر والفعل المستقبل وفعل الأمر والحروف والكلمات العامية والكلمات الأجنبية. وقد تمت الاستعانة ببعض القواميس العربية مثل مختار الصحاح والقاموس المحيط بالإضافة إلى استشارة المتخصصين في اللغة العربية لتحديد أنواع الكلمات.

تحديد المصطلحات :

١ ـ المفردات العامية : هي الكلمات العربية التي تحدث فيها إضافة أو حذف أو ابدال في حروفها .

٢ ـ المفردات الأجنبية : هي الكلمات التي ترجع اصولها إلى اللغات الأجنبية مثل الانجليزية والهندية والفارسية .

المعالجة الاحصائية للنتائج :

لتحديد دلالة الفروق بين تكرارات الكلمات المنطوقة في ضوء الجنس تم حساب دلالة الفروق بين التكرارات باستخدام اختبار **Z- Test** حيث تحسب قيمة Z بواسطة المعادلة التالية :

$$Z = \frac{\text{ن ١ ـ ن ٢}}{\text{ك ل (١ + ١)} \quad \text{ك ل (١ + ١)}}$$

$$\text{حيث ن١} = \frac{\text{ت١}}{\text{م١}}$$

$$\text{ن٢} = \frac{\text{ت٢}}{\text{م٢}}$$

ت١ ، ت٢ تكرار الكلمة المنطوقة بواسطة الأولاد والبنات.

م١ ، م٢ اجمالي الكلمات المنطوقة بواسطة الأولاد والبنات .

$$\text{ك} = \frac{\text{ت١ + ت٢}}{\text{م١ + م٢}}$$

$$\text{ل} = ١ - \text{ك}$$

وبعد حساب قيمة Z تحسب درجات الحرية :

د.ج = م١ + م٢ ـ ٢ وتحدد

قيمة Z الجدولية عند مستوى دلالة ٥ . ر . وذلك بالاستعانة بجدول الاختبار التائي ونحدد مستوى الدلالة للفروق .

أما لحساب الفروق بين تكرارات أنواع الكلمات الكلية فإننا نستخدم اختبار GOODNESS OF FIT لنحسب قيمة مربع كأي للبعد الواحد باستخدام القانون :

$$\text{كا} = \frac{\text{مجـ (ت - م)م}}{\text{م}}$$

حيث ت = التكرار الفعلي

م = التكرار المتوقع

وبعد حساب قيمة مربع كاي تقارنها بالقيمة الجدولية عند مستوى الدلالة المطلوب مقابل درجات الحرية في جداول مربع كاي .

تحليل النتائج :

تم حصر وتصنيف المفردات اللغوية لأطفال العينة . وفيما يلي النتائج التفصيلية والدلالات الاحصائية بين المفردات وتأثير متغيرات الدراسة عليها .

**أولاً : تأثير مستوى النضج على استخدام المفردات اللغوية لعينة الدراسة :**

يوضح جدول ( ١ ) تصنيف المفردات التي ينطقها اطفال الرياض في ضوء مستويات النضج .

**أ ـ المستوى الأول :**

يلاحظ أن أكثر الكلمات تكراراً بالنسبة للمستوى الأول هي الاسماء بنسبة ( ٩ر٦٠ ٪ ) منها اسماء المعرفة بنسبة ( ٦ ر ٣١ ) واسماء النكرة بنسبة ( ٣ ر ٢٩ ) ، أما نسبة الأفعال فقد وردت بنسبة ( ٩٧ ر ١٧ ٪ ) منها ( ٩ ر ١٠ ٪ ) أفعال مضارعة و ( ٠١ ر ٥ ٪ ) أفعال ماضية و ( ٠٦ ر ٢ ٪ ) أفعال أمر ، ولم يسجل فريق البحث أي مفردة تدل على مستقبل . وقد وردت

الحروف بنسبة ( ٥ ر ٣ ٪ ) من اجمالي المفردات المنطوقة . وبهذا شكلت المفردات اللغوية الفصحى نسبة ( ٤ ر ٨٢ ٪ ) من اجمالي الكلمات المنطوقة .

وبلغت نسبة المفردات العامية المستخدمة من قبل اطفال العينة نسبة ( ٥ ر ١٣ ٪ ) والمفردات الاجنبية ( ١ ر ٤ ٪ ) من اجمالي المفردات المنطوقة .

**ب ـ المستوى الثاني :**

يوضح جدول (١) عمود (٢) تكرار المفردات المنطوقة بالنسبة للمستوى الثاني ، ويلاحظ أن أكثر المفردات تكراراً هي الاسماء بنسة ( ١ ر ٥٧ ٪ ) منها ( ٧ ر ٢٩ ٪ ) اسماء معرفة و ( ٤ ر ٢٦ ٪ ) اسماء نكرة . أما الأفعال فقد وردت بنسبة ( ٦٧ ر ١٨ ٪ ) منها ( ٦ ر ٥ ٪ ) أفعال ماضية و ( ٥ ر ١٠ ٪ ) أفعال مضارعة و ( ٣ ر ٢ ٪ ) أفعال أمر و ( ٢٧ ر ٠ ٪ ) أفعال مستقبل . أما الحروف فقد وردت بنسبة ( ٦٧ ر ٢ ) . وبهذا شكلت المفردات اللغوية الفصحى نسبة ( ٤٤ ر ٧٨ ٪ ) من اجمالي الكلمات المنطوقة . وبلغت نسبة المفردات العامية ( ٦ ر ١٩ ٪ ) والمفردات الاجنبية ( ٩٤ ر ٢ ٪ ) من اجمالي المفردات المنطوقة .

**جـ ـ المستوى الثالث :**

يوضح جدول (١) عمود (٣) تكرار المفردات المنطوقة بالنسبة للمستوى الثالث ويلاحظ أن أكثر المفردات المنطوقة هي الاسماء بنسبة ( ٦٨ ر ٤٦ ٪ ) منها ( ٤٨ ر ٢٤ ٪ ) اسماء معرفة و ( ٢ ر ٢٢ ٪ ) اسماء نكرة . أما الأفعال فقد وردت بنسبة ( ٠٩ ر ٢٥ ٪ ) منها ( ٦٢ ر ١١ ٪ ) أفعال مضارعة و ( ٩٣ ر ٩ ٪ ) أفعال ماضية و ( ٠٤ ر ٢ ٪ ) أفعال أمر و ( ٥ ر ١ ٪ ) أفعال مستقبل . وقد وردت الحروف بنسبة ( ٨ ر ٢ ٪ ) من اجمالي المفردات . أي أن مفردات اللغة العربية وردت بنسبة ( ٥٧ ر ٧٤ ٪ ) . في حين وردت المفردات العامية بنسبة ( ٩٨ ر ٢٢ ٪ ) والمفردات الأجنبية بنسبة ( ٤٢ ر ٢ ٪ ) من اجمالي المفردات المنطوقة .

جدول (١) اجمالي المفردات التي يستخدمها اطفال العينة

| المتغير / البند | المستوى | | | | | | مربع كاي الحسابي | الدلالة الاحصائية ٠ر٠٥ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | الأول | | الثاني | | الثالث | | | |
| | ت | ٪ | ت | ٪ | ت | ٪ | | |
| اسم نكرة | ٢٦٩ | ٢٩ر٣ | ٣٣٤ | ٢٩ر٧ | ٥٠٠ | ٢٢ر٢ | ٦٢ر٤٩ | + |
| اسم معرفة | ٢٩٠ | ٣١ر٦ | ٢٩٦ | ٢٦ر٤ | ٥٥٢ | ٢٤ر٤٨ | ١١٧ر٩٤ | + |
| فعل ماض | ٤٦ | ٥ر٠١ | ٦٣ | ٥ر٦ | ٢٤٤ | ٩ر٩٣ | ٢٠٤ر٦٧ | + |
| فعل مضارع | ١٠٠ | ١٠ر٩ | ١١٨ | ١٠ر٥ | ٢٦٢ | ١١ر٦٢ | ٩٨ر٥٥ | + |
| فعل أمر | ١٩ | ٢ر٠٦ | ٢٦ | ٢ر٣ | ٤٦ | ٢ر٠٤ | ١٢ر٩٤ | + |
| فعل مستقبل | - | - | ٣ | ٠ر٢٧ | ٣٤ | ١ر٥٠ | - | - |
| حرف | ٣٢ | ٣ر٥ | ٣٠ | ٢ر٦٧ | ٤٣ | ١ر٩٠ | ٢ر٨ | - |
| كلمة عامية | ١٢٤ | ١٣ر٥٠ | ٢٢٠ | ١٩ر٦ | ٥١٨ | ٢٢ر٩٨ | ٢٩٣ر٨ | + |
| كلمة اجنبية | ٣٨ | ٤ر١ | ٣٣ | ٢ر٩٤ | ٥٥ | ٢ر٤٤ | ٦ر٣٣ | - |
| المجموع | ٩١٨ | ١٠٠ | ١١٢٢ | ١٠٠ | ٢٢٥٤ | ١٠٠ | ٧٢٣ر١٨ | + |

وتفيد نتائج اختبارات الدلالة بين الفروق أن هذه الفروق لها دلالة احصائية على مستوى ٠ر٠٥ وأن المستوى العمري له تأثير على تكرارات نطق الكلمات .

ويفيد الجدول أن هناك مجموعة أخرى من الكلمات تتواتر بنسب أقل مثل الأفعال في الزمن الماضي بنسبة حوالي ٥٪ لكل المستويات والأفعال المضارعة بنسبة حوالي ( ١٠ ٪ ) وبعض الكلمات الأجنبية بنسبة حوالي ( ٤ ٪ ) والحروف بنسبة حوالي ( ٢ ٪ ) في حين تدنت نسب استخدام افعال المستقبل إلى نسبة قليلة وانعدمت بالنسبة للمستويين الأول والثاني . ويلاحظ أن الفروق بين تكرارات أفعال الأمر والحروف والكلمات الأجنبية ليس لها دلالة احصائية على مستوى ٠ر٠٥ .

ثانياً : تأثير الجنس على تكرار استخدام المفردات لعينة الدراسة :

أ ـ الذكور :

شكلت الاسماء نسبة ( ٥ر٥٢ ٪ ) من اجمالي المفردات المنطوقة من المستويات الثلاث منها ( ٢ ر٢٦ ٪ ) اسماء نكرة و ( ٣ ر٢٥ ٪ ) اسماء معرفة . في حين شكلت الأفعال نسبة ( ٦ ر١٥ ٪ ) منها ( ٩ ر٤ ٪ ) فعل ماض و ( ٦ ر٨ ٪ ) فعل مضارع ( ٧ ر١ ٪ ) فعل أمر ولم يسجل فريق البحث استخدام اطفال العينة الذكور لأفعال المستقبل .

هذا وقد وردت الحروف بنسبة ( ٣ ر٢ ٪ ) من المفردات المنطوقة ، أي أن استخدام المفردات الفصحى كانت بنسبة ( ٨ ر٤ ٧ ٪ ) من اجمالي المفردات المنطوقة . أما المفردات العامية فقد وردت بنسبة ( ٦ ر٢١ ٪ ) والمفردات الأجنبية بنسبة ( ٦ ر٣ ٪ ) .

ويوضح جدول (٢) الفروق بين المستويات الثلاث :

جدول (٢) اجمالي المفردات التي يستخدمها أولاد العينة الذكور

| البند المتغير | المستوى الأول | | المستوى الثاني | | المستوى الثالث | | مربع كاي الحسابي | الدلالة الاحصائية ٠ر٠٥ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | ت | ٪ | ت | ٪ | ت | ٪ | | |
| اسم نكرة | ١٧٨ | ٢٦ر٧ | ١٩٥ | ٢٩ر٨ | ٢٧٣ | ٢٢ر٣ | ٢٣ر٨٣ | + |
| اسم معرفة | ١٨٥ | ٢٥ر٨ | ١٦٧ | ٢٥ر٥ | ٣٠٢ | ٢٤ر٧ | ٤٩ر٢٨ | + |
| فعل ماض | ٣٢ | ٤ر٨ | ٣١ | ٤ر٧ | ١١٢ | ٥٦ر٢ | ٧٤ر٠٧ | + |
| فعل مضارع | ٥٨ | ٨ر٧ | ٧٥ | ١١ر٤ | ١٦٣ | ١٣ر٣ | ٦٤ر٣٨ | + |
| فعل أمر | ١١ | ١ر٦ | ٢١ | ٣ر٢ | ٢٢ | ١ر٨ | ٤ر١١ | - |
| فعل مستقبل | - | - | - | ٢٠ | ١ر٦ | - | | + |
| حرف | ١٥ | ٢ر٣ | ١٨ | ٢ر٧ | ٢٢ | ١ر٨ | ١ر٣٥ | - |
| كلمة عامية | ١٦٠ | ٢٤ر١ | ١٢٣ | ١٨ر٨ | ٢٦٩ | ٢٢ر٠ | ٦٢ر٦٢ | + |
| كلمة اجنبية | ٢٦ | ٣ر٩ | ٢٥ | ٣ر٨ | ٣٩ | ٣ر٢ | ٤ر٠٦٧ | - |
| المجموع | ٦٦٥ | ١٠٠ | ٦٥٥ | ١٠٠ | ١٢٢٢ | ١٠٠ | ٢٤٨ر٥٦ | + |

وتشير نتائج الاختبارات الاحصائية إلى أن الفروق لها دلالة على مستوى ( ٠٥ر٠ ) أي أن مستوى النضج له تأثير على تكرارات استخدام المفردات . كما توضح النتائج الواردة في الجدول أن أولاد العينة يستخدمون الأفعال المضراعة بنسبة حوالي ( ١١ ٪ ) من اجمالي تكرار المفردات لكل مستوى والافعال الماضية بنسبة حوالي ( ٥ ٪ ) وإن كانت ارتفعت إلى حوالي ( ٩ ٪ ) بالنسبة للمستوى الثالث والكلمات الأجنبية .

وتشير الاختبارات الاحصائية أن الفورق بين التكرارات في المستويات الثلاث لها دلالة على مستوى ( ٠٥ر٠ ) بنسبة حوالي ( ٤ ٪ ) . أما أفعال الأمر والحروف وأفعال المستقبل فقد جاءت بنسب بسيطة حوالي ( ٢ ٪ ) الفروق بينها ليس لها دلالة على مستوى ( ٠٥ر٠ ) .

**ب ـ الإناث :**

شكلت الاسماء نسبة ( ٠ ر ٥١ ٪ ) من المفردات المنطوقة من المستويات الثلاث منها ( ٩ ر ٢٤ ٪ ) اسماء نكرة و ( ١ ر ٢٦ ٪ ) اسماء معرفة . في حين شكلت الأفعال نسبة ( ٣ ر ١٩ ٪ ) منها ( ٣ ر ٦ ٪ ) أفعال ماضية و ( ٨ ر ٩ ٪ ) أفعال مضارعة و ( ٨ ر ١ ٪ ) أفعال أمر وأخيراً ( ١ ٪ ) أفعال مستقبل . وقد بلغت نسبة استخدام الحروف ( ٥ ر ٣ ٪ ) . أي أن استخدام المفردات العربية كان الاجمالي ( ٨ ر ٧٣ ٪ ) . وقد تم تسجيل نسبة ( ٠ ر ٢٤ ٪ ) من المفردات العامية و ( ٢ ر ٢ ٪ ) مفردات أجنبية .

وتدل نتائج اختبارات الدلالة بين الفروق أي أن الفروق لها دلالة على مستوى النضج له تأثير على استخدام المفردات فيما عدا استخدام الحروف والكلمات الأجنبية .

جدول (٣) اجمالي المفردات التي تستخدمها بنات العينة

| البند المتغير | المستوى الأول ت | ٪ | الثاني ت | ٪ | الثالث ت | ٪ | مربع كاي الحسابي | الدلالة الاحصائية ٠٫٠٥ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| اسم نكرة | ٩١ | ٢٢٫٩ | ١٣٩ | ٢٩٫٧ | ٢٢٧ | ٢٢٫٠ | ٦٢٫٤٦ | + |
| اسم معرفة | ١٠٥ | ٢٦٫٤ | ٢٩٠ | ٢٧٫٦ | ٢٥٠ | ٢٤٫٢ | ٧٤٫٨٨ | + |
| فعل ماض | ١٤ | ٣٫٥ | ٣٢ | ٦٫٨ | ١٣٢ | ١٢٫٨ | ١٣٦٫٢٢ | + |
| فعل مضارع | ٤٢ | ١٠٫٦ | ٤٣ | ٩٫٢ | ٩٩ | ٩٫٦ | ٣٤٫٧ | + |
| فعل أمر | ٨ | ٢٫٠ | ٥ | ١٫١ | ٢٤ | ٢٫٣ | ١٦٫٩٢ | + |
| فعل مستقبل | - | - | ٣ | ٠٫٦ | ١٤ | ١٫٤ | ١٩٫١٧ | + |
| حرف | ١٧ | ٤٫٣ | ١٢ | ٢٫٥ | ٢١ | ٢٫٠ | ٢٫٤٤ | - |
| كلمة عامية | ١٠٨ | ٢٧٫٢ | ٩٧ | ٢٠٫٧ | ٢٤٩ | ٢٤٫١ | ٩٤٫٩٢ | + |
| كلمة أجنبية | ١٢ | ٣٫٠ | ٨ | ١٫٧ | ١٦ | ١٫٦ | ٢٫٦٦ | - |
| المجموع | ٣٩٧ | ١٠٠ | ٤٦٨ | ١٠٠ | ١٠٣٢ | ١٠٠ | ٢٣٤٫١ | + |

ثالثاً : تأثير جنس الطفل على استخدامه للمفردات في المستوى العمري الواحد :

تدل النتائج الواردة في جداول ( ٤ ، ٥ ، ٦ ) على أنه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين استخدام الذكور والأناث للمفردات اللغوية إذ تشير الاختبارات إلى أن الفروق ليس لها دلالة على مستوى ٠٫٠٥ ، ومن ذلك يمكن القول بأن جنس الطفل في هذه الفترة الزمنية لا يعتبر عاملاً مؤثراً على اكتسابه للغة .

رابعاً : قوائم المفردات الأكثر شيوعاً :

تم حصر المفـردات الأكثر شيـوعاً بـين اطفال كـل مستوى وتم تصنيف ( ١٠٠ ) كلمة للمستويات الثلاث في القوائم ( ١، ٢، ٣) .

جدول (٤) أنواع المفردات التي يستخدمها اطفال المستوى الأول

| البند المتغير | جنس الطفل | | | | Z | الدلالة الاحصائية ٠ر٠٥ |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | ذكر | | أنثى | | | |
| | ت | ٪ | ت | ٪ | | |
| اسم نكرة | ١٧٨ | ٢٦ر٧ | ٩١ | ٢٢ر٩ | ١ر٣٩٣ | - |
| اسم معرفة | ١٨٥ | ٢٥ر٨ | ١٠٥ | ٢٦ر٤ | ٠ر٤٨٥ | - |
| فعل ماض | ٣٢ | ٨ر٤ | ١٤ | ٣ر٥ | ٠ر٩٩٦ | - |
| فعل مضارع | ٥٨ | ٨ر٧ | ٤٢ | ١٠ر٦ | ١ر٠٠١ | - |
| فعل أمر | ١١ | ٠ر٦ | ٨ | ٢ر٠ | ٠ر٤٢٩ | - |
| فعل مستقبل | - | - | - | - | - | - |
| حرف | ١٥ | ٢ر٣ | ١٧ | ٤ر٣ | ١ر٨٦٩ | - |
| كلمة عامية | ١٦٠ | ٢٤ر١ | ١٠٨ | ٢٧ر٢ | ١ر٩٠٦ | - |
| كلمة أجنبية | ٢٦ | ٣ر٩٠ | ١٢ | ٣ر٠ | ٠ر٧٥٣ | - |
| المجموع | ٦٦٥ | ١٠٠ | ٣٩٧ | ١٠٠ | - | - |

جدول (٥) أنواع المفردات التي يستخدمها اطفال المستوى الثاني

| البند المتغير | جنس الطفل | | | | Z | الدلالة الاحصائية |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | ذكر | | أنثى | | | ٠ر٠٥ |
| | ت | ٪ | ت | ٪ | | |
| اسم نكرة | ١٩٥ | ٢٨ر٨ | ١٣٩ | ٢٩ر٧ | ٠ر٩٠٠ | - |
| اسم معرفة | ١٦٧ | ٢٥ر٥ | ١٢٩ | ٢٧ر٦ | ٠ر٠٤ | - |
| فعل ماض | ٣١ | ٤ر٧ | ٣٢ | ٦ر٨ | ١ر١٧ | - |
| فعل مضارع | ٧٥ | ١١ر٤ | ٤٣ | ٩ر٢ | ١ر٦٧ | - |
| فعل أمر | ٢١ | ٣ر٢ | ٥ | ١ر١ | ٢ر٥٤ | + |
| فعل مستقبل | - | - | ٣ | ٠ر٦ | - | - |
| حرف | ١٨ | ٢ر٧ | ١٢ | ٢ر٥ | ٠ر٤١ | - |
| كلمة عامية | ١٢٣ | ١٨ر٨ | ٩٧ | ٢٠ر٧ | ٠ر١٣ | - |
| كلمة أجنبية | ٢٥ | ٣ر٨ | ٨ | ١ر٧ | ٢ر٢٨ | + |
| المجموع | ٦٥٥ | ١٠٠ | ٥٠٨ | ١٠٠ | - | - |

جدول (٦) أنواع المفردات التي يستخدمها اطفال المستوى الثالث

| البند المتغير | جنس الطفل | | | | Z | الدلالة الاحصائية |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | ذكر | | أنثى | | | ٠ر٠٥ |
| | ت | ٪ | ت | ٪ | | |
| اسم نكرة | ٢٧٣ | ٢٢ر٣ | ٢٢٧ | ٢٢ر٠ | ٠ر٢٠٦ | - |
| اسم معرفة | ٣٠٢ | ٢٤ر٧ | ٢٥٠ | ٢٤ر٢ | ٠ر٢٧٩ | - |
| فعل ماض | ١١٢ | ٩ر٢ | ١٣٢ | ١٢ر٨ | ٢ر٧٥ | + |
| فعل مضارع | ١٦٣ | ١٣ر٣ | ٩٩ | ٩ر٦ | ٢ر٧٧ | + |
| فعل أمر | ٢٢ | ١ر٨ | ٢٤ | ٢ر٣ | ٠ر٨٧ | - |
| فعل مستقبل | ٢٠ | ١ر٦ | ١٤ | ١ر٤ | ٠ر٥٤٥ | - |
| حرف | ٢٢ | ١ر٨ | ٢١ | ٢ر٠ | ٠ر٤٠٣ | - |
| كلمة عامية | ٢٦٨ | ٢٢ر٠ | ٢٤٩ | ٢٤ر١ | ٠ر٤٦٢ | - |
| كلمة أجنبية | ٣٩ | ٣ر٢ | ١٦ | ١ر٦ | ٢ر٥١٩ | + |
| المجموع | ١٢٢١ | ١٠٠ | ١٠٣٢ | ١٠٠ | - | - |

نتائج الدراسة :

توصلت الدراسة للنتائج التالية :

١ ـ اطفال الرياض بالكويت لديهم القدرة اللغوية ذات المستوى الجيد التي تمكنهم من استخدام مفردات متعددة ذات اشتقاقات متعددة ومتنوعة كما أن لديهم القدرة عى تكوين جمل كاملة باللغة العربية السليمة .

٢ ـ شكلت المفردات العربية النسبة الغالبة من المفردات المنطوقة للمستويات الثلاث إذ بلغت ( ٤ ر٨٢ ٪ ) مقارنة بالمفردات غير العربية .

٣ ـ جاءت المفردات العامية في الدرجة الثانية فقد بلغت نسبتها ( ٣ر١٣ ٪ ) مع ملاحظة أن معظم المفردات العامية هي كلمات عربية فصيحة تم حذف أو إضافة أو استبدال بعض حروفها . وجاءت في المرتبة الثالثة الكلمات الأجنبية بنسبة ( ٣ر٤ ٪ ) من اجمالي المفردات المسجلة . ويلاحظ أن معظم المفردات الأجنبية هي من المفردات الشائعة لدى البالغين في المجتمع الكويتي .

٤ ـ بلغ اجمالي المفردات اللغوية المنطوقة في المستوى الأول بنسبة ( ٩١٨ ) كلمة و ( ١١٢٢ ) بالنسبة للمستوى الثاني . أما بالنسبة للمستوى الثالث فقد بلغت ( ٢٢٥٤ ) كلمة ويلاحظ أن النمو في عدد المفردات من المستوى الأول إلى الثاني أقل من النمو من المستوى الثاني إلى الثالث .

٥ ـ تشكل الاسماء النسبة الغالبة من المفردات اللغوية للاطفال في هذه المرحلة ، كما يلاحظ انخفاض نسبة استخدام صيغ الأمر والمستقبل مقارنة بالمضارع والماضي بالنسبة للاطفال .

٦ ـ لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين الذكور والأناث في اجمالي استخدام المفردات اللغوية المنطوقة لكل مستوى ، وهو يشمل الفكرة والمعرفة والأفعال الماضية وأفعال الأمر والمستقبل والحروف والكلمات العامية والأجنبية. وإن كان يلاحظ أن عدد المفردات التي يستخدمها الذكور تزيد عن تلك التي يستخدمها الأناث في نفس العينة .

التوصيات : من استعراض نتائج الدراسة يمكن الخروج بالتوصيات التالية :

١ ـ اجراء مزيد من الدراسات في مجال المفردات المنطوقة للاطفال بشكل مكثف ومستمر حتى يمكن الوصول إلى خلاصات عامة وخصائص وملامح لغة الطفل في هذا السن بأكثر دقة وشمولية .

٢ ـ زيادة انشطة وبرامج الرياض التي تتيح الفرصة للطفل للتعبير عن ذاته مع الكبار بحرية وهدوء، حيث يلاحظ تفشي النمط التقليدي في تربية الاطفال والروضة التي تقوم فيه المعلمة بالدور الأكبر في الحوار سواء في الفصل أو الانشطة الأخرى .

٣ ـ تطوير اساليب وأدوات علمية مقننة لتحقيق افضل النتائج في دراسة مظاهر وخصائص لغة الاطفال في الدول العربية مع تجميع جهود العاملين في هذا المجال في العالم العربي .

٤ ـ زيادة وتحسين برامج الاطفال التلفزيونية والاذاعية وقصص الاطفال ومسرح الطفل والافلام وغيرها من مصادر الثقافة التي تنمي حصيلة الطفل اللغوية الفصحى .

٥ ـ تشجيع معلمات الرياض على استخدام اللغة العربية الفصحى المبسطة في تربية الاطفال .

## (١) قائمة المفردات الأكثر شيوعاً بين أطفال المستوى الأول.

### الكلمات العربية الفصحى:

| رقم | الكلمة | تكرارها |
|---|---|---|
| ١ـ | أحمر | ١٩ |
| ٢ـ | سيارة | ١١ |
| ٣ـ | واحد | ٨ |
| ٤ـ | اثنان | ٦ |
| ٥ـ | ثلاثة | ٥ |
| ٦ـ | بيت | ٥ |
| ٧ـ | الوان | ١٦ |
| ٨ـ | أبي | ٨ |
| ٩ـ | أمي | ٥ |
| ١٠ | البحر | ١٠ |
| ١١ | عصفور | ٦ |
| ١٢ | بيتنا | ٥ |
| ١٣ | اخضر | ٩ |
| ١٤ | ريش | ٤ |
| ١٥ | خروف | ١٣ |
| ١٦ | الله | ٧ |
| ١٧ | ساعة | ٥ |
| ١٨ | يوم | ٥ |
| ١٩ | صوت ٤ | ٥١ |
| ٢٠ | الرحمن | ٨ |
| ٢١ | هذه | ٦ |
| ٢٢ | أرنب | ٤ |

| رقم | الكلمة | تكرارها |
|---|---|---|
| ٢٣ | هذا | ٤٢ |
| ٢٤ | جرس | ٣ |
| ٢٥ | بطة | ٣ |
| ٢٦ | أصفر | ٤ |
| ٢٧ | كرسي | ٣ |
| ٢٨ | بطة | ٦ |
| ٢٩ | خيمة | ٣ |
| ٣٠ | آذان | ٧ |
| ٣١ | نعطيهم | ٥ |
| ٣٢ | يعطينا | ١٢ |
| ٣٣ | طالع | ٦ |
| ٣٤ | اغسل | ١٢ |
| ٣٥ | شاف | ٢٥ |
| ٣٦ | شفت | ٦ |
| ٣٧ | شوفي | ٦ |
| ٣٨ | أحب | ٤ |
| ٣٩ | اعرف | ٤ |
| ٤٠ | ننام | ٣ |
| ٤١ | يلعب | ٥ |
| ٤٢ | نقول | ٩ |
| ٤٣ | كبير | ٨ |
| ٤٤ | صغير | ١٢ |

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٤٥ | أنا | ٤١ | | ٥٧ | في | ٣٨ | |
| ٤٦ | أهو | ٦ | | ٥٨ | من | ١٣ | |
| ٤٧ | هي | ١٢ | | ٥٩ | أي | ١١ | |
| ٤٨ | أنت | ١٣ | | ٦٠ | و | ٤٤ | |
| ٤٩ | بعد | ١٨ | | ٦١ | إلي | ٩ | |
| ٥٠ | علي | ١٠ | | ٦٢ | لا | ٤٥ | |
| عندي | | ١٥ | | ٦٣ | ما | ٣٥ | |
| ٥٢ | ها للغائب | ٥٨ | | ٦٤ | ل | ٧ | |
| ٥٣ | تا للتأنيث | ١٨ | | ٦٥ | مع | ٨ | |
| ٥٤ | ك الخطاب | ١٥ | | ٦٦ | ب | ١٥ | |
| ٥٥ | نا للفاعلون | ٩ | | ٦٧ | أو | ٤ | |
| ٥٦ | ف | ٣٢ | | ٦٨ | ياللمخاطب | ٧ | |

الكلمات العامية :

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٦٩ | شذي | ١٥ | | ٧٩ | عطيني | ٦ | |
| ٧٠ | فوديني | ٤ | | ٨٠ | يسوي | ٦ | |
| ٧١ | علشان | ١٧ | | ٨١ | كوكو | ١٠ | |
| ٧٢ | دين | ٦ | | ٨٢ | اجشر | ٧ | |
| ٧٣ | بزيز | ٥ | | ٨٣ | تشيسك (كيسك) | ١٠ | |
| ٧٤ | داك داك | ٤ | | ٨٤ | أهي | ٥ | |
| ٧٥ | هذاك | ١٣ | | ٨٥ | باتشر (غدا) | ٤ | |
| ٧٦ | بروحي | ٦ | | ٨٦ | اطيحك | ٤ | |
| ٧٧ | أبي (اريد( | ٨ | | ٨٧ | راح | ٣٣ | |
| ٧٨ | طجني | ٨ | | ٨٨ | اروح | ١٥ | |

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٨٩ | يللا | ٣ | ٩٣ | ابله | ١٩ | | |
| ٩٠ | صدام | ٣ | ٩٤ | بابا | ٤ | | |
| ٩١ | احنا | ٣ | ٩٥ | ماما | ٤ | | |
| ٩٢ | بس | ٤ | ٩٦ | كيت | ٤ | | |

كلمات أجنبية :

(٢) قائمة المفردات الأكثر شيوعاً بين اطفال المستوى الثاني

الكلمات العربية الفصحى :

| رقم | الكلمة | تكرارها | رقم | الكلمة | تكرارها |
|---|---|---|---|---|---|
| ١- | الله | ٢٧ | ١٥ | واحد | ١٨ |
| ٢- | احمر | ٥ | ١٦ | اثنين | ٥ |
| ٣- | اخضر | ١٦ | ١٧ | باب | ٥ |
| ٤- | ازرق | ٧ | ١٨ | حصان | ٤ |
| ٥- | اصفر | ١٧ | ١٩ | أمي | ٤ |
| ٦- | اسود | ٥ | ٢٠ | مصر | ٥ |
| ٧- | وردي | ٦ | ٢١ | صدريتي | ٦ |
| ٨- | الوان | ٢٩ | ٢٢ | بحر | ٥ |
| ٩- | عصفور | ٤ | ٢٣ | الشيطان | ٥ |
| ١٠ | أسد | ٨ | ٢٤ | أبي | ٨ |
| ١١ | ريش | ٥ | ٢٥ | أنا | ٢٨ |
| ١٢ | ساعة | ١١ | ٢٦ | أنت | ١٢ |
| ١٣ | بنت ـ بنات | ١٤ | ٢٧ | اسوي | ٤٣ |
| ١٤ | الصف | ٤ | ٢٨ | نعالي | ٥ |

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٢٩ | طالع | ٥ | ٥٤ | أو | ٥ | | |
| ٣٠ | حطتها | ٥ | ٥٥ | حتى | ١٨ | | |
| ٣١ | شنو | ١٤ | ٥٦ | في | ٥٢ | | |
| ٣٢ | بروحه | ٤ | ٥٧ | هذا | ٨١ | | |
| ٣٣ | بعد | ٥ | ٥٨ | كان | ٥ | | |
| ٣٤ | خل | ١٠ | ٥٩ | على | ٤٢ | | |
| ٣٥ | اعرف | ٥ | الكلمات العامية : | | | | |
| ٣٦ | راح | ١٦ | ٦٠ | عطيني | ٦ | | |
| ٣٧ | نلعب | ٤ | ٦١ | هادي | ٥٧ | | |
| ٣٨ | يصير | ٦ | ٦٤ | أبي (اريد) | ٣٠ | | |
| ٣٩ | يعطونها | ٤ | ٦٥ | وايد | ١٣ | | |
| ٤٠ | خل | ٨ | ٦٦ | انروح | ١١ | | |
| ٤١ | ارسم | ٤ | ٦٧ | وين | ١٢ | | |
| ٤٢ | ناكل | ٥ | ٦٨ | وين | ١٢ | | |
| ٤٣ | شفنا ـ شاف | ٣٥ | ٦٩ | علشان | ٢١ | | |
| ٤٤ | اشوف | ٤ | ٧٠ | اطج (طجيتها) | ٣٧ | | |
| ٤٥ | كبير | ١٢ | ٧١ | مو | ١٣ | | |
| ٤٦ | حلوة | ١١ | ٧٢ | بعدين | ٤ | | |
| ٤٧ | كثير | ١٤ | ٧٣ | تفاخة | ٨ | | |
| ٤٨ | نا ـ للفاعلين | ١٧ | ٧٤ | جال (قال) | ٤ | | |
| ٤٩ | يا ـ المخاطب | ١٠٧ | ٧٥ | ألو | ١٠ | | |
| ٥٠ | ها ـ الغائب | ١١٦ | ٧٦ | اصبي | ٥ | | |
| ٥١ | ك ـ الخطاب | ٥٢ | ٧٧ | احنا | ٣٢ | | |
| ٥٢ | تا ـ الفاعل | ٤٧ | ٧٨ | رفيجة | ١٠ | | |
| ٥٣ | و ـ الجماعة | ٣٨ | ٧٩ | ماي | ٤ | | |

| | | |
|---|---|---|
| ٨٠ | اجعد | ١٣ |
| ٨١ | ابروج (نبروج) | ١٢ |
| ٨٢ | تشنه | ٤ |
| ٨٣ | طيارة | ٤ |
| ٨٤ | صج | ٤٥ |
| ٨٥ | جفشة | ٤ |
| ٨٦ | جفينه | ٣ |
| ٨٧ | تشذي | ٧ |
| ٨٨ | اللي | ١٣ |
| ٨٩ | شخابيط | ٨ |
| ٩٠ | عشان | ٥ |
| ٩١ | وايد | ٥ |
| ٩٢ | اصبي | ٤ |
| ٩٣ | لولوه | ٤ |
| ٩٤ | انتي | ٥ |
| ٩٥ | احنا | ١٠ |

**الكلمات الأجنبية :**

| | | |
|---|---|---|
| ٩٦ | أبله | ١٣٥ |
| ٩٧ | الشناكل | ١٠ |
| ٩٨ | كاكاو | ٩ |
| ٩٩ | باباي | ٩ |

**(٣) قائمة المفردات الأكثر شيوعاً بين اطفال المستوى الثالث**

**الكلمات العربية الفصحى :**

| رقم | الكلمة | تكرارها | رقم | الكلمة | تكرارها |
|---|---|---|---|---|---|
| ١- | الله | ١١ | ٢٣ | إثنين | ٥ |
| ٢- | الوان | ١٧ | ٢٤ | ثلاثة | ٤ |
| ٣- | احمر | ١٤ | ٢٥ | أربعة | ٨ |
| ٤- | اخضر | ٨ | ٢٦ | خمسة | ٧ |
| ٥- | ازرق | ٦ | ٢٧ | ستة | ٦ |
| ٦- | اصفر | ٥ | ٢٨ | الحديقة | ٤ |
| ٧- | هذا | ٥٠ | ٢٩ | صه | ٤ |
| ٨- | الصفارة | ١٠ | ٣٠ | العدد | ٦ |
| ٩- | مثلث | ٦ | ٣١ | كلمة | ٥ |
| ١٠ | أمي | ٢٠ | ٣٢ | عربانة ـ عربة | ٤ |
| ١١ | أبي | ٨ | ٣٣ | طيور | ٤ |
| ١٢ | سبحانك | ٨ | ٣٤ | كرسي | ٤ |
| ١٣ | كلمة | ٩ | ٣٥ | بيتنا | ٥ |
| ١٤ | الجرس | ٥ | ٣٦ | دائرة | ١٠ |
| ١٥ | أنا | ١٥ | ٣٧ | ثوم | ١٧ |
| ١٦ | المطافي | ٤ | ٣٨ | اسوي | ٢٩ |
| ١٧ | صورة | ٢٣ | ٣٩ | قالت | ٩ |
| ١٨ | الاسد | ٤ | ٤٠ | راح ـ يروح | ٦ |
| ١٩ | الحيوانات | ١٣ | ٤١ | بس | ١٥ |
| ٢٠ | حليب | ٤ | ٤٢ | اشوف ـ شفناهم | ٤ |
| ٢١ | ماء | ٤ | ٤٣ | عطشان | ٤ |
| ٢٢ | واحد | ٣٣ | ٤٤ | سبحانك | ٨ |

| | | |
|---|---|---|
| ٤٥ | يفره | ٤ |
| ٤٦ | يحط | ٥ |
| ٤٧ | الشغل | ٤ |
| ٤٨ | طالع | ٤ |
| ٤٩ | كبير | ٧ |
| ٥٠ | انسج | ٤ |
| ٥١ | حليب | ٤ |
| ٥٢ | يا ـ المتكلم | ١٢ |
| ٥٣ | نا ـ الفاعلين | ٧٠ |
| ٥٤ | ها ـ الغائب | ١٤ |
| ٥٥ | خلنا | ٥ |
| ٥٦ | عندهم | ٢٤ |

**الكلمات العامية :**

| | | |
|---|---|---|
| ٥٧ | دياية ـ دجاجة | ٧ |
| ٥٨ | ماي ـ ماء | ١٠ |
| ٥٩ | يطيح ـ يقع | ٤ |
| ٦٠ | تشان ـ كان | ٤ |
| ٦٢ | بعدين | ٧ |
| ٦٣ | علشان ـ من أجل | ٥ |
| ٦٤ | نبي ـ نريد | ٧ |
| ٦٥ | تشذي ـ هكذا | ٧ |
| ٦٦ | شللاب | ٥ |
| ٦٧ | مالتي ـ ملكي | ٥ |
| ٦٨ | باطوف ـ أمر | ٥ |
| ٦٩ | وخر ـ ابعد | ٥ |
| ٧٠ | اتريج ـ افطر | ٤ |
| ٧١ | وايد ـ كثير | ٧ |
| ٧٢ | واجد ـ كثير | ٦ |
| ٧٣ | خشيناه ـ اخفيناه | ٤ |
| ٧٤ | ريوج ـ فطار | ٧ |
| ٧٥ | اطيح ـ اقع | ١٢ |
| ٧٦ | أدش ـ ادخل | ٨ |
| ٧٧ | اجعد ـ ادخل | ٨ |
| ٧٨ | رفيجي ـ رفيجتي | ٢پ |
| ٧٩ | تيجوري ـ خزنة | ٤ |
| ٨٠ | كبت | ٤ |
| ٨١ | كبوس | ٨ |
| ٨٢ | الذيب | ٤ |
| ٨٣ | شاذية ـ قرد | ٤ |
| ٨٤ | تشان ـ كان | ٤ |
| ٨٥ | تلفزيون | ٥ |
| ٨٦ | حجي ـ ملكي | ٥ |
| ٨٧ | أدون ـ اذان | ٤ |
| ٨٨ | عيش ـ أرز | ٥ |
| ٩٠ | هدول ـ هؤلاء | ٥ |
| ٩٠ | اهني ـ أهنا | ٥ |

**الكلمات الأجنبية :**

| | | |
|---|---|---|
| ٩١ | كلينكس | ٤٠ |

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٩٢ | تلفون | ٤ | ٩٦ | زجاير | ٤ |
| ٩٣ | ابله | ٣٢ | ٩٧ | بوتل | ٤ |
| ٩٤ | بلاستيك | ٥ | ٩٨ | جلاس | ٨ |
| ٩٥ | تلفزيون | ٥ | ٩٩ | شكر | ٣ |

## قائمة المراجع :


١ ـ محمد محمود رمضان : تعليم القراءة للمبتدئين ، القاهرة ، دار المعارف ( ١٩٥٨ ) .

٢ ـ عبد التواب يوسف : تجربتي مع لغة الطفل . الحلقة الدراسية الاقليمية ، ( ١٩٨١ ) حول لغة الأطفال .

٣ ـ يعقوب الشاروني : استخدام الفصيح من الألفاظ، الحديث اليومي في الكتابة للأطفال . الحلقة الاقليمية (١٩٨١) حول لغة الأطفال.

٤ ـ الحلقة الاقليمية حول لغة الطفل ( ١٩٨١ ) .

5- Jassem, A: Word Frequency count in «Spontanous convension of five year old Kuwaiti Arabic speaking children» Ph. D. thesis, MSU, USA (1984).

٦ ـ معاوية عبدالله ، دراسة حول واقع البرامج التربوية لرياض الأطفال بالوطن العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ص ٥٣ (١٩٨٩) .

٧ ـ الطيب ، محمد . وآخرون ، الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة . منشأة المعارف الاسكندرية ص ( ٩٧ ) ( ١٩٨١ ) .

٨ ـ كرم الدين ، ليلى ، الحصيلة اللغوية المنطوقة لطفل ما قبل المدرسة ، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية العدد ( ١١ ) ص ( ٦٤ ) مايو ١٩٨٩ .

٩ ـ أبو النصر ، جولیندا وآخرون ، دليل كتاب ورسامى أدب الأطفال ، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ، معهد الدراسات النسائية في العالم العربي كلية بيروت الجامعية ص ١٠٣ ( ١٩٨٧ ) .

10- Wepster, L., et, al; Child hood. Education; V65, N1, P27 fall 1988.

11- Pellegrini, et, al; Discourse Process; Vdo, N1, P93 Jan-Maret (1987).

12-Mininni, J.; Rassegna Italiana - di - Linguistica - Applicata, V17, N2 - 3 P 187.Sep-Dec 1985.

13- Furrow, D & Lewis S.; Journal of child Language; V14, N3, P467.Oct. 1987.

14- Preece, A.; Journal of Child Language, V14, N3,P353,Jun 1987.

15- Becker, J; Merrill Palmer Quarterly; V32, N4, P393,Oct. 1986.

## المناقشات

الرئيس د. حسن الإبراهيم :

قبل أن افتح باب الحوار انتهز هذه الفرصة لارحب بضيفين من خارج الكويت ، كانا دائماً معنا في نشاط هذه الجمعية وهما الدكتور عبدالله عبد الدايم والزميل الدكتور نعيم عطية فأهلاً وسهلاً بهما .

الآن نفتح باب الحوار .

د. عبد الله عبد الدايم :

شكراً سيدي الرئيس على كلماتك الترحيبية ، وشكراً على تكرمك باعطائي الكلمة رغم أنني لست ابن هذا الميدان ، وعنايتي باكتساب اللغة عند الطفال غير مباشرة ، ولا استطيع أن أقول إن لي عناية مباشرة بها . في الواقع عندما كنت استمع إلى حديث الدكتور أحر شاو الغالي طبعاً بتمرسه الطويل في هذا الميدان ، وخبرته فيه ، وبتقلبه فيه على أوجهه المختلفة بحيث لا استطيع في الواقع أن اضيف جديداً على الاشياء التي قالها فيما يتصل بالأسس النظرية للاكتساب اللغوي .

هذا الحديث انتقل بي إلى اجواء عامة ، وشعرت من خلاله بأن المشكلة في كثير منها : الظواهر النفسية ، واللغة وسواها تظل دوماً وأبداً مشكلة المكتسب والفطري . . ومهما تعددت النظريات نجد في الواقع أن المحور الذي تدور عليه هو هذان المحوران بالذات ، وإن تغيرت هذه المصطلحات بتطور الدراسات النفسية ، والعلوم ، والعلوم النفسية وبصورة خاصة ما يتصل باللغة في تطور الدراسات اللسانية ، والعلوم اللسانية ، لقد قفز بي الفكر إلى الفترة البعيدة التي كان يقوم فيها سجال بين اصحاب النزعة التجريبية امثال (لوكل) و ( هيوم ) وسواهما ، وبين اصحاب النزعة الفطرية من امثال (ديكارت) . . وتذكرت كيف كان الجدل حاداً في ذلك الحين ، وكيف كان يرى اصحاب النظرية التجريبية بأن

لا شيء في العقل لم يكن من قبل في الحس. وكيف كان يرد عليهم ( ديكارت ) . هذه النظريات في النهاية تدور حول هذا المحور .

ولقد لاحظت أن الأخ الدكتور أحر شاو متحامل على نظرية ( جومسكي ) رغم أنه قال أن ( جومسكي ) لا يرى أن النماذج اللغوية تولد ولادة ذاتية مباشرة ، وهي أيضاً تتأثر بمؤثرات المحيط من أجل اخراجها إلى الحياة .

اعتقد أن فكرة النماذج المسبقة ، والتصورات المسبقة ، والبنى المسبقة ، لا سيما وإن استخدمنا مصطلحات لسانيات اليوم تظل سليمة إلى حد كبير بمعنى أن هناك ـ دون شك ـ بنى مسبقة ، وظواهر مسبقة ، وتشكيلات مسبقة في ذهن الطفل بالنسبة إلى اللغة ، وبالنسبة إلى سواها ، وإن كانت العوامل المحيطة تلعب دوراً في اظهارها احياناً بشكل سريع أو بشكل بطيء وسوى ذلك . لكن لولا هذه البنى الفكرية ، لولا هذه القوالب الفكرية لما استطاع أي إنسان أن يتعلم ، ولما كان إنساناً . موقف ( ديكارت ) في هذا الموضوع موقف سليم جداً ، والدكتور أحر شاو قال : أن ( بياجيه ) رجع بعد ذلك إلى حد قليل ، وأخذ عليه أنه وقف موقفاً قريباً من موقف ( ديكارت ) .

هنالك على اقل تقدير أطر ، هنالك مقولات ذهنية موجودة في العقل ، وبعد ذلك تطبق على ما هو موجود في الحس في مسالك القوالب والاطر التي يطبقها على المعرفة الحسية ، واعتقد أن ( جومسكي ) لم يقل أكثر من ذلك ، وكأني شعرت أن ( بياجيه ) لم يضف إضافة جديدة على ما قاله ( جومسكي ) . إنه لم ينكر وجود هذه البنى الفكرية الأساسية الفطرية لكنها بالنسبة إليه طبعاً تولد تدريجياً ، وتظهر بتأثير العوامل الديناميكية الموجودة في المحيط ، واعتقد أن هذا لم ينكره ( جومسكي ) ، على أية حال لم أرد أن اطيل فهي ملاحظات عابرة .

البحث في الواقع كامل ، وصاحبه ضليع ومتمرس في هذا الميدان ولذلك سيظل تعليقي في هذا الموضوع تعليقاً جانبياً . ذكرني فقط بهذا الصراع التقليدي بين النظريات ، واعتقد أننا لم نجاوز هذا الصراع الطبيعي ، ويظل هو الصحيح

دوماً وأبداً بأن الفطري والمكتسب يتفاعلان في نهاية الأمر ، وإذا صح أن (بياجيه) يقوم بهذه المزواجة بين ما هو فطري، وما هو مكتسب فنحن مع (بياجيه). . وشكراً.

د . نعيم عطية :

اشكركم أولاً لاتاحة هذه الفرصة لي ، وأنا سعيد بالاستماع لأحد الزملاء من المغرب العربي ، وهو طبعاً من صميم الفكر العربي في هذا المجال ، وإلى الأخ نوفل من مصر ، ومن هنا أجد أنه لا بد من إضافة شخص ثالث من المنطقة الشامية إذا اردتم حتى نضيف وجها آخر في مسألة اكتساب اللغة .

أود أن انوه بأني اطلت الاستماع كثيراً إلى الزملاء . أولاً ـ على المستوى النظري يبدو أن الدكتور غالي بذل جهداً كبيراً في محاولته الجمع بين هذه الاتجاهات الثلاثة في تطوير اللغة وتكوينها عند الأطفال وأنه من الصعب بمكانة في الحقيقة أن نجد تسلسلاً بين هذه النظريات الثلاث ، وقد نوه المتحدث بذلك مشيراً إلى أن هناك تناقضات بالأحرى بدلاً من أن يكون هناك تسلسل لهذه النظريات ، فيما أن ( بياجيه ) حاول أن يكون هناك جسر بين العقلاني وبين المحيطي .

وجواباً على ملاحظة ذكرها الدكتور عبدالله عبد الدايم بأن ( بياجيه ) لم يضف شيئاً فربما ذلك صحيح من حيث القواعد الأساسية ، لكن ( بياجيه ) كان له الفضل في المحافظة على شيئين بالنسبة إلى اللغة . أولاً ـ تبين أهمية البنية إذا كانت البنية فطرية أو مكتسبة ، فهذا لا يهم في رأيي لكنه حافظ على مسألة العينية ، والبنية هي الاطار الذي يتأطر فيه المعنى . إذن لا بد من وجود البنية في الأساس الأول . ثانياً ـ أضاف ( بياجيه ) فكرة إن هذه البنية متطورة إذن هي قابلة للتغير وتنمو بالتدريج من مرحلة إلى مرحلة هذا إذا كانت موجودة في الأساس في الفطرة ، لم نعرف ولا يمكن لأحد أن يعرف .

من الناحية التربوية يهمنا أيضاً أن نجمع بين هذين الطرفين البنية الأساسية وبنية المفردات ، الجملة ، العبارة ، ومن ثم قابليتها على التطور لتحمل المعاني المختلفة .

ربما هناك إضافة أخرى ( لبياجيه ) وهي مهمة في رأيي بالنسبة للاكتساب اللغوي المطلوب في تعلم اللغة وهي مسألة المنطق . ( بياجيه ) بعد المنطق مديناً جداً إلى التفاعل الاجتماعي بين الناس ، واللغة لن تأخذ منطقها النهائي إلا من خلال التفاعل الاجتماعي ، فالولد بفضل التفاعل مع الآخرين يعرف أن هذه الكلمة لها معنى آخر عند الناس الآخرين ، وبالتالي يبدأ يغير ويعدل من البنى عنده على أساس هذا التفاعل والأخبار بالمعنى للآخرين وإلى نفسه ويتركز المعنى عنده . هذه إضافات ربما كان ( لبياجيه ) الفضل فيها . أيضاً أقول ليس مهماً أن نجزم لمن الفضل فالبحاثة كثيرون في هذا المجال ، واليوم حيث المئات من الباحثين يعملون في إطار اللغة فمن الصعب أن ننسب الفضل في هذا الأمر لهذا أو لذاك . إذن ما هو المهم ؟ المهم في النهاية ولا سيما بالنسبة لنا نحن المربين العرب أن ندرس كيف يتعلم الطفل العربي اللغة ؟ وكيف يمكن لنا أن ننقذه من ازدواجية اللغة ، وقد أشار الأخ الدكتور نوفل إلى ذلك بين العامية والفصحى ، ولا بد لنا من التشديد على وجه تربوي ينشط حالياً في البلاد الأخرى وقد اهملناه نحن في المشرق ، وإن كنا قد عرفناه في القرن التاسع عشر اكثر مما نعرفه اليوم ، هذا الوجه هو مسألة العمل على توليد الوعي عند الطفل باللغة كـ ( ماكنة ) توظيفية تحمل الفكر وتعبر عن الفكر في الوقت نفسه ، فإذن هي مولدة للفكر كوسيلة تحكم في البنية ، فهذا الوعي باللغة يبدو أنه قد أحدث فروقاً للفكر كوسيلة تحكم في البنية ، فهذا الوعي باللغة يبدو أنه قد أحدث فروقاً هامة بالحصيلة اللغوية عند الاطفال الذين يستخدمونها سواء في المستوى الابتدائي أو المتوسط والثانوي . . . وشكراً .

الرئيس د. حسن الإبراهيم :

شكراً دكتور نعيم على هذه الملاحظات القيمة ، والآن ـ الدكتور عبدالله الدنان فليتفضل .

د. عبد الله الدنان :

شكراً سيدي الرئيس . عندي مجموعة ملاحظات حول البحث الذي تقدم به الدكتور أحر شاو والذي أشكره جداً لطرحه لهذه الموضوعات .

النقطة الأولى: وهي من واقع تجربتي مع قضية (الفطري) وقضية ( التفاعل الاجتماعي ) فلقد وضعنا في واقع تجريبي غير مقصود . عندي في دار الحضانة العربية طفلة أتت بها أمها عمرها أربع سنوات وهي سوية وسليمة من كل النواحي ، كانت أمها تعمل خارج البيت فاضطرت أن تجعل الطفلة تقضي معظم اليوم أمام الفيديو . الفطرة موجودة والصوت العضوي موجود ، ولكن التفاعل السلوكي الاجتماعي الذي أشار إليه الدكتور نعيم ، وهو وضع الكلمات والجمل في سياقاتها الاجتماعية والسلوكية غير موجود .

كان مظهر الطفلة اللغوي كما يلي : تحفظ أغاني ( افتح يا سمسم ) وتحفظ أغاني ( شريهان ) كلها ، وترقص كما ترقص ، وتقلد الاصوات اللغوية لكنها انتقلت إلى جو التلفزيون فاصبحت شاردة ، وهي تبحث باستمرار عن صوت فيديو يأتيها رغم أنها في الدار منذ ثلاثة أشهر، والحمدلله استطعنا أن نرجعها إلى الجو الاجتماعي بأن تعرف أن لكل صوت لغوي تسمعه إطاراً اجتماعياً وسلوكياً .

هذه مجرد اشارة إلى أن النظريات التي تطرح لا بد لها من عرض على الواقع ، وكثيراً ما يأتي الواقع بأشياء جديدة في هذا الأمر .

النقطة الثانية : هي تعريج على الموقف الذي أحس به الدكتور عبدالله عبد الدايم باحساسه المرهف بأن هناك تحاملاً لا اسميه تحاملاً بل انحيازاً لفئة دون أخرى ، انحيازاً إلى فئة التكوينيين دون ( جومسكي ) والشيء العظيم الذي

حققه ( جومسكي ) أنه عرض على السلوكيين كلمات يقولها اطفال ولم يجد السلوكيون تفسيراً لها .

قال لهم : كيف يقول الطفل الانجليزي EATED وهو في سن الثالثة وهو لا يسمع هذه الكلمة EATED من الكبار اطلاقاً ؟ وعلى هذا يجمع الطفل العربي كلمة ( أصفر ) على ( أصفرين ) أو ( أصفرات ) لأنه اكتشف القاعدة اللغوية وهو لم يسمع كلمة ( اصفرين ) ولا ( اصفرات ) من قبل نهائياً من أحد ، لا بل هناك عبارات يقولها اطفال نشأوا في جو لغوي ازدواجي كالانجليزية والعربية . لي صديق زوجته اجنبية عندما كانت طفلته في حوالي الثالثة من عمرها كانت تقول أنا ( رحتد ) هذه اللفظة ( رحتد ) لم تسمع من قبل إلا من هذه الطفلة .

فكيف سيتم تفسير ذلك إذا كان المحيط فقط هو المنبع أو الفرع الذي تكون محصلته اللغة بعد ذلك ؟ إذن لا بد من التكوين الذي يكتشف البنى دون عون من أحد أن يقول له ذلك .

الآن هناك دراسات على أطفال اعمارهم شهران وأطفال أعمارهم أربعون يوماً ، هذه الدراسات اثبتت أن الطفل في سن الأربعين يوماً يستطيع أن يفرق بين الصوت المجهور والصوت المهموس رغم أن بدء الجهر في الصوت المجهور يختلف عن بدء الجهر في الصوت المهموس بمسافة ١ : ٣٠ من الثانية. اذنه تستطيع أن تفعل ذلك ، أن يقلد ويردد كلمات ذات معنى ، هذا الطفل يستحيل أن يستطيع ترتيب هذه الكلمات دون أن يكون قد خزن الفاظاً أو اصواتاً .

النقطة الثالثة : المقارنة بين الطفل والعالم . اللغوي ( جومسكي ) لم يقل ذلك . لم يقل أن الطفل عالم لغوي ، فالمقارنة تقريب للمعنى . ان الطفل في أثناء تعلمه اللغة . يجمع ، ويضيف ، ويفرز ، فكيف عرف هذه ( سين ) وهذه ( زاي ) ؟ لقد اختزنها وفرزها حتما بطريقة لا نعرفها حتى الآن إلا إذا فتحنا ثقباً في جمجمة الطفل واستطعنا أن ننقل الحركات الالكترونية وملاحظة الخلايا كيف تعمل . وهذا مستحيل .

النقطة الرابعة : بالنسبة للبحث الذي أشار إليه الدكتور أحر شاو ، في الحقيقة انني سعدت بقراءة هذا البحث واقصد( التمثل الدلالي ) الذي أشار إليه الدكتور الآن . إن اطفال المغرب لا يدركون الفعلين ( أخذ ، أعطى ) إلا عندما يبلغون التسع السنوات بينما الطفل الأمريكي يدركها في سن سبع سنوات، وأشار الدكتور غالي إلى أن السبب هو العامية والفصحى، فأنا معه في هذا، فالتأخر مقداره سنتان فلو تعلم أبناء المغرب الفصحى وهم في سن الرابعة لكان ادراكهم (لأخذ، لاعطى) مثل الآخرين من أبناء اللغات الأخرى إلا أنني قد لاحظت في بحثه أنه قد استخدم الفصحى فلو أنه استخدم اللفظة العامية المقابلة (لأخذ، لأعطى) ربما ادرك الطفل معنى (أخذ، وأعطى) في سن السابعة مثل الآخرين.

النقطة الخامسة : بالنسبة ( لبياجيه ) لقد رد عليه ( جومسكي ) سنة ١٩٣٦ في كتابه المشهور ( الفكر واللغة ) ولم يطلع ( بياجيه ( على كتاب ( جومسكي ) إلا في سنة ١٩٦٢ حينما ترجم إلى الفرنسية والانجليزية ، لأن هذا الكتاب كان محظوراً ايام ( ستالين ) وقد احرق لأنه يتطرق إلى اسبقية الفكر على المادة ، وهذا يناقض النظرية الماركسية الستالينية ، وقد افرج عنهد بعد موت ستالين فطبع وترجم .

النقطة السادسة : ( جومسكي ) قال كلاماً خطيراً بالنسبة لمقولات ( بياجيه ) فإن ( بياجيه ) عندما حلل اختفاء الكلام الخارجي ـ لأن الطفل يمر بمرحلة وهو في السن الثالثة يتكلم بصوت مرتفع ، يفكر بصوت مرتفع ويكلم نفسه ـ عند سن الخامسة والسادسة . ( جومسكي ) اضاف اضافة رائعة في هذا الباب قال : لا يختفي هذا الكلام وإنما يتحول إلى الكلام الداخلي . قارن بين الكلام الداخلي والخارجي فوجد أن الكلام الداخلي عبارة عن برقيات يرسلها الإنسان إلى نفسه وهو يحل مشكلة ، وهو يفكر تفكيراً معيناً ، فيتميز بقصر الكلمات وسرعتها ولا يفهمها إلا صاحبها ، وقال لا بد لهذا الكلام الداخلي أن يساعد في عملية الابداع .

بالنسبة للدكتور عصام عندي اسئلة محددة :-

السؤال الأول :الأب والأم عندما يختلفان (كويتي، أو غير كويتي) ألا تعتقد أن هذا الاختلاف يؤثر على البحث؟

السؤال الثاني :

كيف تحددت المفردات اللغوية العامية والفصحى ؟ كلمة ( أبي ) أصلها ( أبغى ) فهل صنفناها فصحى ؟ إذا كان ذلك ، فهذا لا يجوز لغوياً .

السؤال الثالث :

بالنسبة لاستخدام الاستقبال ، لا ادري كيف تحدد استخدام فعل المستقبل والنفي عند الاطفال ؟ الذي افهمه أنهم يستخدمون المستقبل لأن المستقبل في اللهجة الكويتية يقترن بحرف ( الباء ) فإذا قال مثلاً ( بشوفك ) يعني ( سأراك ) بينما في اللهجة المصرية أو اللهجة الشامية يقولون ( أنا كل يوم بشوفه ) في اللهجة الكويتية لم يقولوا ( كل يوم بشوفه ) بل يقولون ( أنا كل يوم اشوفه ) لكن بكرة بشوفه .

السؤال الرابع : هل تمت مقارنة المفردات العامية بنفس المعيار بمفردات الكبار ؟ بمعنى هل هناك اختلاف بين المفردات العامية للصغار والمفردات العامية للكبار ؟ لأنني لاحظت أن النسبة الموجودة لو طبقت على الكبار لأتت بالنتائج نفسها . . . وشكراً .

الرئيس د . حسن الإبراهيم :

شكراً دكتور عبد الله وما تبقى من الوقت يخص الباحثين وأنا واثق أن لديهما الكثير مما يمكن أن يضيفاه .

د . أحر شاو الغالي :

أشكر الدكتور عبد الله عبد الدايم ، والدكتور نعيم عطية بالاضافة إلى زميلي الدكتور عبد الله الدنان على ملاحظاتهم القيمة ، وربما قد اقول كلمة مختصرة في هذا الاطار لا اعتبرها رداً على هذه الملاحظات لأنها قد أفادتني ، وربما أفيد منها في المستقبل .

فيما يتعلق بهذا الموضوع أريد أن أشير أن الموضوع معقد وشائك فعلاً ، وربما تعذر على البعض بما اصطلح عليه بمشكلة ( المكتسب والفطري ) . هذه مسألة كانت ولا تزال تلاحق الباحث في الموضوع وربما شاطرني الرأي الدكتور نعيم عطية ، وكذلك الدكتور الدنان . فربما كان العرض الذي تقدمت به قد جاء ناقصاً إلى حد ما . لماذا ؟ لأنني لم ارد أن اكلف الجمعية ببحث قد تكثر صفحاته ، لأنني اعرف جيداً هذا التباين والتداخل أحياناً بين من يسمون ( بالسلوكيين ) و ( التكوينيين ) و ( التوليديين ) . التوليديون محورهم الرئيسي هو ( جومسكي ) و ( التكوينيون ) الممثل الرئيسي لهم هو ( بياجيه ) .

لقد انتقل ( جومسكي ) بالبحث اللساني من مرحلة ربما كانت مفعمة بالغموض إلى مرحلة متطورة جداً ، فهذا يحمد عليه من ناحية معرفية ، رغم بعض الهفوات حاولت أن أشير إليها معتمداً على نصوص موثقة في هذا العرض ، والذي يريد أن يعرفها فهي موجودة .

أنا لم أقل بأني متحيز نحو ( بياجيه ) أو ما شابه ذلك ، فقط ربما اردت أن ابين إذا كان هناك تباين بين ( التوليديين ) و ( السلوكيين ) ، فإن ( التكوينيين ) بزعامة ( بياجيه ) ربما يشكلون نقطة أو محور توازن بين هذين الاتجاهين .

قلت إن العرض جاء ناقصاً . لماذا ؟ لأني اعرف جيداً بأن تلامذة ( جومسكي ) وفي مقدمتهم ( مكنا ) و ( سلوين ( وتلامذة ( بياجيه ) وفي مقدمتهم ( سريلو ) ( بربكارت ) ، ( ديمودارت ) وآخرون، هؤلاء ابقوا التباين الذي كان موجوداً بين النظريتين ، بمعنى الابقاء على التناقض بين المكتسب والفطري . أصبح هؤلاء يحاولون البحث عن مواقع التلاقي بين هذين الاتجاهين أو هذين الطرفين، وقيس ذلك بفكرة اسميها التشاكل بين (البنى اللسانية) و(البنى المعرفية) بمعنى أن كل جانب من هذه (البنى) هو ضروري للجانب الآخر، فلا يمكننا أن نتحدث عن اكتساب لغوي دون التركيز على (الميكانزمات) المعرفية بما في ذلك عامل الذكاء.

الطفل العربي قد يبدو متأخراً في اكتسابه اللغوي . لا ارجع ذلك إلى عوامل فطرية أو ما شابه ذلك فقط. فقد نكون مخطئين ، انه من الممكن أن نكشف أن الذكاء هو الذي يشكل العامل الرئيسي في هذا ، وقد نوجه الطفل إلى قسم خاص قد ينمي حصيلته اللغوية حسب الامكانيات المتوفرة .

إذن أريد أن أثير بأن البحث في هذا الموضوع الآن أخذ اتجاهاً آخر ينبني على الوحدة عوضاً عن الاختلاف ، فإذا كانت سمة الاختلاف قد طبعت البحث في هذا الموضع تبعاً للتبين بين ما هو ( فطري ومكتسب ) فالآن اعرف هذا جيداً ابتداء من أواسط السبعينات بدأت هذه الوحدة تتحق ولم اشأ أن أركز في هذا العرض على مضامين هذه الوحدة لأن مضامينها عبارة عن معطيات مستقاة من دراسات نسميها تجريبية .

السائد الآن أن هناك اتجاهاً معرفياً يجمع بين الاتجاهين : الاتجاه ( التوليدي ) والاتجاه ( التكويني ) . لكل من ( جومسكي ) و ( بياجيه ) اتجاه ( امبريقي ) وهذا هو الغريب الذي لم اذكره ، هذا الاتجاه ( الامبريقي ) هو تطوير للاتجاه السلوكي بالمفهوم السلوكي الكلاسيكي ، هذا الاتجاه يلقى رواجاً خاصاً من ناحية البحث في فرنسا وفي سويسرا وأيضاً في بلجيكا بالإضافة بطبيعة الحال إلى اقطابه في أمريكا مثل ( كتربرسون ) و (بلوم) هذا الاتجاه الامبريقي هو الآخر لم يعد ينكر دور المحببات الفطرية والاستعدادات الفطرية في عملية اكتساب اللغة . فقط هو يحتفظ بما كان إيجابياً في النظريات السلوكية . أي التركيز على ما هو بيئي وهذا جانب أساسي .

الدكتور عطية أثار نقطة هامة ، وهذه فكرة اعتبرها مهمة بالنسبة للمنطق اللغوي الذي يبني على ما هو اجتماعي ، فهذا المنطق اللغوي في طبيعة الحال لا يمكننا أن نفهمه بدون هذا الجانب الاجتماعي الذي ينطوي على ما يود الطفل التلفظ به في اطار المجاملة ، أريد أن أقول ( اشرب الماء في هذا الكأس ) وقد أقول ( اشرب العصير ) إذن مسألة القديم والمجاز مشكلة رئيسية .

أنا سعيد بطبيعة الحال بأني قد تحاورت مع استاذين أفخر بهما في المغرب وكنت أعرف الدكتور الدايم عن طريق كتاباته منذ سنة ١٩٧٣ وأنا أعرفه عن طريق كتاباته التربوية القيمة وإن مكانته في المغرب سيعرفها لو زار المغرب ، فهو موجود في المغرب .

أشكر الدكتور نعيم عطية الذي وجدت فيه الذي يريد أن يتحاور معه المتخصص وهذه مسألة ايجابية .

وبالنسبة للدكتور الدنان أشكره على ملاحظاته القيمة ، وأريد أن أشير إلى أنني لم اتحيز نحو ( التكوينيين ) فقط ، ربما أردت أن أبين أن الاتجاه الذي جاء به ( بياجيه ) يشكل نقطة التوازن ، فهذه مسألة تحمد له . بخصوص ( جومسكي ) لم أقل بالمقارنة بل قلت بالمماثلة أكثر من المقارنة و ( جومسكي ) ، له نص موجود في العرض ومأخوذ من كتاب ( ماكريشن ) ، يقول ( ان الطفل ينطوي على ، أي للطفل نظرية لسانية معقدة في عقله ولا تختلف تقريباً عن النظريات الأخرى ، وهذه موجودة وموثقة . وشكراً .

**الرئيس د . حسن الإبراهيم :**

أشكر الدكتور أحر شاو الغالي على هذا التعقيب . وأنا سعيد جداً بأن هذه الجمعية تقوم بإيجاد حلقة وصل بين العلماء العرب من المغرب إلى المشرق.

والآن الدكتور نوفل يجيب على بعض التساؤلات ، وأنا عندي سؤال واحد وهو موضوع التوصيات . فماذا حصل للتوصيات ؟ .

**د . عصام نوفل :**

أولاً ـ من ناحية التوصيات ـ إن شاء الله ـ ستنفذ.

ثانياً ـ بالنسبة لتعليق الدكتور الدنان من ناحية تحديد الأب والأم كويتي ، وغير كويتي ، فهو مجرد توصيف للعينة ، وجنسية الأب لم تدخل كمتغير في هذا وهي مجرد تقويم فقط ، اطفال كويتيون لآباء كويتيين .

ثالثاً ـ الاعتراض الثاني يتعلق بتحديد مفهوم الكلمة . في أحد الجداول يوجد مكان لرصد الكلمة وظروف نطقها ، وهذا يحدد معناها إذا كان عامياً أو فصيحاً ، وبمراجعة القوائم نجد كلمة ( أبي ) ( كأب ) معناها فصيح . وفي المعنى العامي مذكور ( أبي ) بمعنى ( أريد ) ولقد صنفت ( أبي ) بمعنى ( أبغي ) عامية . وأي كلمة يحدث فيها ابدال أو زيادة أو نقص في حروفها أو حتى في طريقة نطقها يخرج بها من المعنى العربي الفصيح .

رابعاً ـ تحديد فعل المستقبل من الماضي . لقد تعمدنا أن يقوم بتسجيل المفردات باحثون كويتيون من أجل أن يعرفوا اللهجة والمفهوم منها ، ويكونوا أكثر دراية بتفسير الكلمة أكانت عامية أم فصحى ؟ بالإضافة إلى أننا قد أخذنا الكلمات كما وصلت ، وقارناها بالمعاجم اللغوية وعرضناها على بعض خبراء اللغة العربية ، وهم الذين حددوا إذا كانت الكلمة ذات أصل عربي أو عامية .

خامساً ـ بالنسبة لمفردات الكبار اعتقد أن الطفل كما ذكر الدكتور ، يكتسب لغته من محيط الكبار أساساً ، فالشيء المنطقي أن نجد النسبة نفسها موجودة ولم تتغير كثيراً .

# الندوة السادسة

المنظمات العربية المعنية بالطفولة
أهدافها ـ منجزاتها ـ معوقاتها
( دراسة مسحية )

الدكتور باقر النجار
الدكتور قاسم الصراف

# الندوة السادسة

موضوع الندوة : المنظمات العربية المعنية بالطفولة
أهدافها ـ منجزاتها ـ معوقاتها
( دراسة مسحية )

رئيس الجلسة : الدكتور حسن الإبراهيم

المتحدثان الرئيسيان : الدكتور باقر النجار
الدكتور قاسم الصراف

المشاركون :

١ ـ الدكتور محمد عوفة .
٢ ـ الدكتور بدر العمر .
٣ ـ الآنسة رلى بركة .
٤ ـ الدكتورة تغريد القدسي .
٥ ـ الدكتور قاسم الصراف .
٦ ـ الدكتور شملان يوسف العيسى .
٧ ـ الدكتورة فاطمة نذر .
٨ ـ الدكتورة معصومة المبارك .
٩ ـ السيدة فاتحة دازي الهاني .

# المؤسسات الأهلية المعنية بالطفولة في الخليج العربي
## دراسة مسحية

الدكتور / باقر النجار
جامعة البحرين

لا يبدو أن ان اهتمام اقطار المنطقة في جانبها الرسمي بالطفولة ، على الاقل في بعضها ، متقدم من حيث تاريخه في ذلك عن اهتمام المؤسسات الأهلية القائمة فيها . فمؤسسات المجتمع المدني كجمعيات نسائية ومهنية وخيرية وغيرها كان لها السبق ، ومازال، في تبني مشاريع محو الأمية ، وتقديم المساعدة العينية والمالية للأسر المحتاجة ، وكذا تقديم خدمات الطفولة كمراكز ثقافية وحضانات ورياض اطفال . فالجهاز الرسمي بكل امكانياته المادية والفنية مازال يعتمد في الكثير من دول المنطقة على المؤسسات الأهلية في تقديم خدمات أساسية بقطاعات اجتماعية وسكانية ليست بصغيرة من المجتمع عجز الجهاز الرسمي لسبب أو لآخر عن الوصول إليها . . اي بتعبير آخر ان الجهاز الرسمي قد تمكن خلال العقدين الماضيين من تقديم خدمات نوعية وكمية قد توصف بالضخامة أحياناً شملت في ذلك قطاعات واسعة من السكان بما فيهم قطاع الطفولة . . حيث تأتي الخدمات التعليمية والصحية وبعض الخدمات الترويحية في صدارتها والتي من مصاحباتها مثلاً الانخفاض الواسع في معدل وفيات الاطفال إذ انخفض معدل الوفيات في الفئة العمرية من ١-٤ من ٤٥ ألفا و٥٥ ألفا سنوياً إلى ٢٠ ألفا و٢٥ ألفا حتى عام ١٩٨٥ م . إلا أنه ورغم التنوع الذي قد توصف به الخدمات الصحية وربما الشمول إلا أن الكثير من القيم الاجتماعية السائدة في أوساط التجمعات المحلية Community من أحياء قديمة أو ريف أو بادية تحد من درجة الاستفادة المحلية من هذه الخدمات الأمر الذي يحمل بعض المصاحبات السلبية على المجتمع المحلي ذاته وكذا على درجة تطور هذه الخدمات . . . إذ تشير أحدى الدراسات الرسمية لهذا الأمر بالقول :

«ورغم أنه قد تحقق الكثير من التقدم فإن زيادة الاقبال على الخدمات الصحية يقل كثيراً عن معدل الفقر مع الحديث في . . . مراكز تقديم الخدمات ، ولا توجد احتمالات لتحسين هذا الوضع ما لم تبذل جهود خاصة لتوعية المجتمع وزيادة ادراكه » . . .

إن هذا يعني أن للجمعيات الأهلية المعنية بالطفولة والمجتمع دوراً يمكن أن تلعبه ، ليس في إطار تقديم خدمات مكملة للخدمات الرسمية فحسب وإنما من حيث تعظيم حجم الاستفادة المجتمعية من هذه الخدمات. فالجمعيات الأهلية رغم ما توصف به من القصور الفني والمالي إذا ما قورنت أحياناً بالجهاز الرسمي إلا أنها تبقى ذات امكانية/ امكانيات مجتمعية تفوق أحياناً قدرات الجهاز الرسمي . وهنا فاننا نتحدث عن المؤسسات الأهلية المعنية بالطفولة ولا نتحدث عن تجمعات متماثلة من حيث التكوين الاجتماعي ـ الاقتصادي ، أو من حيث الاهداف والانشطة . فهذه التجمعات تعبر ، سواء في أهدافها أو انشطتها أو ربما القوى الاجتماعية الماثلة بها أو الممثلة لها ، عن تطلعات هذه القوى لحياة أفضل للإنسان ومجتمعه في هذه المنطقة . وهي في اهتمامها بقضية الطفولة فإنها ـ أي قضية الطفولة ـ قد تمثل محوراً رئيسياً وربما مطلقاً في نشاطها ، أو أنها تأتي ضمن اهتمامها بقضية الأمومة أو المرأة ، أو أنها تدخل ضمن اختصاصها المهني أو تقع ضمن اهدافها الإنسانية الخيرية العامة أو الدينية .

ولاسباب منهجية متصلة بطبيعة الموضوع والمادة المتاحة فإن الحديث سوف يتركز عن المؤسسات الأهلية المعنية بالطفولة وفق موقعها في انشطة المؤسسة الأهلية . وكذا أهداف ومنجزات هذه الجمعيات والقوى الاجتماعية الممثلة لها وحدود حركتها وفق حدود المحيط الاجتماعي ـ الاقتصادي القائم .

عند الحديث عن الجمعيات الأهلية المعنية بالطفولة في المنطقة فإن أول ما يتبادر للذهن «الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية» كمنظمة قطرية من حيث تشكيلها الاداري والمالي. إلا أنها عبر قطرية تنزع نحو شمولية أنشطتها البحثية لعموم الأقطار العربية. وتهدف الجمعية نحو تحقيق الأهداف التالية :

١ ـ تقديم المعارف الخاصة بتطور الطفولة المبكرة والتربية في العالم العربي .

٢ ـ تطوير أبحاث تعليمية جديدة ومناسبة عن مرحلة الطفولة .

٣ ـ طرح حاجات الطفولة وقضاياها الملحة من نواحيها المختلفة : التعليمية

والاجتماعية والصحية على المهتمين والمسئولين بطريقة متخصصة وموثقة بالدراسات الميدانية والبحث العلمي .

٤ ـ تكريس اهتمام خاص لدراسة مشاكل الاطفال المعوقين وإعادة تأهيلهم للمساهمة في النشاط الاقتصادي والإنساني العربي العام .

وكما يبدو من أهداف الجمعية أو انشطتها فإن الجانب البحثي التثقيفي يستوعب الحيز الأكبر من انشطة الجمعية والمتمثل في مواسمها الثقافية السنوية ، وكذا في اصدارات الجمعية المتعددة والمعنية بقضايات الطفولة بجوانبها المختلفة ، الصحية والتعليمية والثقافية والنفسية . . . إلخ في المنطقة العربية ، أو في البرامج التلفزيونية التثقيفية المعنية بالطفولة والتي تكاد أن تعرض على شاشات الكثير من التلفزيونات الخليجية والعربية ، أو في تمويلها لمشاريع بحثية مختلفة في الكثير من الاقطار العربية . وقد لعبت الجمعية منذ تأسيسها عام ١٩٨٠ م دوراً أساسياً في إثارة الاهتمام المحلي : الرسمي والأهلي بقضية الطفولة في المجتمع الكويتي وربما في عموم منطقة الخليج العربي . ولا بد مع ذلك من التنويه بأن برامج الجمعية ربما في جلها ، قد جاءت متسقة وإلى حد كبير مع تكوينها الاجتماعي ـ الاقتصادي ذي الطبيعة النخبوية . فأعضاء الجمعية العمومية للجمعية وكذا أعضاء مجالس ادارتها هم في الواقع مما يمكن أن يطلق عليه بالانتلجنسيا الكويتية الفاعلة في الحقل التعليمي التجاري ، وكذا بعض رموز الشرائح العليا من الطبقة الوسطى الجديدة . وقد خبر الكثير من رموز الجمعية صدارة العمل الرسمي أو أنه ما زال في صدارته ، كما أن بعض اعضائها وربما جلهم يرجع بأصوله الاجتماعية إلى الارستقراطية التقليدية والتي بفعل تعليمها العالي المتقدم أو بفعل التصاق بعضها بمصادر الخبرة الغربية ذات لغة خطابية ليبرالية من حيث مضامينها الاجتماعية والسياسية . ودون شك فإن قيادة بعض رموز الانتلجنسيا والارستقراطية الكويتية للجمعية قد اتاح لها ، بعض الشيء ، دعماً رسمياً وكذا دعم بعض شخصيات القطاع التجاري الكويتي ، الأمر الذي ساعدها على تمويل الكثير من برامجها البحثية والتوعوية .

تعتبر الجمعيات النسائية في صدارة الجمعيات الأهلية التي اعتنت بقضايا الطفولة ممارسة وتثقيفاً. وقد اختلفت هذه الجمعيات في درجة اهتمامها بقضايا الطفولة. ففي حين أنها ـ أي قضية الطفولة ـ قد مثلت بؤرة اهتمام وأنشطة بعضها، نرى أنها في بعضها الآخر قد توارت تحت قضية المرأة والمجتمع التي شغلت وما زالت تشغل جل اهتمام هذه الجمعيات رغم ما قد يبدو من أفول لها ـ أي قضية المرأة ـ في ظل ما قد يبدو من سيادة لأصحاب الخطاب الديني. ويبلغ عدد الجمعيات النسائية في المنطقة حوالي ٤٦ جمعية موزعة على الدول الخليجية الست، أغلبها في المملكة العربية السعودية حيث يصل عددها إلى ١٩ جمعية نسائية، تليها ١١ جمعية في سلطنة عمان و٧ جمعيات نسائية في الامارات العربية المحدة وخمس جمعيات في البحرين وأربع جمعيات في الكويت، أما في قطر فان العمل النسائي فيها يتم عن طريق الفرع النسوي لجمعية الهلال الأحمر القطري. وتشترك هذه الجمعيات كلها ـ رغم ما قد يبدو من اختلاف فيما بينها ـ في مجموعة من الأهداف أهمها:

١ ـ النهوض بالمرأة من الناحية الاجتماعية والثقافية والصحية.

٢ ـ الاهتمام بتطوير وضع المرأة في المناطق غير الحضرية، الريف والبادية.

٣ ـ رعاية الطفولة والاهتمام بها من الناحية الصحية والثقافية والتعليمية والروحية، كانشاء دور حضانة ورياض اطفال ومراكز ثقافية تعني الطفل ومراكز لحفظ القرآن.

٤ ـ تطوير القدرات والمهارات الفنية والمهنية للنسوة.

٥ ـ القيام بالمشاريع الخيرية.

٦ ـ القيام بأنشطة التوعية في المجالات الثقافية والاجتماعية والدينية في أوساط النسوة.

ولايبدو أن أنشطة الجمعيات النسائية تبتعد كثيراً عن أهدافها المعلنة، ذلك أن أغلب أنشطة هذه الجمعيات ذات سمة رعائية خيرية ويمكن حصرها في التالي:

١ ـ إقامة فصول محو الأمية .
٢ ـ إقامة الندوات التوعوية في الجوانب الصحية والاجتماعية والثقافية .
٣ ـ رعاية الطفولة والاهتمام بها من الناحية الثقافية والاجتماعية والصحية .
٤ ـ تقديم المساعدة المادية والمعنوية للأسر المحتاجة والفقيرة بصورة منتظمة أو مقطوعة .

بالإضافة لهذه الانشطة فإن الجمعيات النسائية تتولى إدارة مجموعة من المؤسسات الاجتماعية والثقافية المختلفة المعنية بقضايا الطفولة والأمومة . وقد تباين مستوى الخدمة فيها بتباين القدرات والامكانيات المادية والفنية المتاحة لهذه الجمعيات من القطاعين الرسمي والخاص، وكذا حجم مشاركة الأعضاء في النشاط. ومن أهم هذه المؤسسات:

١ ـ مراكز لمحو الأمية خاصة للنسوة .
٢ ـ حضانات ورياض أطفال. وتمتلك بعض الجمعيات النسائية العديد من حضانات ورياض الأطفال موزعة على المناطق الجغرافية المختلفة لكل قطر.
٣ ـ مراكز لرعاية المعوقين والأيتام. . وفي هذا الاطار نجد أن هذه المراكز معنية على وجه التحديد برعاية الأطفال المعوقين، وكذا رعاية الأيتام وخصوصاً في الأقطار الخليجية التي تفتقد كمثل لذلك، أو انها ـ أي المراكز ـ ذات سعة استيعابية محدودة.
٤ ـ مراكز ثقافية للاطفال تعني بالجانب الثقافي والترويحي بالاطفال .
٥ ـ مراكز لتحفيظ القرآن .

ومن المهم الإشارة هنا أن اهتمام الجمعيات النسوية بقضايا الطفولة إضافة إلى اهتمامها بقضية المرأة هو محصلة طبيعية للسمة الرعائية التي اصطبغ بها العمل الاجتماعي التطوعي في عموم المنطقة متأثراً بذلك بالنموذج السائد في مراكز الثقل العربي في مصر والشام . . . حيث عنت المؤسسات النسائية سواء أكانت الجمعيات النسائية الخيرية ذات المنحى الرعائي أو تلك ذات المطلب الحقوقي

النسوي بقضايا الطفولة كجزء من اهتمامها بقضية المرأة . . . الأمر الذي بدا في الفترة الأخيرة وخصوصاً بالنسبة لجمعيات المطلب الحقوقي النسوي أكثر بروزاً من القضية الحقوقية للمرأة .وذلك محصلة للمعطيات الاجتماعية والسياسية السائدة في عموم المنطقة العربية والتي عقدت من امكانية تحقيق المطلب الحقوقي النسوي على المدى الزمني المنظور . ومن الغريب أن الجمعيات النسائية ذت النشأة الخمسينية والستينية قد شغلت نفسها لحقب من الزمن بالقضية الحقوقية النسوية ، ثم عادت بعد ذلك مع نهاية السبعينات لتضمن خطابها السنوي قضايا الطفولة والأمومة بعد أن كانت قضيتها الأولى المرأة والعمل والمشاركة السياسية . ويمثل هذا النموذج بعض الجمعيات النسائية في البحرين والكويت مثل جمعية نهضة فتاة البحرين وجمعية أوال النسائية في البحرين، والجمعية الثقافية النسائية وجمعية النهضة النسائية ( المنحلة ) في الكويت . ونتيجة لطبيعة التكوين الاجتماعي ـ الاقتصادي لعضواتها وكذا تأثرهن بالفكر الاجتماعي القومي والليبرالي السائد انذاك في المنطقة العربية فقد انشغلت هذه الجمعيات بالمسألة الحقوقية للمرأة ، إلا أنها عادت وربما منذ نهاية السبعينات لتضمن أنشطتها قضية العناية برعاية الطفولة والأمومة . وقد جاء اهتمام جمعيتا ( أوال ) و ( النهضة ) البحرينيتان متركزاً في مجال الخدمات التعليمية لطفل ما قبل المدرسة،وكذا بعض الانشطة التوعوية في مجال الطفولة والرعاية الصحية ، في حين تجاوزت ذلك الجمعية الثقافية النسائية الكويتية بقيامها بمشروع قرية حنان في السودان . ومع ذلك فإن هناك من يعتقد أن الانشطة الرعائية التي تقدمها هذه الجمعيات في مجال الطفولة والأمومة هي اسهام غير مباشر من قبل هذه الجمعيات بالقضية الحقوقية للمرأة العاملة، بل ان بعضهم يدعو للتوسع في مشروعات الطفولة لكونها تصب في خدمة المسألة الحقوقية للمرأة على المدى الزمني البعيد.

أما النموذج الآخر من الجمعيات النسائية الخليجية فاهتمامها بالطفولة قد جاء متوازيا مع بدء اهتمامها بقضية المرأة . وتمثل جمعية رعاية الطفولة والأمومة البحرينية النموذج البارز والمتبني في بقية مناطق الخليج وبالتحديد في الإمارات

العربية المتحدة وسلطنة عمان . وقد مثلت هذه الجمعيات من حيث تكوينها الاجتماعي ـ الاقتصادي النخب الاجتماعية والتجارية وربما السياسية ، أو بتعبير أكثر دقة بعض شرائح الارستقراطية التقليدية ذات النزوع الليبرالي مع بعض نساء الفئة التجارية والسياسية الطارئة . وقد مكن تصدر النخب المحلية من النسوة لقيادة العمل في هذه الجمعيات من الحصول على دعم مالي وفني اتسم بالسخاء من القطاعين الرسمي والخاص ، الأمر الذي مكنها من توسعة رقعة نشاطها ليشمل قطاعات اجتماعية وسكانية وعمرية مختلفة تعاني من قصور في الخدمات الاجتماعية الرسمية المقدمة لها . فعلى سبيل المثال تدير جمعية رعاية الطفولة والأمومة البحرينية معهد الأمل الخاص برعاية الأطفال المعوقين بالإضافة إلى سبع من رياض الأطفال موزعة على المناطق الجغرافية المختلفة ، ومركز الرعاية الثقافية للأطفال ومركز تحفيظ القرآن بالإضافة إلى البرامج التوعوية والمتعلقة برعاية الطفل في الجوانب الصحية والتربوية . وبالمثل نجد أن الجمعيات النسائية السعودية والبالغ عددها تسع عشرة جمعية تشرف على ما يقارب من ٨٧ روضة أطفال ، يستفيد منها ١٥١٧٤ طفلاً ، كما أنها تدير مراكز معنية بصحة وثقافة الطفل ، إضافة إلى مراكز لرعاية الأطفال المعوقين وكذا مساعدة الأسر المحتاجة ماليا وعينيا . وتتركز خدمات الجمعيات النسوية هذه في الغالب في المناطق الحضرية إلا أن خدماتها تمتد لتشمل المناطق الريفية ، والبادية . أما في دولة الإمارات العربية المتحدة فإن جمعياتها النسائية الست اضافة إلى الاتحاد النسوي تتوزع على ست امارات تتصدرها إمارة أبو ظبي ودبي والشارقة ورأس الخيمة وعجمان وأم القيوين . ولا تختلف جمعيات الإمارات النسائية من حيث تكوينها الاجتماعي ـ الاقتصادي عن تلك في المناطق الأخرى من الخليج العربي من حيث تصدر نساء النخب المحلية لقيادة العمل النسوي وكذا اتجاهها الرعائي . وتتركز انشطة الجمعيات هذه في مجال تقديم الخدمات التعليمية لاطفال ما قبل المدرسة ، وكذلك تقديم خدمات صحية وتنظيم المحاضرات التوعوية وورش العمل المعنية بمناقشة قضايا الطفولة والأمومة الصحية والتربوية والاجتماعية . وقد ضمن تصدر

نساء النخب بقيادة العمل في هذه الجمعيات دعماً مادياً اتسم بالسخاء أحياناً من قبل الجهاز الرسمي . حين شكل الدعم المالي المقدم من وزارة العمل والشئون الاجتماعية بالدولة لهذه الجمعيات في الفترة الممتدة من ١٩٧٤ م إلى ١٩٨٦ م ما نسبته ٣٧ ٪ من اجمالي الدعم المالي الرسمي المقدم لكل جمعيات النفع العام بالدولة . ورغم توقف الدعم المالي الرسمي لمعظم الجمعيات الأهلية منذ عام ١٩٨٦ إلا أن الدعم المالي الرسمي قد استمر لجمعيات معينة ذات القوة والنفوذ الاجتماعي المتميز . وتعاني هذه الجمعيات كما الجمعيات النسائية الأخرى في عموم المنطقة من قلة المشاركة المحلية في الانشطة والفعاليات، كما تتدنى درجة استفادة القطاع النسوي المحلي من خدماتها المقدمة إذا ما قورنت في ذلك بالقطاع النسوي العربي الوافد.

وفي سلطنة عمان فإن الجمعيات النسوية المعنية فيها بالطفولة هي جميعة المرأة العمانية في العاصمة، وجمعية المرأة العمانية في صدر، وربما قد يضاف إليها كذلك جمعية المرأة العمانية في أبره . وتعاني جمعيات السلطنة النسائية من ضعف واضح في امكانياتها المادية إذا ما قورنت بجمعية العاصمة، وتدنٍ في المستوى التعليمي للعضوات وعزوف واضح عن المشاركة ، بالإضافة إلى الدور الفاعل والمعيق الذي تلعبه بعض القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع العماني فيما يتعلق بدور ومكانة المرأة في المجتمع . وتقيم هذه الجمعيات في الغالب في مقار متواضعة البناء والامكانيات . وهي في الواقع عبارة عن بيوت شعبية محدودة المساحة والامكانيات . وتعتمد جمعيات الاقاليم على الدعم الرسمي في تمويل انشطتها ، والذي ـ أي الدعم المالي ـ رغم محدوديته يذهب الجزء الكبير منه لدفع قيمة ايجار المقر . وتتركز انشطة جمعيات الاقاليم في مجال التوعية الصحية والثقافية المتعلقة بالطفولة والأمومة ، إضافة إلى تنظيم المهرجانات والحفلات المعنية بالطفل . في حين اتاحت الوفرة المادية المتاحة نسبياً لجمعية العاصمة امكانية افتتاح حضانة ملحقة بمبنى الجمعية، كما أنها تزمع انشاء مراكز متخصصة في رعاية الطفولة والمعوقين . وتنزع جمعية العاصمة وإلى حد كبير ، إلى تبني نموذج جمعية رعاية

الطفولة والأمومة البحرينية من حيث البرامج وكذا قطاعات الاهتمام والرعاية. وهي تمثل في الواقع نساء مجتمع النخبة في مسقط العاصمة ممن خبر التعليم وبعض ليبرالية الحياة الاجتماعية وربما السياسية في بعض البلاد العربية والخليج ابان المرحلة السابقة للسبعينات . كما أنهم في الغالب ينحدرون من اصول مدينية أو قبلية ذات استقرار مديني تعمل جل عائلاتهم في مجال التجارة، كما يتبوأ بعضهم المراكز القيادية في الجهاز الرسمي وبعض مؤسسات القطاع الخاص.

وأخيراً فإن النموذج الثالث للعمل النسوي الـ معنى برعاية الطفل هو الجمعيات النسوية ذات النزوع الإسلامي كجمعية بيادر السلام التي تم انشاؤها في ديسمبر من عام ١٩٨١ وجمعية الرعاية الإسلامي التي انشئت عام ١٩٨٢ في الكويت . وتمثل الأخيرة نساء مجتمع النخبة ذوات المنحى الديني . وهي في مضامين خطابها الديني تقترب كثيراً مما اسمته بعض الادبيات « بالإسلام الرسمي » . ويقتصر نشاطها على جوانب التوعية الدينية والثقافية المعنية بالأسرة ، أما فيما يتعلق بالطفل فإنها بالإضافة لندوات التثقيف الصحي تقيم بعض المهرجانات والرحلات الترفيهية لاطفال نساء الجمعية . أما جمعية بيادر السلام فإنها تمثل الجيل النسوي الجديد في المجتمع الكويتي ذا الخطاب الديني . وتتنوع انشطتها لتشمل الندوات واصدار الكتيبات التوعوية الدينية في الجوانب الاجتماعية والتربوية وكذا الطفولة . كما أن الجمعية تنظم في الغالب انشطة ترفيهية واجتماعية للطفولة . والجمعية رغم اتساقها المرجعي مع اللجان النسوية في الجمعيات الدينية كجمعية الاصلاح الاجتماعي وغيرها . . إلا أنها تمثل من حيث مضامين خطابها الديني موقفاً يبدو مغايراً ومتسقاً بعض الشيء مع المضامين الدينية لخطاب جماعات السلف. وتتميز عضوات الجمعية بكونهن في العشرينات أو الثلاثينات من العمر وذوات تفان ومشاركة منقطعة النظير في انشطة الجمعية . ويستوعب الجانب الوعظي الديني والاجتماعي الحيز الكبير من انشطة الجمعية بالإضافة إلى اهتمامها غير العادي بمسألة الطفولة . إذ تدير الجمعية حضانة للاطفال إضافة إلى البرامج الاجتماعية والترفيهية التي تشرف على تنظيمها . وقد

اصدرت الجمعية مجموعة من قصص والعاب الاطفال ، واشرطة شدو ومسرحيات دينية وظفت في عملية التنشئة الدينية للاطفال ، ويبدو ذلك أكثر وضوحاً في توظيفها الديني للعبة الاطفال المشهورة السلالم والثعابين Snekes and Ladders . وتعتمد الجمعية في تمويل انشطتها المتعددة بالإضافة إلى الدعم الرسمي والمقدر بـ ١٢ ألف دينار على دعم وتبرعات الافراد والمؤسسات الاقتصادية .

وتمثل الجمعيات الخيرية شكلاً ونموذجاً آخر من المؤسسات الأهلية المعنية بالطفولة سواء في منحى هذا الاهتمام وكذا درجته . وهي بخلاف الجمعيات النسائية فإن اهتمامها بالطفولة والأمومة قد يأتي مباشراً كما هو الحال في انشطة جمعيات الهلال الأحمر وبعض الجمعيات الخيرية ، أو أنه يكون هامشياً وغير مباشر كما هو الحال بالنسبة لبعض الجمعيات التي يقتصر نشاطها على تقديم الدعم المالي للأسر المحتاجة .

والملاحظ أن اهتمام جمعيات الهلال الأحمر بالطفولة تشترك معه بعض الجمعيات المهنية كجمعيات الأطباء وتشمل انشطة هذه الجمعيات خدمات الرعاية الصحية للطفولة من خلال المراكز الصحية التابعة لها كما هو الحال في المملكة العربية السعودية ، أو الاشتراك في حملات التطعيم والتوعية ضد الأمراض المعدية التي تصيب الطفل كما هو الحال في البحرين ، أو تقديم الدعم المالي لبعض الأسر المحتاجة لعلاج اطفالها ( وفي ذلك تشترك اغلب الجمعيات الخيرية ) ، أو تقديم خدمات تعليمية لاطفال ما قبل المدرسة من خلال المؤسسات التعليمية التابعة لها كحضانات ورياض اطفال ( كما هو الحال في البحرين ) ، أو أنها معنية بتقديم الخدمة للمعاقين من الاطفال كما هو الحال في قطر .

وتشترك الجمعيات الخيرية في مجموعة من الأهداف التي يمكن ايجازها في التالي :

١ ـ تقديم المساعدات والدعم المالي والعيني للأسر المحتاجة والفقيرة .

٢ ـ تقديم المساعدات والمعونات المادية والمعنوية للجهات المنكوبة في الخارج .
٣ ـ مساعدة المعوقين عقلياً وجسدياً .
٤ ـ المساهمة في رفع وشمول مستوى الخدمات الطبية والصحية لكل المناطق الجغرافية المختلفة المكونة للقطر.

بالإضافة لذلك فإن هناك أهدافاً تكاد أن تكون قطرية لهذه الجمعيات وهي تنطلق في الأساس من الحاجات المعنية بتلبيتها هذه الجمعيات . ويلاحظ ان أهداف الجمعيات الخيرية ـ الصحية تختلف عن تلك الخيرية ـ الدينية وكذا الجمعيات الخيرية ـ الإنسانية ، كما أن مركز الثقل في انشطة كل منها يختلف عن بعضها الآخر . ففي حين يتركز جل نشاط الجمعيات الخيرية ـ الصحية على الجوانب الصحية وربما بعض الاجتماعية كمساعدات مالية وخدمات تعليمية وغيرها، تركز الجمعيات الخيرية ـ الدينية أو الخيرية ـ الإنسانية على جوانب المساعدة المادية والاجتماعية للأسر والتثقيف أو التنشئة الدينية، منطلقة في ذلك من فكرة أن صلاح الفرد دينياً تعني صلاح المجتمع . وهي في بعضها تجتذب قطاعات واسعة من الطفولة من فئات عمرية مختلفة حيث تتيح لهم الدخول في انشطة رياضية وتعليمية ودينية متعددة ، كما أنها توفر لبعضهم دعماً مالياً وكذلك لطلاب المدارس دروس تقوية . فعلى سبيل المثال ، تقدم جمعيات الاصلاح في عموم المنطقة خدمات متعددة للطفولة متمثلة في دورات رياضية مختلفة، دورات في الكمبيوتر، دعم مالي للطلبة المحتاجين أو لأسرهم، تنظيم دروس تقوية لطلبة المدارس وكذا لطلبة الإعادة أثناء العطل الصيفية، تنمية قدرات الأطفال العلمية والأدبية من خلال الدخول في مسابقات أدبية وعلمية ومسرحيات . كما أن الجمعية من خلال اللجنة النسائية التابعة لها تنظم دورات ومحاضرات للأمهات في مجال صحة الطفولة والأمومة والتربية الدينية للأطفال بالإضافة إلى الرحلات والحفلات الترفيهية .

ويتصدر مجالس إدارة الجمعيات الخيرية في الغالب بعض رموز النخب التجارية والسياسية، وبعض رموز الانتليجنستيا المحلية الأمر الذي يوفر لها دعماً مادياً

كبيراً من الجهات الرسمية ومؤسسات القطاع الخاص . إذ يمثل حجم الدعم الرسمي المقدم لهذه الجمعيات في بعض اقطار المنطقة الأعلى إذا ما قورن بالجمعيات الأهلية الأخرى ، و تتلقى جمعية الهلال الأحمر الكويتي ما قيمته ١٠٠ ألف دينار كويتي سنوياً في حين أن جمعية الاصلاح الديني في إمارة الشارقة كانت تتلقى حتى فترة متأخرة دعماً رسمياً قدر بليون درهم سنوياً . بالإضافة لذلك فإن تضمين مجالس إدارات هذه الجمعيات ببعض رموز القطاع التجاري يكون في الغالب ، مصدر تمويل لبعض مشاريعها أو تغطية أي عجز قد يطرأ على موازناتها السنوية . ولقد استطاعت بعض الجمعيات الخيرية الدينية والإنسانية منها بالتحديد أن تطور من مصادر تمويلها الخاص وذلك باستثمار جزء من دخل الجمعية في مجالات الاستثمار المختلفة ؟ العقاري ، التجاري ، والمالي ـ .

وأخيراً فإن نموذج جمعية البحرين لرعاية وتنظيم الأسرة يمثل نموذجاً آخر من المؤسسات الأهلية المعنية بالطفولة . فهي في ذلك تشترك مع جمعيات الهلال الأحمر والاطباء في تركيزها على جانب الرعاية الصحية للاطفال وكذا أمهاتهم . وتسعى الجمعية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أهمها :

١ ـ تقديم المعرفة بأهمية التخطيط والتنظيم العائلي وجعلها حقاً إنسانياً لطالبيها .
٢ ـ حماية الأمومة ورفع مستواها .
٣ ـ نشر الوعي الغذائي بالطرق المختلفة بين افراد الشعب .
٤ ـ تأسيس مراكز للخدمات الاجتماعية والصحية تكون مهمتها العمل على نشر الارشاد العائلي على مختلف المستويات .
٥ ـ تنظيم حلقات دراسية عن أوضاع العائلة ومشاكل تنظيمها .
٦ ـ اعداد الابحاث المتعلقة بالأسرة صحياً واقتصادياً واجتماعياً وتربوياً .
٧ ـ توفير وسائل التنظيم والتخطيط العائلي بتقديم الرعاية الصحية والاجتماعية اللازمة .

وقد بدأت الجمعية وقت نشأتها عام ١٩٧٥ بمحاولة القيام بمشاريع تميزت أحياناً بالطموح الكبير، وربما الدراية القليلة بالمحيط الاجتماعي السائد،وكذا تجاوزا

لامكانيات الجمعية البشرية والفنية ، حيث طرحت الجمعية انشاء مراكز في المناطق المختلفة للجزيرة معنية بتقديم الخدمات الصحية والتثقيفية ذات العلاقة بمسألة تنظيم الأسرة أو ما اسموه بعد ذلك بمباعدة الولادات . ويبدو أن هذه الخطوة لم تلاقي القبول وخصوصاًفي أوساط التجمعات المحافظة اجتماعياًفي الريف والأحياء القديمة . كما أن طرح الجمعية لفكرة تنظيم الأسرة قد عرضها لهجوم عنيف من بعض رموز الجماعات الدينية والمحافظة . وقد قصرت الجمعية خدماتها في هذا الاطار على الخدمات الرسمية المقدمة من خلال مراكز صحة الطفولة والأمومة التابعة لوزارة الصحة . وقد ساعد الجمعية على تقديم خدماتها المتعلقة بتنظيم الأسرة أن معظم العاملين الرسميين في هذا الاطار هم من أعضاء الجمعية أو من المتعاونين معها . . إلا أن مثل هذه الخدمات لا زالت تعاني من القصور وذلك لسبب عدم الدراية الفنية والتخصصية لبعض العاملين الرسميين في مراكز صحة الطفولة والأمومة . وفي الغالب ما تقوم هذه المراكز بتقديم خدمات متعلقة بالفحص المبكر قبل الزواج وربما احياناً توفير وسائل تنظيم الأسرة وكذا العناية بالطفل قبل وبعد الولادة . أما الانشطة الأخرى للجمعية فقد اقتصرت على الاصدارات التوعوية ، كالملصقات والنشرات ، والكتيبات التثقيفية في مجال صحة الطفل والأمومة . كما تنظم الجمعية المحاضرات العامة والندوات التدريبية وورش العمل ذات العلاقة بمجال الطفولة والأمومة من الناحيتين الصحية والاجتماعية للباحثات الاجتماعيات العاملات في القطاع الصحي ، وكذا ممرضات وممرضي وزارة الصحة . وعلى الرغم من أن الجمعية قد حققت بعض النجاح في أوساط الجماعات المذينية والمتعلمة إلا أنها محدودة الحركة والقبول في المناطق الريفية وفي أوساط الجماعات المحافظة أو تلك التي تسود الأمية في أوساطها .

وتمثل الجمعية في الغالب الشريحة العليا من الطبقة الوسطى الجديدة العاملة في الحقل الصحي أو التعليمي أو الاجتماعي ممن خبر العملية التعليمية في بعض البلاد العربية أو الغربية ، كما تضم الجمعية بعض رموز الفئة التجارية التقليدية أو

الطارئة أو تلك الباحثة عن دور على الصعيد الاجتماعي . وتعتمد الجمعية في تمويل انشطتها على الدعم الرسمي المقدم من وزارة العمل والشئون الاجتماعية والذي لا يتجاوز في الغالب الثلاثة الأف دينار سنوياً وعلى اشتراكات الاعضاء وبعض التبرعات ، إلا أن جل هذا التمويل يأتي من الدعم السنوي المقدم لها من الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة ، كما أن الجمعية في الغالب ما تحصل على دعم مالي لتمويل مشاريعها البحثية من بعض المنظمات الدولية أو الاقليمية .

وأخيراً وليس آخراً فإن الجمعيات الأهلية المعنية بالطفولة ونتيجة لاسباب متعددة قد جاء نشاطها متركزاً في مجالين إثنين المجال التوعوي التثقيفي بجانبيه الصحي والاجتماعي وبعض الديني ، والجانب التعليمي المتمثل في توفير الخدمات التعليمية لاطفال ما قبل المدرسة أو بالمساعدة في دعم الاداء التعليمي لبعض الطلبة . وكما يبدو أن هذه الخدمات متقصرة في الغالب على المناطق المدينية عنها في المناطق الريفية أو البادية . بالإضافة لذلك فإن الشواهد السائدة في بعض اقطار المنطقة تشير إلى أن درجة استفادة القطاع السكاني المحلي ، ولاسباب بدت ذات علاقة بالنسق القيمي السائد ، من خدمات مؤسسات الطفولة أقل كثيراً من القطاع السكاني الوافد وبالتحديد العربي .

وبالمقابل فإنه لا بد من التأكيد على أن الفهم الصحيح للقصور الكمي وربما الكيفي لخدمات المؤسسات الأهلية في مجال الطفولة وغيرها وكذا محدودية شمولها الجغرافي وربما ضعف استقطابها المجتمعي لا يستوي في الحقيقة إلا من خلال معرفة المحيط القانوني الاجتماعي وربما السياسي أحياناً الذي تعمل في إطاره مثل هذه المؤسسات . إن بعض اقطار المنطقة لا زالت تعتقد أن المؤسسات الأهلية في عمومها أدنى من أن تشكل البديل لخدمات الجهاز الرسمي . كما أنها ـ أي المؤسسات الأهلية ـ ولأسباب مالية وربما فنية واجتماعية عاجزة عن تحقيق ما حققه الجهاز الرسمي من شمول في هذا الاطار . ورغم ما قد يبدو على هذا القول من بعض الصواب . . لا أننا مع ذلك نضيف فنقول إن المؤسسات الأهلية ستبقى تمثل رديفاً وشريكاً أساسياً لا يمكن نفيه من عملية التنمية . أي وبتعبير

آخر ، إن تطور العمل الأهلي بمفهومه العام ليس معتمداً فقط على تغيير انشطة الجمعيات الأهلية وكذا شمول برامجها من أجل التقاء أكبر مع حاجات وتطلعات المجتمع ، وإنما يعتمد بصورة أكبر وأوسع كذلك على تطور مواز أو قد يفوق في مفهوم المؤسسة الرسمية للعمل الأهلي الاجتماعي . وانتفاء عامل الحذر وربما شعور المزاحمة أحياناً الذي يبدو عليه سلوك المؤسسة الرسمية، وكذا ضرورة اقتناعها بأن لمؤسسات المجتمع المدني دوراً يجب أن تلعبه في عملية التنمية وذلك من أجل الوصول إلى مشاركة أوسع وثمار أفضل في إطار فهمنا الجديد لعملية التنمية أو تصحيح لمسارها .

# المصادر


١ ـ أ. وليمز وآخرون ـ استعراض خدمات رعاية الطفولة في دول مجلس التعاون الرياض ـ الأمانة العامة لمجلس التعاون ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨٩ م .

٢ ـ باقر النجار ـ العمل الاجتماعي التطوعي في الدول العربية الخليجية ـ البحرين ـ مكتبة المتابعة ـ ١٩٨٨ م .

٣ ـ باقر النجار ـ المؤسسات الأهلية في الخليج العربي ـ التاريخ والمجتمع ـ ورقة مقدمة لندوة المنظمات الأهلية في الوطن العربي ـ القاهرة ـ اكتوبر / نوفمبر / ١٩٨٩ م .

٤ ـ راشد محمد راشد ـ العمل الاجتماعي في دولة الامارات العربية المتحدة ـ دبي وزارة العمل والشئون الاجتماعية ١٩٨٧ م .

٥ ـ راشد محمد راشد ـ واقع الجمعيات ذات النفع العام ـ دراسة احصائية ـ دبي وزارة العمل والشئون الاجتماعية ١٩٨٩ م .

٦ ـ سعد الدين إبراهيم ـ تأثير التغيرات الاجتماعية ـ الاقتصادية المتسارعة على الطفولة العربية ـ ورقة مقدمة لندوة الطفولة في بلدان الخليج العربية، جامعة الإمارات ـ العين ـ فبراير ١٩٨٨ م .

٧ ـ فاطمة عباس نذر ـ نحو تحديد أولويات واحتياجات الطفولة الخليجية في عقد التسعينات ـ الكويت ـ الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ـ ١٩٨٩ م .

٨ ـ محمد جواد رضا ( تحرير ) الطفولة العربية ومعضلات المجتمع البطركي ـ الكتاب السنوي الثاني ـ الكويت ـ الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ٨٤ / ٨٥ م .

٩ ـ محمد جواد رضا ( تحرير ) الاطفال وحروب شتى في العالم العربي ـ الكتاب السنوي الثالث ـ الكويت ـ الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، ٨٥ / ٨٦م.

# المنظمات العربية المعنية بالطفولة
# ( أهدافها ـ منجزاتها ـ معوقاتها )

دراسة مسحية في الدول العربية غير الخليجية

د. قاسم الصراف

# المقدمة :

تأتي هذه الدراسة المسحية للمنظمات العربية المعنية بالطفولة في الدول العربية غير الخليجية انطلاقاً من إيمان الباحث بأن لمقدار العناية بمراحل الطفولة تـأثيرات كبـيرة على نمو الأفراد والأمم، وأن توفر الرعاية الملائمة للأطفـال كانعكـاس للتقدم الحضـاري هو الشرط الأساسي لحسن استثمار امكاناتهم وطاقاتهم.

وتأتي هذه الدراسة أيضاً منسجمة مـع سياسـة الجمعية الكـويتية لتقـدم الطفولة العربية في الاطلاع والتعرف على دور مؤسسات تربية الاطفال في البلاد العربية، ودراسة مشكلاتها وأهدافها ومعوقاتها بغية التعاون معها لرفع كفايـاتها وتحسـين خدماتها، واستجابة كذلك لايمان الجمعية بالعمل على جمع وتنسيق الخبرات والمعلومـات المتوفرة لدى المنظمات العربية المعنية بالطفولة، وجعلها في متناول يد الباحثين المختصـين في هذا المجال.

وبناء على ذلك تمت مكاتبة ثمان عشرة منظمة عربية معنية بالـطفولـة في الوطن العربي في احدى عشرة دولة عربية : هي العراق ، الأردن ، الجمهورية العربية السورية ، لبنان ، فلسطين ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المملكة المغربية ، السودان ، جمهورية مصر العربية .

وقد طلب من هذه المنـظمات تزويـدنا بمعلومـات عنها من حيث واقعهـا وأهدافها ومنجزاتها ومعوقاتها . ولم يصلنا الرد إلا من أربع منظمات هي :

١ ـ المجلس العربي للطفولة والتنمية ـ القاهرة .
٢ ـ دائرة ثقافة الاطفال ـ الجمهورية العراقية .
٣ ـ مركز مصادر الطفولة المبكرة ـ فلسطين المحتلة .
٤ ـ جمعية حماية الأسرة المغربية ـ المملكة المغربية .

وكانت نسبة الردود التي وصلتنا لا تتعدى ٢٢ ٪ من مجموع المنظمات في الدول العربية المعنية .

**هدف الدراسة :**

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على الاسئلة التالية :ـ

١ ـ ما هي أهم المنظمات العربية المعنية بالطفولة في الدول العربية غير الخليجية ؟ .

٢ ـ ما هي أهداف تلك المنظمات ، والنشاطات التي تقوم بها والمعوقات التي تجتاز طريقها ؟ .

٣ ـ ما هي المجالات التي يمكن للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية المساهمة بها في خدمة هذه المنظمات ؟ .

**حدود الدراسة :**

تقتصر هذه الدراسة على أهم المنظمات العربية المعنية بالطفولة في الدول العربية غير الخليجية ، ولا ترعى الدراسة ، في مراحلها الأولى على الاقل ، جميع المنظمات التي تتعامل مع الطفولة في هذه الدول . لما يتطلبه ذلك من جهد ووقت ليس بمقدور الباحث تحمله في الوقت الحاضر .

**منهجية الدراسة :**

القصد من هذه الدراسة أن تكون دراسة مسحية للمنظمات العربية المعنية بالطفولة في البلدان العربية غير الخليجية وهي :

العراق ، الأردن ، سوريا ، لبنان ، فلسطين ، مصر ، السودان ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب .

وقد تمت مراسلة هذه الدول سواء عن طريق منظماتها أو عن طريق سفاراتها في دولة الكويت ، وطلب من المعنيين موافاتنا ، في المرحلة الأولى ، باسماء أهم المنظمات لديهم ، وأهدافها ، ومنجزاتها ، ومعوقاتها .

ولقد غاب عن بال الباحث الصعوبات التي يلقاها أي باحث يتعامل مع مؤسسات عربية من حيث التأخر في الرد أو عدم الاستجابة للرسالة المرسلة

إليها . الأمر الذي أدى إلى تعثر هذه الدراسة في مراحلها الأولى . ولذلك تمثل الردود التي وصلت إليها نحو ٢٢ ٪ من مجموع عينة الدراسة .

## نتائج الدراسة :

يمثل هذا الجانب من الدراسة اسماء المنظمات العربية المعنية بالطفولة التي قامت بالإجابة على رسائلنا الموجهة إليها .

جدول رقم (١)

جدول يمثل توزيع اسماء المنظمات العربية المعنية بالطفولة والدول التي تمثلها

| الرقم | اسم المنظمة | اسم الدولة |
|---|---|---|
| ١ ـ | المجلس العربي للطفولة والتنمية | جمهورية مصر العربية |
| ٢ ـ | مركز مصادر الطفولة المبكرة | فلسطين ( الضفة الغربية ) |
| ٣ ـ | دائرة ثقافة الاطفال | الجمهورية العراقية |
| ٤ ـ | جمعية حماية الأسرة المغربية | المملكة المغربية |

إليكم الآن معلومات تفصيلية عن أهم أهداف ومنجزات ومعوقات هذه المنظمات :

**أولاً ـ المجلس العربي للطفولة والتنمية : ـ**

وهو مؤسسة طوعية اعتبارية مستقلة ، مكانه القاهرة ، ويهدف إلى المساهمة في تطوير أوضاع الطفل العربي ، وتأكيد هويته ، وقيمه العربية والإسلامية ، وقدراته العلمية وملكاته الإبداعية .

ومن أهداف هذا المجلس : ـ

أ ـ تحديد حاجات الطفل العربي الراهنة والمستقبلية تحديداً علمياً ورسم أولويات العمل الملائمة لتطوير هذه الاوضاع من خلال رؤية تنموية شاملة .

ب ـ توعية الأسرة والرأي العام العربي بمشكلات الطفولة واستنباط الاساليب والوسائل لتعبئته في مواجهة هذه المشكلات .

جـ ـ صياغة المشروعات والبرامج والانشطة التجديدية في مجال تنمية الطفولة العربية واقتراحها على متخذي القرار وعلى المؤسسات القومية والحكومية والأهلية في البلاد العربية .

د ـ المساهمة في رفع مستوى كفاءة العاملين في مجال الطفولة وفي تطوير اساليب العمل المؤسسي وبوجه خاص ما اتصل منه بالمشروعات القائمة على المشاركة الأهلية واعتماد المجتمعات المحلية على الذات .

هـ ـ دعم المؤسسات القومية والقطرية الحكومية منها والأخذ في تخطيط وتنفيذ المناسب من المشروعات والتجارب الرائدة والعمل على التعريف بها وتعميم نتائجها .

و ـ الاستجابة لمعالجة الحالات الطارئة والاوضاع الاستثنائية التي قد يتعرض لها الاطفال في البلاد العربية نتيجة للحروب والكوارث الطبيعية.

ز ـ التعاون والتنسيق مع المنظمات العربية والدولية في حدود اهتمامات المجلس وتجنب الإزدواجية وتكرار ما تقوم به .

**١ ـ منجزات المجلس ومشروعاته : ـ**

ـ عقد حلقتين دراسيتين احداهما عن ثقافة الطفل ( ٢٩ اكتوبر ١٩٨٨ ) ، والأخرى عن رياض الاطفال ( ٣ ـ ٦ يوليو ، ١٩٨٩ ) .

ـ عقد حلقة دراسية علمية عن ( برنامج الرصد والتنبيه المبكر لتعزيز التطور النفسي والاجتماعي للطفل في إطار الرعاية الصحية الأولية ) بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية في جنيف .

ـ عقد حلقة دراسية عن التثويم المهني للمعوقين ورعايتهم في الوطن العربي ( مايو ٨٩ ) .

## ٢ ـ التعاون مع المنظمات العربية والدولية والأهلية : ـ

ـ على مستوى التعاون مع المنظمات العربية ؛

هناك تعاون بين المجلس و :

١ ـ جامعة الدول العربية من خلال .

أ ـ المشروع العربي للنهوض بالطفولة .

ب ـ اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل .

٢ ـ برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية :

يمول هذا البرنامج المجلس بمبلغ ٣٠٠ر٠٠٠ دولار سنوياً .

٣ ـ مجلس التعاون لدول الخليج العربية :

يسهم المجلس في وضع الخطة المستقبلية مع مجلس التعاون الخليجي .

٤ ـ المعهد العربي لإنماء المدن :

هناك نية لاشتراك المجلس مع المعهد في اتاحة مؤتمر عن الطفل العربي والمدينة خلال هذا العام .

ـ على مستوى التعاون مع المنظمات الدولية : ـ

هناك تعاون بين المجلس و :

١ ـ برنامج الأمم المتحدة الإنمائي .

٢ ـ صندوق الأمم المتحدة للانشطة السكانية .

٣ ـ منظمة الصحة العالمية .

٤ ـ منظمة الأمم المتحدة للاطفال ( اليونيسيف ) في مجال اصدار النسخة العربية لكتاب ( حقائق الحياة ) لتوعية الأمهات .

٥ ـ منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم ( اليونسكو ) .

٦ ـ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لدول غرب آسيا .

٧ ـ منظمة العمل الدولية .

**ـ على مستوى التعاون مع المنظمات الأهلية : ـ**

هناك تعاون بين المجلس و :

١ ـ المركز الدولي للطفولة بباريس .

٢ ـ منظمة انقاذ الاطفال الدولية .

٣ ـ منظمة التأهيل الدولية .

**٣ ـ النشر والاعلام : ـ**

ويشتمل على الآتي :

١ ـ اعداد نشرة دورية كل ثلاثة أشهر توزع على الاعضاء .

٢ ـ اعداد الكتاب السنوي للمجلس بعنوان واقع الطفل في الوطن العربي .

٣ ـ اصدار مجلة ( المختار للصغار) تتضمن أحسن ما كتب في مجلات الاطفال في البلاد العربية .

٤ ـ اصدار نشرة شهرية تحوي مقتطفات من أهم ما كتب عن الطفولة في الصحف والمجلات العربية .

٥ ـ اصدار دليل ببليوجرافي عن الصحة العامة وتغذية الطفل العربي .

٦ ـ اعداد دليل مبسط للعاملين الصحيين بشأن استئصال شلل الاطفال في المنطقة العربية قبل عام ٢٠٠٠ .

٧ ـ اصدار النسخة العربية لكتيب توعية الأمهات بعنوان (حقائق الحياة ) .

٨ ـ اعداد برامج توعية الأمهات .

**٤ ـ المؤتمرات والندوات التي اشترك فيها المجلس : ـ**

اشترك المجلس منذ بداية عام ١٩٨٨ وحتى الآن في ٢١ مؤتمراً وندوة على المستوى الوطني والعربي والدولي .

٥ ـ الانتاج الفكري للمجلس خلال عام ١٩٨٨ / ١٩٨٩ : ـ

يشمل عدد الوثائق التي صدرت عن المجلس حوالي ٦٠ وثيقة من كتب ومجلات وابحاث ودراسات ونشرات وتقارير .

**ثانياً ـ مركز مصادر الطفولة المبكرة : ـ**

بدأ هذا المركز عام ١٩٨٤ / ١٩٨٥ في مدينة القدس بفلسطين المحتلة استجابة للحاجة الماسة للتدريب والاشراف على رياض الاطفال والحضانات المدرسية ، ويهدف إلى تطوير فعاليات المؤسسات القائمة في حقل الطفولة المبكرة ، وفي مجال خدمة المعلمات في الرياض . كما يعمل المركز على انتشار خبراته في كافة رياض الاطفال في المخيمات الفلسطينية . ويعتمد المركز في تمويله على مؤسسات تربوية أوروبية مثل مراكز التنمية الأوربية والتي تدعم امثال هذا المشروع .

**منجزاته :**

١ ـ القيام بتدريب وتطوير معلمات الرياض المنتشرة في الضفة الغربية عن طريق اقامة دورات تربوية مكثفة .

٢ ـ القيام بدراسة واقع رياض الأطفال وتلبية احتياجاتها من الناحية المادية والخبرات التربوية .

٣ ـ تصميم لعب تعليمية لاطفال الرياض تنسجم مع واقع الانتفاضة والمجتمع الفلسطيني .

٤ ـ جمع الأدب الفكري المتعلق بتربية الاطفال ووضعه في متناول العاملين مع الاطفال من آباء وأمهات ومدرسين وباحثين .

٥ ـ القيام بأبحاث متصلة بواقع الطفل الفلسطيني مثل ( أثر العنف على الاطفال في الانتفاضة ) .

٦ ـ تأثير المشاركة في الانتفاضة على الاطفال .

**العقبات في طريقه :**

كثيرة،قياساً بالعقبات التي تواجه المنظمات العربية الأخرى . وعلى رأسها العقبات المالية ، والمضايقات المتكررة من سلطات الاحتلال ، والحصول على الامكانيات المطلوبة ، وتعذر ايصال رسالة المركز إلى كل المحتاجين ، وحاجة المركز إلى الكوادر العاملة التطوعية نظراً لكثرة مشكلات الطفولة .

إن مركز مصادر الطفولة المبكرة هو مشروع فريد في ظل أوضاع غير طبيعية ، وهو مشروع ريادي في الشرق الاوسط ولد ليخدم الطفولة العربية في صحراء من العنف والظلم والتشرد وعدم العدالة .

**ثالثاً : دائرة ثقافة الاطفال ( الجمهورية العراقية ) : ـ**

وهي مؤسسة حكومية انشئت في العراق عام ١٩٧٧ ، وتهدف إلى رعاية ثقافة الطفل ، وتشجيع تربية الاطفال على أسس علمية ووطنية وقومية ، وتوجيه قدراتهم واطلاق طاقاتهم في الخلق والابداع وذلك من خلال :

١ ـ القيام بالدراسات والبحوث واعداد الخطط على المدى القريب والبعيد بهدف تربية الطفل وتثقيفه .

٢ ـ اصدار الكتب والمجلات والصحف للاطفال .

٣ ـ توفير الافلام والآلات الموسيقية واللعب بصورة مباشرة أو بالتنسيق مع الجهات الأخرى المعنية بالطفولة .

**منجزاتها :**

أصدرت دار ثقافة الاطفال خلال العشر سنوات الماضية :

( ١٩٧٩ ـ ١٩٨٩ ) الأعمال التالية :

١ ـ ٤٩٣ عدداً من مجلة ( مجلتي ) للاطفال .

٢ ـ ٤٦٨ عدداً من مجلة ( المزمار ) الخاصة بالاحداث .

٣ ـ ٦٠٢ وكتابين في مختلف جوانب المعرفة للأطفال .

٤ ـ ١٣ عدداً من مجلة ( العصفور ) و ( نشرتي ) .

٥ ـ ٣٧ عداً من البحوث الاستطلاعية والملاحق .

٦ ـ ٢٤ عدداً من مجلة علم وتكنولوجيا .

كما شاركت الدار في الفعليات التالية : ـ

١ ـ ٤٨ معرضاً لرسوم الاطفال خارج العراق .

٢ ـ ٣٧ مسابقة لرسوم الاطفال خارج العراق .

٣ ـ ٣٤ معرضاً لرسوم الاطفال داخل العراق .

٤ ـ ١٨ مسابقة لرسوم الاطفال داخل العراق .

٥ ـ ٧٨ معرضاً لكتب الاطفال خارج العراق .

٦ ـ ٥٤ معرضاً لكتب الاطفال داخل العراق .

٧ ـ ١٢ مسابقة لكتب الاطفال داخل وخارج العراق .

٨ ـ ٦٠ حلقة دراسية ومؤتمرا وندوة خارج العراق .

٩ ـ ٣٥ حلقة دراسية ومؤتمرا وندوة داخل العراق .

١٠ ـ ١٠ مهرجانات للطفولة .

١١ ـ ١٠ دراسات لتعليم الرسم .

**التعاون مع المنظمات الأهلية والعربية : ـ**

تقوم دار ثقافة الاطفال بالتعاون مع مجموعة من المؤسسات والهيئات المحلية التالية : ـ

١ ـ وزارة التربية العراقية .

٢ ـ وزارة العمل والشئون الاجتماعية العراقية .

٣ ـ الاتحاد العام لنساء العراق .

٤ ـ الاتحاد الوطني لطلبة وشباب العراق .

د ـ منظمة اليونسيف .

٦ ـ المجلس المركزي للرعاية الصحية الأولية .

٧ ـ هيئة رعاية الطفولة .

٨ ـ لجان الاعلام الاقتصادي والتوعية المرورية .

كما تعمل دار ثقافة الاطفال على التعاون بينها وبين الجهات العربية التالية : ـ

١ ـ المجلس العربي للطفولة والتنمية .
٢ ـ الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية .
٣ ـ رابطة صحافة الاطفال العربية .
٤ ـ مركز بحوث أدب الاطفال في القاهرة .
٥ ـ المنتدى الادبي في سلطنة عمان .
٦ ـ مؤسسة الملكة نور في الأردن .

وتقوم دار ثقافة الاطفال بالتعاون مع الجهات الدولية التالية : ـ

١ ـ منظمة الأمم المتحدة للاطفال ( اليونيسيف ) .
٢ ـ الرابطة الدولية لبحوث أدب الاطفال ( نيوجيرس ) .
٣ ـ الاستيج الدولي الخاص برعاية الاطفال والشباب في برلين الشرقية .
٤ ـ الاتحاد الدولي لناشري كتب الاطفال والشباب .

**رابعاً : جمعية حماية الأسرة المغربية : ـ**

وهي جمعية تطوعية ثقافية اجتماعية ، تأسست بالرباط عام ١٩٦٣ م . لها ثلاثون فرعاً في أهم المدن المغربية .

**أهدافها :**

ـ تمتين الروابط العائلية .
ـ بعث الروح الإسلامية داخل الأسرة .
ـ حماية الأم والطفل : أفراد الأسرة .
ـ تنظيم برنامج الزواج بما يساعد على تحقيق التماسك العائلي وتعزيز دور الأزواج كآباء شاعرين بمسؤولياتهم .

منجزاتها :

تحاول هذه الجمعية تقديم خدماتها للطفل ومحيطه وبالاخص الطبقة المحتاجة من ذوي الدخل المحدود ، والعاطلين ، والأميين ، ولذلك تتلخص منجزاتها في الآتي : -

١ - العمل على تسجيل اطفال بعض الأسر في المدارس ممن وصلوا سن الالزام حتى لا يحرموا من التعليم بسبب جهل اسرهم ، أو انشغالهم عن اطفالهم بتوفير لقمة العيش ، أو استغلال ابنائهم لمساعدتهم في أعمالهم . ويبرز دور الجمعية هنا في اقناع الآباء بجدوى التعليم للأبناء .

٢ - توزيع بعض الكتب ، والادوات المدرسية ، والملابس ، واللعب على بعض الاطفال المحتاجين في بعض المدارس العامة ، وكذلك الاطفال المرضى في المستشفيات .

٣ - تنظيم رحلات دراسية داخل البلاد لبعض الاطفال المجتهدين تشجيعاً لهم على طلب العلم .

٤ - زيارة بعض مخيمات الطفولة لتقديم بعض الانشطة لهم كمسرح العرائس .

٥ - تنظيم مسابقات في الرسم والفنون الأخرى للاطفال محلياً واقليمياً ودولياً .

٦ - فتح بعض رياض الاطفال لأطفال العائلات المحتاجة لحمايتهم من التشرد والتسكع في الشوارع .

٧ - المساهمة في تعليم الاطفال الذين لا تسعهم المدارس لتجاوزهم سن الالزام بسبب التأخر الدراسي والرسوب . أو عدم الاقبال على التعليم ، أو عدم وجود مدارس لهم .

٨ - المساهمة في بعض المؤتمرات والندوات والدراسات المتعلقة بالطفولة سواء داخل البلاد أو خارجها .

٩ - الجمعية الآن بصدد بناء مركز متكامل للطفل يحتوي على روضة نموذجية ، ومسرح ، ومكتبة ، وحديقة للاطفال ، ومعمل للتأهيل المهني لكبار السن

من الاطفال ، وهذا المركز يقوم على مساحة من الأرض قدرها ٥ آلاف متر مربع .

**العقبات :**

العقبات كثيرة وعلى رأسها العقبات المادية ، لأن الجمعية تعتمد على التبرعات والاعانات المالية التي تأتيها من الافراد والمؤسسات .

ثم هناك عقبات أخرى ترتبط بعدم استمرارية بعض الافراد في مجال العمل التطوعي ، وعدم وجود حوافز مادية أو معنوية كافية لهم . والعمل مع الاطفال يحتاج إلى التضحية بالراحة ، والوقت ، والمال ، وأشياء كثيرة . وقليل من الناس في عصرنا الحاضر يتحمل ذلك أو يلتزم بهذا المبدأ .

وفي نهاية هذا الكلام ، استميحكم عذراً لعدم اكتمال هذه الدراسة نظراً لظروف خارجة عن ارادتي ، ولربما يحالفنا الحظ مستقبلاً ونتمكن من تكملة هذه الدراسة بصورة أكثر شمولاً وأدق معالجة للبيانات .

**الرئيس د . حسن الإبراهيم :**

لا يسعني ـ دكتور باقر ـ إلا أن اتقدم لك بالشكر الجزيل على هذا البحث القيم الشامل ، وفي الواقع جاء البحث أكثر مما كنا نتوقع له . كنا نتوقع أن يكون البحث عملية مسح ، وأنا آخر من كان يتوقع أن يأتينا الدكتور باقر بنظرة عالم الاجتماع بتحليل خلفيات هذه الجمعيات الأهلية .

ذكر الدكتور باقر في حديثه موضوع أهمية وجود الجمعيات الأهلية ، وأحب أن أذكر الدكتور باقر بأنه ليس ضرورياً أن يكون لكل الجمعيات الأهلية مسحة طبقية ، ومسحة اقتصادية ، لأن هناك ـ والكل يعرف هذا ـ جمعيات مراقبة الطيور ، وهناك جمعية اكتشفتها في كندا مؤخراً هي جمعية مراقبة أمواج البحر ، فالتعريف بالمجتمع المدني ومشاكله لا يأتي غالباً إلا من خلال هذه الجهود الخاصة وهذا موقف اتبناه بكل قناعة .

الجمعية هي مجموعة من الافراد لهم اهتمامات معينة ، يسعون جميعاً لتحقيقها . اهتمامات هي عبار عن افكار يشتركون فيها ، وأعطي مثالاً على ذلك الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية فهذه الجمعية ليس لها أي خلفية ارستقراطية . أو طبقية ، وإنما هي عبارة عن مجموعة من الناس كان لديهم فكر معين ، وشعور بأن الطفولة العربية متأخرة ، وأن هناك مشاكل كبيرة جداً تعترض مسيرة الطفولة العربية، هذه المجموعة فيها (أساتذة الجامعات، وفيها الباحثون، وفيها رجال الأعمال ) ووجود رجال الأعمال في الجمعية برهن في نهاية الأمر أنه كان مصدر خير للجمعية من ناحيتين . تجنيد اهتمامات كبيرة وفعالة لقضية الطفولة في العالم العربي، والمساعدة على توفير مصادر مالية مهمة للجمعية اعانتها وما تزال تعينها على اداء مهامها العلمية والثقافية . إن هذا الدعم المالي حيوي للجمعية سواء جاءنا من الجهات الحكومية أو الجهات الأهلية وأرجو أن يدوم مجيئه من الجهتين .

د . محمد عودة :

شكراً سيدي الرئيس في الحقيقة الدراسة التي شرع بها الدكتور قاسم الصراف تثير الشجون ، فإنه من بين إحدى عشرة جمعية لم يصل إليه رد إلا من أربع جمعيات على مستوى الوطن العربي ، فالحقيقة هذه الدراسة تطرح أمامنا مشكلة . لست أدري كيف يوجه نداء ؟ ولمن ؟ كي يحصل الباحث على المعلومات التي يحتاجها بسهولة ، وهذه مشكلة يبدو أنها قديمة وستستمر ، إذن المشكلة قديمة وستستمر ، والحقيقة هذه فرصة طيبة لأن نوجه نداء لكل من له اهتمام بها من المؤسسات الرسمية أو الشعبية لتسهل للباحثين الحصول على المعلومات . ونأمل أن تكون هذه الندوة وجهود الجمعية من ورائها سبباً في قيام مؤسسات عربية تأخذ على عاتقها توفير المعلومات الصحية والدقيقة للباحثين العلميين العرب في مختلف المجالات .

الملاحظة الثانية : الجمعيات الأربع التي ردت على الدكتور قاسم . كان ردها غريباً ، فلا يبدو أنها سمعت بالجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية والتي عمرها يقرب من عشر سنوات الآن . وهذه طبعاً ظاهرة ملفتة للنظر ، هذا الانفصال في الوطن العربي بين نشاط ونشاط أو بين جمعية وجمعية هو نوع من أنواع التغريب بين المنظمات غير الحكومية في العالم العربي .

الملاحظة الثالثة : مركز مصادر المعلومات عن الطفولة المبكرة في الأرض المحتلة ، فإن الدكتور قاسم ذكر بأن هذا المركز رغم أهميته ، ورغم ظروفه السيئة جداً يتلقى الدعم أساساً من مؤسسات أوروبية .

الملاحظة الرابعة : من خلال الدراستين الطيبتين يتوجه الفكر دائماً إلى دور النشاط الأهلي . هل هو بديل عن النشاط الرسمي؟ فما دام النشاط الرسمي غائباً ، فدع النشاط الأهلي يتحرك ، وما نلمسه خاصة في دول الخليج يؤكد أن النشاط الأهلي قد يكون أكثر فعالية وأسرع نتيجة . حيث لا توجد بيروقراطية ولا ضوابط وما إلى ذلك .

**د . معصومة المبارك :**

شكراً سيدي الرئيس .

أولاً ـ أحب أن أشير إلى قضية السخاء في العطاء للمجهود الأهلي ، فمسألة السخاء مسألة نسبية ، وواضح جداً أن ما يعتبره الدكتور باقر سخاء وافراً لا يعتبره الدكتور حسن كذلك ، لأنه طبعاً يهدف ويطمح إلى المزيد من الدعم ، فهذه طبعاً مسألة جانبية .

ثانياً ـ اشارك الدكتور باقر كباحث في العلوم الاجتماعية واشارك الدكتور قاسم في خيبة الأمل من المؤسسات والمنظمات التي وقفت موقفاً سلبياً ولم ترد ، وهذه طبعاً مشكلة يواجهها جميع الباحثين في حقول الدراسات الاجتماعية ، وهذا قدرنا ويجب أن نعمل في حدود ما هو موجود وممكن .

ثالثاً ـ اشكر الدكتور باقر بخصوص طرحه للجمعيات ، اشكره على هذا الطرح الوافي والشامل للجمعيات والمنظمات التي تعني بالطفولة سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، وواضح أن معظم الجمعيات التي تعني بالطفولة أو الجمعيات غير الحكومية في دول الخليج تعتمد على الدعم الرسمي .

إلى أي مدى يؤثر هذا الدعم الرسمي في نشاط هذه الجمعيات وعلى تكوين وصياغة أهدافها وعلى مسارها وعلى هيمنة الجهاز الرسمي على حياتها ؟ إلى أي مدى يرتبط هذا الدعم الرسمي بهدف الجمعية ويلون أهدافها .

**د . تغريد القدسي :**

بالنسبة للأعمال العامة للمنظمات الأهلية العربية مثل الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية وما تقدمه من دراسات وكتب ونشرات ، هل يوجد معيار أو مقياس لنجاح هذه المهام التي تنفذها ؟ . فهل تؤثر مثلاً في تطوير بعض المناهج المدرسية ؟ هل للاصدارات التي نصدرها للاطفال مثل المجلات استبيانات تدل على أن هؤلاء الاطفال قد قرأوها ؟ .

هل هناك جدوى من المواضيع التي تطرح فيها.

هل يستفيدون منها فعلاً ؟ وهل تقيم المعلومات التي يكتسبونها من قراءة هذه المجلات .

**د . بدر العمر :**

شكراً سيدي الرئيس. في البداية أحب أن أشكر الدكتور قاسم والدكتور باقر على هذا العرض ، وأنا اعتقد بالفعل أن الدكتور قاسم قدم عرضاً جيداً من خلال الطرح الذي طرحه لكثير من القضايا ، ولقد اعطانا مجموعة تفصيلات للمنظمات القائمة ، وأنا اعتقد أن هذا خط جديد لا بد للجمعية أن تستمر فيه ، وذلك لكي تتضح لها الصورة ، وخصوصاً إن اهتماماتها تمتد على نطاق الوطن العربي كله .

كذلك أشكر الدكتور باقر على هذا التحليل الذي قدمه للجمعيات المختلفة وبالرغم من أن التحليل كان منصباً بدرجة كبيرة على الجمعيات النسائية ، فلا زلنا نرى أن هناك ارتباطاً بين الجمعيات النسائية وجمعيات الطفولة سواء كان ذلك من الناحية الطبية أو الاجتماعية .

عندي مجموعة من النقاط أحب أن اذكرها ، وأعدها اشكالات عامة تواجه المنظمات الأهلية بشكل عام ، وخصوصاً تلك المرتبطة بالطفولة . اعتقد أن وجود منظمات أهلية على مستوى الوطن العربي هو مطلب مهم من وجهة نظر حضارية حيث أنه يمثل مشاركة المواطن في بناء وتنمية المجتمع . وهذا يمكن طرحه كهدف عام ، لكن الاشكاليات التي تواجه هذا النوع من العمل يمكن أن نلخصها في مجموعة نقاط تأتي أهميتها من كونها ملاحظات مواطن مهتم بواقع الطفولة ومستقبلها أكثر من كونها نتيجة لبحث علمي مقنن ، ورؤية المواطنين لمشاكل مجتمعهم هي مصدر من مصادر جمع المعلومات عن القضايا الاجتماعية .

أولاً ـ كثير من المنظمات تبدأ من خلال حماس شخصي لدى مجموعة من الاشخاص ، وهذا شيء له حسناته وأيضاً له اشكالياته فالحماس عنصر

ضروري ، لكنه ليس كافياً، فقد يؤدي إلى أن تتضخم الأهداف وبالتالي تصبح هذه الاهداف غير واقعية ، وغير متصلة بأرض الواقع ، فإننا عادة ما نجد أن هناك مجموعة من الأهداف المعلقة دون تحديد مجموعة من الأوليات ضمن هذه الأهداف أو دون وجود خطط ـ رسم خطط ـ لكيفية تحقيق هذه الأهداف ، أو صياغة إطار العمل الذي سوف تنتهجه الجمعية أو المنظمة ، لذلك وبناء على غياب هذا كله سيصطدم العمل بأرض الواقع ، ونرى أن هذه الأهداف العامة الكبيرة الطموحة لا يمكن تحقيقها على أرض الواقع وبالتالي سيقل الحماس وتقل التوقعات وتتضاءل معها الأهداف. هذه اشكالية أو احدى الاشكاليات الرئيسية .

ثانياً ـ من الاشكاليات الأخرى : المنظمات الأهلية العربية والخليجية على وجه التحديد لا يتوفر لها حرية العمل كما يجب، بالرغم من وجود كثير من الطاقات الشابه في كثير من المنظمات التي من الممكن أن تعمل ، لكن هذه الطاقات الشابة قد تصاب بكثير من الاحباطات نتيجة الحد من حرية العمل إما بسبب القوانين السائدة في بلد معين أو نتيجة معوقات اجتماعية أو إلى حدة المشكلات الموجودة . وبالتالي لا نرى حرية كاملة وكافية للعمل.

ثالثاً ـ إن قوة المنظمة الأهلية وفعاليتها تنبعث وتنطلق من قوة الاشخاص الذين قاموا بها ، وبالفعل الدكتور باقر النجار قد طرح أو لمس الكثير من هذه الأعراض أو ذكرها ، وخصوصاً في بداية نشأة المنظمات والجمعيات ، وهذه مشكلة. وبالفعل يجب أن يكون لكل جمعية مجموعة من الاشخاص الاقوياء الذين يقودون الجمعية ولكن هؤلاء في كثير من الجمعيات لا يخلقون النظام الكامل بحيث تستطيع هذه الجمعية أن تستمر حتى مع زوال هؤلاء الاشخاص ، لذلك من الممكن أن نرى كثيراً من الجمعيات تتراجع أعمالها وتنحدر ويمكن أن تضمحل بعد أن تبتعد عنها شخصيات معينة .

رابعاً ـ هناك اشكالية قصر النفس للعاملين في القطاع التـطوعي بشكـل عام ، والجمعيات بشكل خاص . واسباب قصر النفس كثيرة مثلما قلنا سابقاً إننا نبـدأ بحماس كبـير وأكثر انفعـالاً وتفاعـلاً في كثير من القضـايا ونتيجـة الاحباطات التي نواجهها نرى نفسنا نضعف شيئاً فشيئاً. وهذا يرجع لعدم وجود خطط واضحة أو منهج هادف يمكن أن نسير عليه ، وكل الـذي نستند إليه هو القوى الذاتية التي تضمحل مع الواقع .

خامساً ـ كثير من الجمعيات تشهد مجموعة من الصراعات في محاولة السيطرة عليها لتوجيه سياستها مما يبعدها عن هدفها الرئيسي والأساسي، ويتجه العمل داخل الجمعية لمحـاولة استقـطاب مجموعـة من الاشخاص حـول فرد معين ، وبالتالي يصير عمل هذه الجمعية ضمن توجهات هذه الجماعة .

سادساً ـ عدم توفر الامكانات مقارنة بالأهداف الطموحة التي ترسمها الجمعيات لنفسها ، وقد ذكـر الكثير حـول عدم تـوفر الامكـانات المـادية ، وعـدم توفـر المتخصصين في كثير الأحـيـان، فوجود جمعيات نسائية عادة لا يحقق الغرض منها بوجود مجموعة من النساء الراغبات في العمل ضمن إطار الجمعية. وهذا يتطلب أن يكون هناك المتخصص في مجال الاجتماع وفي مجال الطفولة ، وفي مجال علم النفس لكي تتكامل الصورة لعمل الجمعية .

سابعاً ـ ومن المشكلات الأخرى التي تواجه الجمعيات دخولها في منافسـات مع المؤسسات الحكومية ، وهذه أيضاً مشكلة رئيسية تنبعث من احساس هذه الجمعيات بوجود نقص ما في المؤسسة الحكوميـة وهي تريـد سد هـذا النقص. ولكن غالباً ما تكون الغلبة للمؤسسات الحكـومية لأنها تقـع ضمن إطار سياسي وتنظيمي يمكنها من التغلب على المنظمات الأهلية.

ثامناً ـ المشكلة الأكبر في نظري هي عدم وجود التنسيق. فهناك تداخل كبير بين اعمال المنظمات الأهلية الخاصة بالطفولة أو الجمعيات النسائية ، وحتى عدم وجود خطط للتنسيق ، بل قد تدخل العملية في إطار المنـافسة كـما ذكر

الدكتورباقر. فإذا كان هناك ست وأربعون جمعية نسائية في دول الخليج التي لا تزيد عن ست دول ، فلنا أن نتخيل حجم الانجاز المتحقق لو تضافرت جهود الست والأربعين جمعية في خط واحد .

تاسعاً ـ لم أر جمعية من الجمعيات باستثناء جمعية الطفولة حاولت أن تمارس تقويم ادائها ، وفيما عدا هذه الجمعية . فلم نجد جمعية قد قيمت أعمالها ومدى ما حققته من أهداف . إذن المحصلة النهائية نتيجة لهذه المشكلات التي طرحتها عادة ما تكون مخرجات هذه المنظمات أو الجمعيات مجموعة محاضرات ومجموعة ندوات ومجموعة كتيبات أو مجموعة من الأعمال الأخرى التي تأخذ طابع الانعاش الاجتماعي .

**د . شملان العيسى :**

شكراً سيدي الرئيس ، ستكون الأسئلة قصيرة ، لم يتسن لي أن اسمع كل محاضرة الدكتور قاسم وأنني أشكره على هذا الجهد . ولي سؤال بسيط وهو هل الجمعيات التي تم حصرها لها توجهات قومية عربية شاملة أم أنها تعمل تحت فكر معين ؟ .

بالنسبة للأخ باقر فإني أشكره واعتب عليه . أشكره لأنه من النخبة ، واعتب عليه لأنه لم يذكر شيئاً عن جمعيتنا ( مركز تعليم وتقويم الطفل ) في الكويت ، وهي تعمل منذ خمس سنوات ، ومن أهدافها التركيز على الاطفال ، وعلى الحاجات الخاصة بهم . وعندنا عدة بحوث ودراسات في هذا المجال، وطبعنا ثلاثة كتب عدا البحوث التي تأتي لنا من الغرب ثم نترجمها إلى اللغة العربية .

**الرئيس د . حسن الإبراهيم :**

اعتقد أن كل النقاط التي اثيرت تحقق في نهاية الأمر الهدف من هذه الندوة .

الملاحظات التي ذكرها الدكتور بدر جديرة بالاهتمام ، حقاً إن من الصعوبة بمكان أن يقوم الباحث ببحث ما إذا كانت جميع هذه الجمعيات تحت نظام أو

قانون النفع العام . ليس هناك أي قانون آخر يسمح لمجموعة من الناس أن يكونوا مؤسسة لا ينطبق عليها قانون النفع العام .

فكرة هذه الجمعية ( الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ) كما تعرفون حضراتكم بدأت بمحاولة ايجاد مركز لابحاث الطفولة ضمن جامعة الكويت في سنة ١٩٧٨ . حتى سنة ١٩٨٠ لم نستطع أن نحققها في إطار جامعة الكويت ، أردنا أن ننشيء مؤسسة ، فوجدنا أنه ليس هناك قانون يسمح لنا بممارسة نشاطنا كمؤسسة بحثية ، فاضطررنا في نهاية الأمر إلى المخرج القانوني الوحيد المفتوح أمامنا وهو أن نؤسسها تحت مظلة قانون النفع العام وفي هذه الحالة أي باحث سينظر لها أو لغيرها أو لمركز تعليم وتقويم الطفل من خلال ذلك . كيف لي أن اسمي مركز ( تعليم وتقويم الطفل ) جمعية نفع عام . بعض الجمعيات في الكويت تعمل باسم عائلة أو شخص متوفى وقد خضعت أيضاً لقانون النفع العام . يعني من الصعب أن ندرس هذه الجمعيات تحت مفهوم الجمعيات المدنية .